

المكتبة القبطية على الانترنت



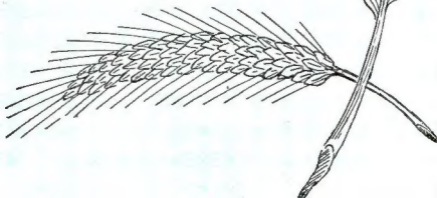


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثاني

الطبعة الخامسة

تسليمة
الأنبياء والنبي
أسقف القوي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الثاني

الطبعة الخامسة

لنسيافة
الأنبياء والرسل
أسقف القسريه

فهرست

- ٩ مقدمة الطبعة الرابعة
- ٩٠ مقدمة الطبعة الثالثة
- ١١ مقدمة الطبعة الثانية
- ١٢ هذا الكتاب
- ١٥ في طريق كنعان
- ٢٠ كيف
- ٢٧ الصلاة
- سبوحا وانتدأها ٢٨ حاجتنا الى الصلاة ٣١ شروط الصلاة
المقبولة ٤٠ سر الصلوات المستجابة ٤٧ من مشجعات الصلاة
٥٥ تأخر استجابة الصلاة ٦١ كيف نصلي ٦٣ بعض مشاكل
الصلاة ٧٣ الصلاة الدائمة ٨١ الصلاة وفق قانون ٨٤
- ٩١ الصوم
- مفهوم الصوم روحيا ٩٥ مركز الصوم في الحياة الروحية ٩١
لماذا اصوم ١٠٠ كيف اصوم ١٠٤ نصائح وارشادات ١١٤
الاصوام في الكنيسة القبطية ١١٦
- ١١٩ العطاء
- كلية عامة ١٢٠ انه يامر بالعطاء ١٣٥ كيف نقدم العطاء ١٣٩
العشور ١٤٤ بعض اعتراضات على العطاء ١٥٠ امثلة لغوى
العطاء السخى ١٥٢
- ١٥٧ القراءات الروحية
- بادة هذه القراءة ١٥٨ هدف القراءة ١٥٨ نوائد القراءات
الروحية ١٥٩ كيف نقرأ ١٦٣ وقت القراءة وكميتها ١٦٤
- ١٦٧ الكتاب المقدس
- كتاب الله ١٦٨ بركات الكتاب ١٧١ الكتاب في حياة رجل الله
١٧٧ مركز الكتاب بين قراءتنا ١٨٠ لماذا ندرس الكتاب ١٨٢
كيف ندرس كلمة الله ١٨٤ طرق لدراسة الكتاب ١٩١
الكنيسة القبطية والكتاب ١٩٣

١٩٥ **التدريبات الروحية**

نوائدها وخبراتها ١٩٦ مصادرهما ١٩٧ موضوع التدريب
وخصائصه ١٩٩ مدة التدريب ٢٠١ استثناءات التدريب ٢٠٢
أسباب التدريب ومشجعاته ٢٠٣ كراسة التدريبات ٢٠٤
أمثلة لبعض التدريبات ٢٠٥

٢٠٩ **الخلوة**

بركانتها ٢١١ ما هي الخلوة ٢١٥ حاجة الخدام الى الخلوة ٢١٥
كيف تقضى الخلوة ٢١٦ أين تقضى الخلوة ٢١٦

٢١٧ **الخدمة**

ما هي الخدمة ٢١٨ الخادم : شروط اختياره وأعداده ٢٢٢
السطحية في الخدمة ٢٣١ عوامل القوة في حياة الخادم ٢٣٣
القيادة الروحية ٢٥٤ الاحجام عن الخدمة ٢٥٦ الجميع
مدعوون للخدمة ٢٦٧ من اورشليم الى اقصى الأرض ٢٦٩



مقدمة الطبعة الرابعة

الله الذى أعطى النعمة فى كتابة « بستان الروح » ، هو الذى عمل فيه بقوة ، وصحب كلماته بروحه القدوس ، فظل البستان دائماً ، محتفظاً بنصرتة الروحية ... فيه تهدأ الروح وتستريح . وتحت ظلال أشجاره الوارفة تستظل ، وتلتقى بالقديسين والنساك الذين يحفل البستان بأسمائهم وتأملاتهم وكتاباتهم وبسبب هذا التأثير العجيب نفذت الطبعات الثلاثة الأولى للكتاب فى فترات وجيزة تدعو إلى الدهشة ...

وتلبية لاحتياجات أبناء الكنيسة فى كل مكان ، أخرجنا هذه الطبعة الرابعة ، التى نسأل الله أن يجعل الموضوعات التى يعالجها هذا الكتاب ، وكلمات النور التى يحويها سبب بركة وخلاص لكثيرين .

وللهنا - صاحب البستان الحقيقى - كل المجد والبركة إلى الأبد آمين ،

يوانس

بنعمة الله أسقف الغربية

تحريراً فى ٨ من يونية ١٩٨٦

أول بوثة ١٩٩٧

يوم الاثنين من الأسبوع
السابع من الخمسين المقدسة

«مقدمة الطبعة الثالثة»

بين يديك أيها الآب السماوى نضع هذه الطبعة الثالثة من الجزء الثانى من كتاب بستان الروح . الذى باركته وباركت مادته فصار بحق بستانا للروح . . . اللهم امنح عبيدك الذين يقرأونه نعمة العمل بوصاياك . . . ولتستخدم كل ما كتب فيه عن الوسائط الروحية من أجل تأصيل النفوس فى نعمتك . لا تسمح أن تصبح مادة هذا الكتاب زيادة فى المعرفة العقلية بل غذاء حقيقيا للأرواح، ودافعا لحياة الجهاد الروحى تشبها بالقديسين .

روحك القدوس فليرافق القارىء لهذا الكتاب ليصبح بركة لحياته . . لك نسجد أيها الآب القدوس، ولك نشكر من أجل نعمتك التى عملت فى ضعفنا حتى خرجت الطبعة الثالثة لهذا الكتاب . . .
ولك كل مجد وكرامة الى الابد آمين .

تذكار شهادة القديس بولس
بطريرك القسطنطينية

١٥ من أكتوبر ١٩٧٨ .
٥ من بابه ١٦٩٥ ش

مقدمة الطبعة الثانية

ما كانت تصدر الطبعة الأولى من هذا الكتاب حتى تخاطفه الاكثيوس والوعاظ والاكثريكيون وخدام التربية الكنسية وانشباب بل وعامة المؤمنين ، وهكذا حقق هذا الجزء الثانى من الكتاب ما حققه جزاء الاول ، وبارك الرب من ثمره الكثير الذى يتزايد كل يوم . .

ومنذ سنوات ليست بقليلة ، بعد نفاذ الطبعة الاولى من الكتاب وأنا اطالب باعادة طبعه . لكن عاقبى عن تحقيق هذه الرغبة الطيبة انشغالى فى كتابة واصدار كتب أخرى ، فضلا عن سنوات الاستقضية التى امتلأت بالأعمال الرعوية الملحة ، التى لا تحتمل التأجيل ، والتى هى جديدة فى كل صباح !!

راجعت الكتاب قبيل تقديمه الى المطبعة لاعادة طبعه بقصد اضافة مادة جديدة الى مادته ، فوَقَّنت فى بعض الأحيان مشدوها ، أشكر الله على عمله معى خلال كتابته الاولى . اذ لم استطع أن أضيف اليه شيئا ليظل بصورته التى خرج بها مرجعا اصيلا روحيا ارثوذكسيا فيما عرض له من موضوعات .

واود مخلصا فى هذه المناسبة ان اقدم نصيحة لشبابنا المتدين وخدامنا المتحمسين بأن يلتزموا الاتزان فى روحياتهم ، والارثوذكسية فى منهج عبادتهم وخدمتهم . فالحماس الروحى له جاذبيته التى تشد الانسان غيميد الى المزيد من العبادة خاصة فى مجال الصلاة والصوم ، الأمر الذى يتودهم فى بعض الأحيان الى الغلو والتطرف . وهنا يكمن الخطر . فاذا لم يترن الانسان ويخضع لارشاد أبيه الروحى فلا بد وان يشرذ ويضل . . . اقول هذا بمناسبة ظاهرة الانفتاح التى نعيشها هذه الأيام ، والتى احس انها قادت البعض ايضا الى الانفتاح على بعض الطوائف المسيحية الهرطقية ، فخدعوا ببعض تعاليمها البراقة التى لا اساس لها على مستوى الواقع والحق الانجلى ، بل هى مجرد الفاظ رنانة جوفاء تشعل الحماس ولا تحمل معها ثمرا روحيا داخليا حقيقيا . وهذه ومتى أشعلت حماس انسان فانها تمسك به لتقوده رويدا رويدا ولكن بعيدا بعيدا عن الحق الايمانى الانجلى الذى عاشته كنيستنا اجيالا طويلة . وليعلم كل ابن للكنيسة القبطية الارثوذكسية انها بايمانها وعقائدها وروحانياتها قد ثبتت حتى يومنا هذا ، بعد أن خاضت صراعا طويلا مع غير المسيحيين والهرطقة على اختلاف نزعاتهم على مدى

الأجيال . ولو لم تكن كنيسةنا أصيلة في إيمانها وفكرها وروحانياتها لما استطاعت أن تثبت حتى الآن ، رغم ما عانت من ضيق وعنت قل أن واجهته كنيسة مسيحية في العالم كله .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أزجي الشكر خالصا الى الابوين المباركين القس صراباؤون عزيز والقس ويصا سامي والابن المبارك الأستاذ اشعيا ميخائيل على اتعابهم في الاشراف على طبع الكتاب الرب يعوضهم اتعابهم .

واذ أضع هذا الكتاب بين يدي الله القدير ، الذي أحبنا وغدانا ، أسأله أن يجعله سبب بركة لكل من يقرأه ، ولينفعنا الرب ببركة وسؤالات وشفاعات سحابة الشهود من القديسين الذين سبقونا الى المجد

ولالهنا كل مجد من الآن والى الأبد آمين

يوانس

بنعمة الله أسقف الغربية

تحريرا في

١٤ من نوفمبر ١٩٧٦ م / تكار تنصيب قداسة
٥ هاتور ١٦٩٣ ش / البابا شنودة الثالث

هَذَا الْكِتَابُ ...

الجزء الاول من هذا الكتاب رأى النور حوالى منتصف عام ١٩٦٠ ، واشرنا فيه الى جزئين آخرين مكملين له . ومنذ ذلك الوقت والجميع يتساءلون فى الحاح وشغف عن جزئه الثانى .. وان كنت اشكر الرب كثيرا من أجل النعمة التى اعطيت للكتاب فى عيون كثيرين ، كما واشكر ايضا كل الاحياء الذين اظهروا مشاعرهم الحبية فى تقديرهم للكتاب ، لكنى اود أن أقول لهم . ان اخراج كتاب الى عالم النور ليس بالأمر الهين ..

كان ممكنا ان يلحق هذا الجزء من الكتاب بسابقه بعد فترة وجيزة . لكنه فى تلك الحالة كان سيصدر فى صورة أخرى وبإعادة أخرى .. لكننا ابينا الا أن نقدمه للكنيسة فى صورة تكاد تكون كاملة حسب تقديرنا .. لقد استنفد هذا العمل منا جهدا مضنيا وانكبابا متواصلا فى بعض الاحيان . ان الأم تتمخض بوليدها ساعات معدودة ، لكنى ظللت اتمخض بهذا الكتاب قرابة ستة أعوام كاملة ، قرأت خلالها ما استطعت أن احصل عليه من كتب آباء الكنيسة القديسين ، المخطوط منها والمترجم الى لغات حية ، بالإضافة الى عديد من الكتب الأخرى .. لقد احتوى هذا الجزء من الكتاب على ثمانية موضوعات ، لكن هذه الموضوعات الثمانية هى محصول اطلاع لاكثر من مئتي كتاب ، منها ما لا تستطيع يد القارئ العادى أن تتناوله اما لصعوبة الحصول عليها ، أو حتى لمجرد القراءة فيها .. فكرت ذلك حتى لا يعد البعض السنتين والنصف التى انتقضت على ظهور الجزء الاول من بستان الروح فترة طويلة تستلزم اللوم وتتطلب الاعتذار .. وحتى يحسوا ، كم هى شاقة ومضنية مهمة التأليف والكتابة ، فيقبلوا على القراءة بشغف . عالمين انهم بقراءة كتاب واحد كهذا ، يوفرون على انفسهم مؤونة البحث والاطلاع فى عشرات الكتب الأخرى ..

واذا كنا قد عرضنا لتواحي الجهد التى تطلبها هذا الجزء من الكتاب ، فلا ننكر ذلك على سبيل الفخر ، لأننا نؤمن أن هذا « البستان الروحى » المتواضع هو من غرس الله ، وهو ثمرة صلوات كثيرة رفعها كثيرون لكى يتحنن الرب ويعطى نعمة .. فليس لنا غرض فى شيء اذن ، فان كنا نتكلم فكأنوال الله ، وان كنا نعمل فمن نعمة يعطيها الله ..

انه لمن دواعى السرور أن يصدر كتاب « بستان الروح » بجزئيه — وهو باكورة انتاجنا — فى عهد قداسة البابا المعظم الانبا كيرلس السادس الذى نسأل الله أن يديم سلامته ويحفظ حياته ويثبت كرسيه بالبر والعدل

لخير الكنيسة ، نقدمه اليه لكي يبارك هذا العمل المتواضع ويجعله الرب
بصلواته - سبب خلاص كثيرين .

وان كان الشكر واجبا لمستحقه ، أرى لزما على أن أتقدم بعميق
شكري الى آباء دير السيدة العذراء (السريان) العاشر اللذين آزروني
بصلواتهم ، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم الحبر الجليل الانبا ثاوفيلس أسقف
الدير وكوكب برية شيهيت المقدسة .. الأسقف المصلح المستنير الذي
لا يألو جهدا في سبيل خدمة الكنيسة وازدهار الرهنة وخدمة اولاده الرهبان
بروح المحبة والوداعة والتضحية وانكار الذات ، الرب يحفظ حياته ويعوضه
اتعابه الكثيرة ، ويكثر اولاده الصالحين بطلبات العذراء والقديسين .

لقد قدمت في الجزء الأول من الكتاب شكرى لأحد آباء الدير الذي على
الرغم من انه أسهم بنصيب كبير في مادة الكتاب سواء بكتاباته أو بتوجيهاته
ونصائح القيمة ، الا انه أبى - في انكار ذات نمسكى - أن يذكر اسمه ..
وفي هذا الجزء ايضا أعود فأكبر شكري الى هذا الأب ، لكن بعد أن تم فيه
وعد الرب ، وأبت الكنيسة أن تترك سراجا منيرا تحت مكيال ، فرفعت
ووضعت على المنارة لبضئ لكل من في البيت .. هكذا انتقل السراج المنير
من اصباغ البرية الى قلب الاكيريكية ومدارس التربية الكنسية .. نقل السراج
رغبا عنه من مغارة انشود الى مغارة التعليم والرعاية .. نعم ، يحلو
لى الآن أن أقدم شكرى له بالاسم .. الحبر الجليل الانبا شنودة ، الرب
يحفظ حياته ويكثر الاثمار على يديه .

واقدم الشكر للاخوة القائمين بخدمة التربية الكنسية بالجيزة على جميل
معاونتهم في طبع جزئى الكتاب .

كما أزجى الشكر ايضا لكل الاخوة المحبين الذين عاونوا في اية صورة
من الصور في اخراج هذا الكتاب . الرب يعوضهم جميعا عن أتعابهم في
أورشليم السمائية .

وانى اذ اضع هذا الكتاب المتواضع بين يدي الرب الذى احبنا وهدانا ،
أسأله ان يجعله بركة لجميع الذين يقرأون فيه كلمات الروح والحياة .
واخص منهم الاخوة والابناء الاعزاء طلبة الكلية الاكيريكية وخدام التربية
الكنيسة في سائر الكرازة المرقسية . وأسأله أن يؤازرنى بنعمته لاجراج
الكتاب الثالث من هذا المؤلف ان أحب الرب وعشنا ..

ولينمجد الرب في ضعفنا ، وله كل مجد دائما ابديا آمين ٢

الراهب القمص
شنودة السريانى

١٩ مارس ١٩٦٣ } تنكار ظهور الصليب
١٠ برمهات ١٩٧٩ }

... في طريق كنعان

ان كان الجزء الأول من « بستان الروح » قد حدثك عن كيفية الهروب من عبودية فرعون ، فان هذا الجزء يحدثك عن كيفية الوصول الى كنعان. ان كان ذاك قد شرح لك كيف تنهض من جوار انهار بابل وتترك أرض السبي فان هذا يشرح لك كيف تبني هيكلًا للرب وتسبح فيه تسبحة جديدة.

الحياة الروحية ليست مجرد جهاد سلبي ضد الخطية ، وانما لها عنصر ايجابي وهو النمو في الروح حتى يصل الانسان الى الملاء ، مسكين ذلك المجاهد الذي يقضي حياته في صراع مع الخطية ، يشتكى ويقاوم شهوته ويقع ويقوم ثم يقع ويقوم .. الى غير استقرار ، دون أن ينظر ويذوق ما اطيّب الرب .

الذي لم تدخل محبة الله الى قلبه ولم يلتصق انسانيته الداخلي بالرب ، لا ينتظر أن يقف على قدميه في طريق الملكوت ، فهو متمتع ابدأ . زرعه الروحي لا يمتص عصارة الحياة الحقيقية فسرعان ما يذبل ويموت .. وبناءه الروحي على غير اساس لا يحتمل أن يقاوم صدمات الريح وسيول الأمطار .

لذلك كان لا بد لكل أحد أن ينمو في محبة الله ، وتكون هذه المحبة هي الأساس الذي يرتكز عليه كل عمله الروحي . وكلما تنمو محبة الله في قلبه تطرد محبة العالم من داخله . فاذا كملت محبته لله كمل جسدانه للعالم وحينئذ يصل الى عبارة معلمنا بولس الرسول الذي قال فيها « صلبت للعالم وصلب العالم لي » (غل ٦ : ٤) .

ولكن الانسان لا يمكنه مطلقا ان يسلك في طريق الروح بدون معونة من الله ، الذي يحمله في حنو على جناحي نعمته طوال مدة غربته على الأرض . وبدون النعمة يكون كل عمل الانسان هو اتكال باطل على ذراعه البشري ، وملعون من يتكل على ذراع بشري كما يقول الكتاب .

ولما كانت للنعمة وسائل روحية خاصة تعمل بها وعن طريقها نقدم عطاياها لمحبي الله ، لذلك ينبغى لكل سائر في طريق الله أن يمارس وسائل النعمة هذه وينال بركتها وفعاليتها في حياته .

فما هي وسائل النعمة هذه ؟

٤. أول واسطة من وسائل النعمة هي الصلاة والصلاة لها فروع كثيرة :
 منها صلوات الساعات بما فيها من مزامير وقطع وأنجيل وتحاليل ،
 وليست هذه الصلوات عمل خاص بالرهبان كما يخيّل للبعض ، بل هي على
 الأصح طقس العلمانيين . أما الرهبان فعملهم هو الصلاة الدائمة التي
 لا تنقطع والتي صلوات الساعات مجرد فرع منها .

وهناك صلوات المناسبات التي تتلوها في أية مناسبة تخلطها بصلواتك
 لتأخذ فيها نعمة . في دخولك وفي خروجك ، قبل الأكل وبعده ، قبل القراءة
 وإثناؤها وبعدها ، قبل البدء بأي عمل أيا كان وإثناؤه وبعد اكماله ، في
 الضيقات والمشاكل ، في مقابلاتك للناس ونقاشك معهم ، في مصادمتك
 للعثرات .. الخ وهكذا تصطحب الله في كل ما تمتد إليه يدك حتى تنجح
 في كل ما تعمله . وهناك الصلوات القصيرة المتكررة مثل صلاة « يارب يسوع
 المسيح ارحمني » أو « اللهم التفت الى معونتي . يارب اسرع واعني »
 أو أية صلاة أخرى تترك في قلبك تأثيرا وتنفعل بها عاطفتك . يضاف الى
 كل هذا صلواتك الخاصة التي تنسكب فيها نفسك أمام الله . حيث لا تتلو
 شيئا محفوظا ، وإنما تمرر عن مشاعرك في طلاقة حسبما تعطيك النعمة
 أن تتلق .

٥. والصلوات أيضا على أنواع : منها صلوات الطلب وهي أقلها نوعا
 وإن كانت أشهرها . والقديس باسيليوس الكبير يحذر من البدء بها لئلا
 يظن انه نولا الطلب ما كتبت تتحدث الى الله .

ثم صلوات الشكر ، والكنيسة تضعها في مقدمة صلواتها عموما .
 وصلوات الانسحاق والندم والاعتراف بالخطايا وتبكيك النفس أمام الله ،
 وهي صلوات قوية المفعول جدا أمام الله تستطيع — في ضعف — أن تجاهد
 مع الله وتغلب . وهناك أيضا صلوات التسبيح والتمجيد ، وهي أسنى
 أنواع الصلاة جميعا . فيها يتغنى الإنسان في صلاته بصفات الله الجميلة .
 انها طقس السيرافيم والأربعة والعشرين قسيسا . ومن أمثلتها قطع كثيرة
 جدا من القداس الفريغوري كصلاة الصلح و« مستحق وعادل »
 والفقرات الأولى من « ارحمنا يا الله ثم ارحمنا » .

وأنت ايها الأخ المحبوب تمسك بالصلاة بقدر ما تستطيع شاعرا انها
 سلاحك القوي الذي به تحارب وتنتصر وإن كان السيد له المجد قد قال
 « بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا » (يو ١٥ : ٥) فاحرص إذن أن
 تدخل الرب في كل عمل تعمله . التصق به طول يومك وخذ منه معونة خاصة
 في كل ما تقدم عليه من أمور .

مد تحارب منه ليس لديك وقت كاف وفي الواقع سامحني اذا قلت لك
سى لا تستطيع ان اوافئك على هذا . امل الى قلبك لاتفاهم معه . هناك
ضروريات لا شك انك مطالب بها . ولكن هل عمك طول يومك هو في
ضروريات فقط . الا توجد كمائيات تشغلك ؟ الا توجد خطايا تشغلك ؟
لا يشعر انه لا بد يوجد وقت ضائع لتفقدته في ما لا يفيد . اننى اتوسل
الك من اجل تحويل هذا الوقت الضائع الى عمل روحى على قدر ما تساعدك
لنعمة في التنفيذ ..

نقطة أخرى لا شك انك تدركها ، وهى ان عقلك آله دائبة العمل
لا تتوقف لحظة عن التفكير . ان لم تشغله في الروحيات انشغل ولا شك
في أمور أخرى . فالذى اريده منك هو عملية تحويل لجرى تفكيرك عندما
يكون مشغولا بأمور غير لازمه جوهرية لحياتك . مثال ذلك ، وانت سائر في
الطريق ، وانت في طرق المواصلات ، وانت في زحمة الخلطة مع الناس
لا شك ان عقلك يعمل . لماذا لا تشغله في عمل روحى فتستفيد روحيا وتنجو
من هزات وأخطاء كثيرة .. ؟

لقد نجح داود النبى في امر الصلاة نجاحا عجيبا . كان ملكا ، وكان
قائدا للجيش ، وكان قاضيا للشعب ، وكانت له أسرة كبيرة وزوجات
كثيرات .. وعلى الرغم من كل هذا استطاع ان يقول ، « محبوب هو اسمك
يارب مهو طول النهار تلاوتى » وكان يسمح الله « عشيه وباكروقت
الظهر » وعندهما يمضى الى النوم يقول « كتب اذكرك على فراشى وفي اوقت
الأسحار كنت ارنل لك » وقتل الأسحار كان يصلى « سبقت عيناى وقتى
السحر لالتو في جميع اقوالك » وفي نصف الليل ايضا يقول « في نصف الليل
نهضت لاشكرك على احكام عدلك » وفي النهار يقول « سبع مرات في
النهار سبحتك » . فمن أين كان الوقت لداود لنسب في كل هذا ؟ ان من
يكون له القلب يكون له الوقت ايضا . من يشتغل قلبه بحبه الله ، لا شك
انه سيجد وقتا للرب ، سيعرف كيف ينظم اوقاته ، ويلغى ما يمكن الغاؤه ،
ويتقصر ما يمكن تقصيره ، ويدخر من كل ذلك وقتا من اجل صلته المباشرة
بالرب .. وبالإضافة الى هذا يخطط اعماله الأخرى بعصر الصلاة فتتخللها
الصلاة وتعطيها حياة وقوة وروحانية ..

القرارات الروحية :

بالصلاة نتحدث الى الله ، وبقراءة الكتاب المقدس تستمع الى صوت
المتحدث اليك . ومن هنا كان الكتاب المقدس واسطة هامة من وسائط النعمة
تلمس بها مشيئة الله وتعرف قصده ، وتحصل على القوة الكامنة في كلامه
« لأن كلمة الرب حية وفعالة وامضى من كل سيف دى حدين .. »

(عب ٤ : ١٢) وبها يحيا الإنسان في الرب لأنه يحيا « بكل كلمة تخرج من فم الله » (متى ٤ : ٤) لا يقل أحد « اننى اقرأ ولا ائتمو في الروح » .
غنى الغالب ان هذا الإنسان لم يعرف بعد كيف يقرأ الكتب ، وكيف ينكشف الروح الذى تحمله الالفاظ فى داخلها . أخشى ان يكون واقفا يتأمل جمال الالفاظ من الخارج ولا علاقة له بالروح الذى فيها ..

أما انت ايها الأخ المبارك فاقرا الكتاب بالروح ، اطلب من الله ان يعطيك نعمة لتفهم كلامه المحيى . قل له مع داود « اكشف يارب عن عيني ، فتأمل عجائب من ناموسك . غريب أنا فى الأرض فلا تخف عنى وصاياك » . وحاول أن تفهم روح الكلام الذى تقرأه ، وتستخلص المعانى الروحية ، وتتأملها ، وتطبق على نفسك ، وتخرج بنتيجة عملية تنمى صلتك بالله ، وتختتم قراءتك بالصلاة طالبا من الرب معونة لتنفيذ وصاياه ومعترفا أمامه بنقائصك وخطاياك التى كشفتها القراءة ... فى كل مرة تقرأ ، اخلط القراءة بحياتك ، وخذ منها قوة ، واخرج بكل عملى وعزم جديد اعرضه على الله فى صلاة حارة ولتكن روحه معك ان تشاء وان تسعى ..

وان كانت قراءتك للكتاب لازمة هكذا لنموك ، فذلك ايضا تغذى روحك بالحب الالهى قراءة الكتب الروحية وسير القديسين . لست اقصد القراءة التى تحشو ذهنك بالمعلومات ، انما التى تملأ قلبك بالحب والنعمة والغيرة . اختر اذن نوع القراءة الروحية النافعة ، واقرأها بطريقة روحية ناعمة .

وسائل روحية أخرى :

ان كانت ائقراءة الروحية واسطة أساسية للنمو فى النعمة ، فينبغى أن نصح الى جوارها **التأمل** . التأمل فى آيات الكتاب المقدس نوع . وهناك أنواع أخرى تتدرج من التأمل فى الطبيعيات بتكشف الروحيات الموجودة فى المادة أو تناول الماديات بطريقة روحية ، الى تأمل فى موضوعات روحية معية أو فى فضيلة من الفضائل . أو قد يكون التأمل فى سير القديسين ، أو فى سنس الملائكة الروحانيين ، حتى يصل الإنسان الى تأمل فى الثالوث الإقدس ذاته وفى صفات الله الذاتية والنسبية .

من وسائل الروحية أيضا المطانيات ، وهى ليست مجرد سجود والا كسب مجرد عمر جسدى . انما المطانيات هى سجدات متوالية مصحوبة بصلوات قصيرة . قد تكون هذه الصلوات صرخات قلب نادم على خطاياهم . يعترف أمام الله فى المطانيات بنقائصه وعيوبه ، ويبكت ذاته أمامه .. وقد تكون صلوات أخرى حسب حالة قلبه .

يعورنا الوقت ان نكلهنا بالتفاصيل عن الوسائط الأخرى واحدة فواحدة .
 كالتصوم ، ومحاسبة النفس ، والتدرب الروحية ، والإعتراف ، والتناول ،
 والمواظبة على حضور الكنيسة في القداسات والاجتماعات الروحية
 والخدمة .. الخ ، انما نترك هذا الجزء من بستان الروح يحدثك عنها في
 شرح واسهاب .

كل هذه الوسائط لها غائدها العظمى . ولكنها لا يمكن ان تفيد اذا
 ما اخذت بطريقة جافة او حرمية ، او اذا تحولت الى مجرد عادات او ممارسات
 او فروض . انما تفيد اذا كانت تمارس بطريقة روحية ، وادما كانت النعمة
 تعمل بها . حينئذ تؤتى ثمرها في حينه ، وتقدم المرء يوما بيوما الى قلب
 الله .

ولقد شرح لك هذا الكتاب كثيرا من وسائط النعمة . وعليك ان تمارسها
 بنفسك وتختبر . وفي كل خطوة تخطوها ارفع قلبك الى الله واطلب منه
 نعمة تعينك . فليست الوسطة الروحية بذاتها هي التي تقدمك ، وانما نعمة
 الله التي تعمل فيك بها هي التي تستخدم الوسطة الروحية لخلالك .
 لذلك سميت « وسائط النعمة » .

تقدم اذن في طريق الله ، والرب معك يصنع بك عجائب . ارجو ان
 يكون هذا الكتاب واسطة من وسائط النعمة بالنسبة اليك ، يستخدمه الله
 ليثير محبته في قلبك ، ويجعل هذه المحبة تختلط بكل عمل روحي تعمله ،
 فتربط به روحك ، على الدوام ، والى غير انفصال ..

ومن كل قلبي اشكر قداسة الأب العزيز القمص شنودة السرياني على
 المجهود الكبير الذي بذله في هذا الكتاب على الرغم من امراضه ومشاغله .
 الهنا الصالح يكافئه خيرا في ملكوته .

٢٣ مارس ١٩٦٣ } تذكارات الانبا شنودة البهنساوي
 ١٤ برمهات ١٦٧٩

شنودة

ستف المعاهد السنية والتربية الكنسية

كيف ؟

« وجلس يسوع تجاه الخزانة ، » ينظر كيف يلتقى الجميع نحاسا فى الخزانة . وكان أغنياء كثيرون يلتقون كثيرا . فجاءت أرملة فقيرة والقت فلسين قيمتهما ربع . فدعا تلاميذه وقال لهم الحق أقول لكم . ان هذه الأرملة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقتوا فى الخزانة . لأن الجميع من فضلهم ألقتوا . وأما هذه فمما أعوزها ألقت كل ما عندها ، كل معيشتها »
(مر ١٢ : ٤١ - ٤٤)

جلس يسوع فى الهيكل تجاه الخزانة التى يقدم الناس فيها عطاياهم وتمدينانهم ، ونظر كيف يلتقى الناس تلك العطايا والتقدمات . . وكانت المفاجأة على عكس ما توقع الجميع . . أرملة لم تلق سوى فلسين وإذا بالرب يشهد عنها انها ألقت أكثر من جميع الذين ألقتوا فى الخزانة . .

ونحن نلاحظ فى هذا المقام ان الرب يسوع لم يجلس لينظر كم يلتقى الناس ، بل كيف يلتقون . ان « كم » هذه يستطيع الناس ان ينظروها ويدركوها ، أما « كيف » فما يستطيع أحد ان يدركها الا الرب وحده ، وما يستطيع أحد ان يقف على حقيقتها سواء . اننا نذكر هذا الأمر بمناسبة ما نحن بصددده من الحديث عن وسائل النعمة التى هى موضوع هذا الكتاب . .

ان الرب يسوع الذى جلس فى الهيكل تجاه الخزانة فى ذلك الزمان هو بعينه حال فى هيكلك الذى جبلته يده ، يرصد خزانة قلبك . . ان « كم » لا تهمة بقدر ما تهمة « كيف » . وهو مزيج ان يدين الناس فى يوم الدينونة العظيم حسب « كيف » وليس حسب « كم » . . انه سيسألنى :

كيف صليت ، وليس كم صلاة صلاتها ، وكم مزمورا حفظته ، وكم صلاة استظهرتها . فقد اكون قد صليت طويلا ولكن بدون روح ، فيعيد الرب على مسمى قوله « الروح هو الذى يحيى . أما الجسد فلا يفيد شيئا »
(يو ٦ : ٦٣) .

كيف صليت وليس كم ساعة كنت أصليها في اليوم . ربما وقفت طويلا
لصلاة . لكن عقلى كان يطوف في العالم اثناء الصلاة ، وكان ينبغى ان
أصلى بالروح وأصلى بالذهن أيضا « (١ كو ١٤ : ١٥) .

كيف صمت ، وليس كم يوما ولا حتى كم سنة صمتها ؟ ! هل كنت اصوم
عن طعام الجسد فقط ، أم كان صومى عن « كل شر بطهارة وبر » .. هل
كنت اصوم صوم الجسد أم صوم الروح . كيف كنت تأكل .. هل بشهوة
أم من أجل قيام الطبيعة وقوة الجسد .. ؟ !

كيف كنت أنصديق ، وليس كم من المال قدمت صدقة .. هل كنت
أنصدق من أجل مجد الناس أم محبة في الرب وفى عبده الذين هم أخوتى
« ان أعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحقر احتقارا » (نش ٨ : ٧) ..
لقد تحول غلبسا الأرملة في يد الرب الى قيمة كبيرة ، وذلك من أجل الدافع
المقدس الذى حركها الى تقديم « كل ما عندها ، كل معيشتها » ..

**ان الله سيسألنى كيف كنت امرا الكتاب المقدس وليس كم اصحاحا
او سغرا قراتها ..** وهل كنت أشعر بالفعل ان هذه القراءة كانت غذاء
لروحى أم انها مجرد قراءة ؟

**والله سيسالك أيضا كيف كان قلبك يلتهب من أجل تقديس اسمه
واتيان ملكونه ..** وليس كم من الزمان قضيته فى خدمته .. هل كنت
تخدم خدمه العين كمن يرضى الناس ، أم كعبد المسيح عاملا مشيئة الله
من القلب ..

كيف ... وكيف ... وكيف ؟ !

ان كيف هذه هي الروح التى تصنع بها الأشياء وتعمل ، وهى المحبة
التي بدونها كل اعمالنا باطنه . الله روح والذين يعبدونه يجب ان تكون
عبادتهم بالروح .. وهذه الروح هى « كيف » .

**ان الأرملة التى مدح السيد الرب عطاءها تفوقت على كل الذين دفعوا
قبلها ،** وسقت الذين زادوا عنها فى كم العطاء .. وهكذا اولون يكونون
آخرين ، وآخرون يكونون اولين .

من يظن ومن يصدق ان هذه الأرملة المسكينة دفعت اكثر من الجميع ..
ومن يصدق ان غلبسين قيمتهما ربع يصبحان أكثر من الدراهم والدنانير
الكثيرة .. من كان يصدق هذا لولا شهادة الرب ذاته الذى يفحص القلوب
ويعلم الدوافع والنيات ؟ !

بدون « كيف » يمكن للاغنياء أن يرثوا الملكوت بتقدماتهم وأموالهم ، ولكن انى لهم ذلك . ان الرب يسوع جالس تجاه قلبى وينظر كيف أتصدق ، كيف أصلى ، كيف أصوم ، كيف أجاهد ضد الأفكار ، كيف أتهرب الشهوات ، وكيف أحيى بالجملة . .

ان « كيف » هذه تدفعنى دائما الى النظر تجاه الله ، لانه هو الوحيد الذى يعرفها . اما الناس فلماذا أهتم بهم ، ولماذا أحاول الحصول على رضائهم طالما هم يحكمون حسب الظاهر !!

ان الكلام عن « كيف » يقودنا الى الكلام من خطأ آخر كثيرا ما نقع فيه ، وهذا الخطأ هو « عبادة الناس » . ونعنى به ان يهدف الانسان فى كل تصرفاته الى ارضاء الآخرين .

عبادة الناس

ماذا تستهدف من عبادتك وممارساتك التقوية ، هل تستهدف ارضاء الناس أم ارضاء الله ؟ اسمع يا أخى الرد من غم الرسول بولس « لو كنت بعد ارضى الناس لم أكن عبدا للمسيح » (غل ١ : ١٠) .. مفروض أن العبادة بجعلتها تقدم لله دون سواء ، فإن أنت استهدفت بعبادتك وبحياتك بجعلتها ارضاء الناس ، فهذه عبادة الناس . أنت فى هذه الحالة تعبد الناس حتى لو لم تشعر ، أو حتى لو أبیت أن تقر بذلك ..

وها نحن نستعرض أمامك بعض نواحي ممارساتك :

صلاتك :

ما هو شعورك حينما تقف للصلاة مع آخرين ؟ وماذا تفعل لو طلب اليك أن تصلى فى اجتماع ما ؟ ان البعض حينما يقفون للصلاة مع آخرين ويطلب اليهم أن يصلوا يرتبون صلاتهم ويزودونها بالآيات والامطلاحات المحفوظة .. انه فى كل لفظ من الفاظ الصلاة يجعل اعتبارا للمصلين معه . ان هذه الصلاة مقدمة للناس وليس لله . انطلق من عبادة الناس وأشعر انك بمفردك أثناء الصلاة حتى لو كنت تصلى مع ربوات من الناس .

وفى الكنيسة ايضا حينما تقف للصلاة اشعر انك بمفردك . لا تسجد لأن الناس يسجدون أو لأن الغالبية العظمى تسجد ، أو لأن بالكنيسة بعض الناس ممن يعرفونك ولديهم فكرة طيبة عن حياتك الروحية فى الكنيسة . كثير من الناس لا يدرون متى يقفون ومتى يجلسون ومتى يسجدون ، انها هم فى الكنيسة مقلدون . ويوجد فريق من هؤلاء المصلين يؤدون مظاهر العبادة الخارجية من صلاة وسجود لكى يظهروا أمام الناس . ان هؤلاء لهم صورة التقوى . ان هذه ليست عبادة لله ، بل للناس . لا تجلس لأن الناس يجلسون ؛ ولا تقف لأن الناس يقفون .. اشعر بهيبة المكان وقتل مع يعقوب اسرائيل « حقا ان الرب فى هذا المكان وأنا لم اعلم . ما ارهب هذا المكان . ما هذا الا بيت الله وهذا باب السماء » (نك ٢٨ : ١٦ ، ١٧) .. اشعر انك قائم أمام المسيح فلا تهتم بمن عداه . ان المسيح أمامك على المذبح .

صدقائك :

ولماذا نقدم عطائك للكنيسة أثناء خدمة القديس ؟ وهل تدفع لأن حامس الطين يعرفك فتحمل منه ، وهل يدمع قدرا كبيرا من النقود مجاملته له . أم هل تدفع لأن الجالس الى جوارك يعرفك ؟ ان دفعت من أجل هؤلاء سواء لسل مجدا منهم أو خجلا منهم فهدء عبادة الناس . رتب حياتك بطريقتك الخاصة ولا تخجل من انسان ، ولا تتصرف نصرعا معينا ابعاء مرعاه انسان كابد من كان هذا الانسان . هنا الانطلاق من عبادة الناس .

نذكر الأرمله التي دفعت الفيلسفين واذكر مديح الرب لصنيعها لأنه نظر كيف كانت تدفع . يشبه بها وتذكر كلمات الرسول : « كل واحد كما ينوي بقلته ليس عن هزن أو اضطرار . لأن المعطى المبرور يحبه الله » .

هناك كثيرون ممن يتبرعون للكنائس وليس لهم من هم الا ذكر اسمائهم حتى يمجدهم الناس .. مساكين هؤلاء الناس ، الا فليسمعوا الى قول الرب المحب « الحق أقول لكم ، انهم قد استوفوا اجرهم » .

خدمتك :

حينما نشعر بنعزيه في الخدمة اعط المجد لله . لا تحاول أن تأخذ المجد لنفسك . تحدث أحيانا كثيره ان الانفس يريد ان يطمئن الى مشاعر الناس من خدمته وماذا يقولون عنها وعنه .. فيسأل بعض المستمعين سؤالاً استنكاريا كأن يقول مثلاً « لقد كنت متعبا اليوم وشعرت ان كلمتي في الخدمة ماثرة » فيكون جواب هؤلاء الناس فيه مجاملة فيبدؤون في مدحه ومدح الخدمة . حينئذ يقول « أنا ضعيف .. ده عمل ربنا » . والواقع ان هذه التلميحات سيست له رضا .. انها عبادة الناس ، لا يجب أن نكذب على ذواتنا ونخدعها .

ومن مظاهر عبادة الناس في الخدمة :

خادم يعظ في اجتماع قروبين أو عمال أو مدرسي مدارس الأحد يدرس في فصل أطفال أو أولاد صغار .. ماذا حدث أن جاءت شخصية لها مكانتها لتستمع الى العظة أو الدرس فان هذا الخادم يبدأ في الارماع بمسوى كلامه منخطا بذلك مستوى المخدمين غير حاسب لهم حساسا لأنه في هذه حده يريد ارضاء هذا الكبير الذي دخل لستمع .. اليسف هذه لونا من سدة الناس . وأن لم تكن فماذا تكون أفن ؟ !

وهذا سملس يخدم بالكنيسة أثناء القديس سواء داخل الهيكل أو خارجة يعجب بصونه . ويقدم خدمته للناس لكي يعجبوا به

ويعدحوه .. مسكين هذا الإنسان الذى يترك المسيح الكائن على المدح
ويترك مرضاه ليرضى الآخرين .. يجب أن يكون مردات الشمامسة فى
روحانية وتقوى راتزان .

بركات الانطلاق من عبادة الناس :

*** نخلص زكا من عبادة الناس .** لم يكر فيها سيقوله الناس عنه حينما
ينسلق جديره محاكيا بذلك الصغار .. لكنها شهوة مقدسه تملكك على
فنه ، فقد « اراد أن يرى يسوع من هو » . من أجل هذا ترك المسيح
الجموع المحشدة على جانبى الطريق ونظر الى ذلك الإنسان الذى أحبه
ومسح قلبه لانتباهه .. وقال له « اسرع وانزل يا زكا لأنه ينبغي اليوم أن
كون فى بيتك » .. أن كلمة ينبغي معناها أنك الزمنى يا زكا تنصرت
هذا أن 'كون فى بيتك .. وهكذا نال زكا الخلاص هو وأهل بيته .

*** والمرأه الزانية** التى انتهزت فرصة وجود الرب فى بيت سمعان الفريسي
وجاءت من ورائه باكية حتى غسلت قدميه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها
ثم أخذت تقبلهما ودهنهما بالطيب .. كل الحاضرون فى البيت يتفامزون
عليها وعلى الرب نفسه وكانوا يقولون « لو كان هذا نبيا لعلم من هى المرأه
التي لسته وما حالها انها خاطئه » .

هذه المرأه تخلصت من عباده الناس ولم تقال بهمسانهم وعمرانهم ولم
تؤخر توبتها حتى يخرج يسوع من هذا المنزل الخاص بل نسيت كل هذا ..
كان أمامها هدف مقدس هو التوبه والخلاص . من أجل هذا استحققت أن
تسمع من الرب حكم براءتها « مغفوره لك خطاياك » .

*** ماذا يهمك من الناس حتى تتعبد لهم وتسعبد ذاتك لهم ..** انطلق منهم
واشمر أنك أنت أمام الرب دائما . أنا أولاد الله ومعه نطلب الرضا وحسن
الجزاء .

**ماذا ينبغي لو شهد العالم كله بقداسه سرى وتقوى . هل هذا
ينفعنى ؟**

ليبنى أكون للرب ومعه دائما مرددا الأنشوده الطوه :

« أنا لحبيبي وحبيبي لى » ..

الصلاة

« أسألوا تعطوا ، اطلبون تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم »
(مت ٧ : ٧)

- الصلاة : سموها واقتدارها .
- حاجتنا الى الصلاة .
- شروط الصلاة المقبولة .
- سر الصلوات المستجابة .
- من مشجعات الصلاة .
- تاخر استجابة الصلاة .
- كيف نصلي ؟
- بعض مشاكل الصلاة .
- الصلاة الدائمة .
- الصلاة وفق قانون .

الصلاة سموها واقتدارها

ما هي الصلاة ؟

لا محسب بـ خى هذا السؤال سهلاً هين . ولا تظن انك تستطيع الاجابه عليه فى سهوله ويسر . وهودا تلاميذ الرب انفسهم كانت تعوزهم هذه المعرفة . حتى انهم سألوه يوماً قائلين « يا رب علمنا ان نصلى » (لو ١١ : ١) . وحسب القديسون أيضاً فتوعت اجاباتهم فى تعريف الصلاة . لقد وصفتها كل قديس وكل رجل صلاة وصفاً خاصاً . ليس كما سمع عنها . ولا كما قرأ . ولكن كما اختبرها فى حياته المقدسه مع الهه . . فمن قائل انها مفتاح السماء ، وشفاء السقاء ، وحفظ الأصحاء ، الى قائل بانها سلاح بنار ، ومعين جبار ، وشفيع ذو اقتدار ، الى ثالث وصفها بانها ميناء أمين ، وكنز ثمين ، وعمل الروحانيين . .

قال القديس يوحنا ذهبى الفم « الصلاة سلاح عظيم . كز لا يعرف . غنى لا يستقط أبداً ، ميناء هادىء . . هي مصدر وأساس لبركات لا تحصى . هي قويه ، بل اشد من القوه ذاتها . . » .

ويعرف القديس باسيليوس الكبير الصلاة بانها « النفاق بالله فى جميع لحظات الحياه ومراقبتها . فصيح الحياه صلاة واحده . بلا انقطاع ولا اضطراب » .

ويعرفها القديس اغسطينوس مبيول : « هي مصباح اسماء . بقويمه يستطيع كل شئ . هي حمى موسيا . مصدر لكل الفصاح . تسلم اذى تصعده الى الله . هي عمل الملائكه . اساس الايمان . .

اما ماري اسحق ، العظيم فى العارفين ميعرهم ، بحكم احباراته فيقول « انصلاه هي ذكر الله الدائم فى قلب خائفيه . . هي طيران عقلنا لله . . هي نفع التسمير من جميع الأمور الحاضره ، وقتل مد شخص نظره بالكمال لاشتياق الرحاء الزممع . . الصلاة هي نصاب الاراده الحيه بالله ، الهينه عن الحيه اللحيمه . . الصلاة انحيقيه والموت عن العالم هب سواء . وهذا هو جحود الانسان لنفسه اى أن يكون مداوماً للصلاة . . الصلاة هي صراخ الفقل الذى يصرخ بدون اراده من حرقه القلب » .

الصلاة هي اداه اقتراب الانسان من الله ، فهي جوهر الدين س فنه . هذا دين يعبر مسلاه . هي تقدم الفرائض عهداً وأوسعها انتشاراً . ويعتمد

الكثيرون انها اقدم عهدا من الدلائل ، لانها اساس ادبائنا في كل الديانات . منذ العصور الاولى بدأ الناس « يدعون باسم الرب » . ان الصلاة امر فطري عزيز ، وهى من ادق الفعال والحالات النفسية التى يسع على المرء ان يجيد وصفها .. انها تتحدى كل وصف وكل مصدر ، وهى أعمق من كل لغة ينطق بها البشر .. الصلاة هى نبضات القلب المستمرة ، كلمات شفاهنا ، أفكار عقولنا ، أفعال حياتنا .. انها وصول أرواحنا الى مصدر النعمة ، كانية نقبل فيها عنصر الحياة والسلام ..

لسنا مبالغين فيما قلناه عن الصلاة .. يكفى ان الرب يسوع اعطاها كل القوة والافتقار ان تعمل « كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه » (مت : ٢١ : ٢٢) . من اجل هذا يوجه الرسول بولس انظار المؤمنين اليها . الى اهميتها ولويتها فيقول « فاطلب أول كل شيء ان تقام طلبات وصلوات واستهالات وشكرات لاجل جميع الناس .. لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله » (١ : ٢ : ١ - ٣) .. « لا تهتموا بشيء بل فى كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله » (فى : ٤ : ٦) .

سمو الصلاة :

رأينا أننا كيف ان الصلاة « تقتدر كثيرا فى فعلها » . ومن ثم لا نعجب اذا كان عمل الصلاة سام ومرتفع أكثر من كل عمل آخر .. وسمو الصلاة وعلاها ، عين الرب الملائكة لتقدمها اليه .. « وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب ، وأعطى بخورا كثيرا لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على منبح الذهب الذى أمام العرش . فصعد دخان انخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله » (رؤ : ٨ : ٣ ، ٤) . ان الصلاة التى تمارس حسنا نرضى الله كثيرا ، وتبهج الملائكة وكل السمائيين . وقد عبر يوحنا الرانى عن ذلك بقوله وهو يتحدث عن الأربعة وعشرين قسيسا « ولهم جامات من ذهب ملووة بخورا هى صلوات القديسين » (رؤ : ٥ : ٨) . ويقول ذهبى الغم « شبهت الصلاة بالخور لرائحتها الزكية ، ولأنها تظهر النفس من نفن الخلطة .. » . قال الملاك لطوبيا « لما كنت تصلى ، أنا قدمت صلواتك أمام الرب » (طوبيا : ١٢ : ١٢) .

قال مار اسحق « لأن المفاوضة الفردية مع الله هى عمل الرب السماوية ، وأظهرت للناس بابن الله الذى نزل الى عالمنا وأرانا عمل غير المنظورين .. لأنه بهذا التدبير عتيد ان يكون جميع البشر فى القيامة العامة .. الصلاة هى عمل مرتفع متعال على جميع الفضائل ، وفضيلة اشرف من كل الاعمال .. عمل القديسين بنى النور هو عمل ميخائيل وجبرائيل ، ومن مائدة واحدة يقتاتون » . وقال القديس يوحنا ذهبى الغم « حينما تصلى الا تتحدث مع الله ؟ أى امتياز مثل هذا !! » .

وهاك بعض اقوال الآباء عن سمو الصلاة ..

قال القديس يوحنا ذهبي الفم « تأمل » ، ما أعظم مرتبة السعادة التي ترتقى اليها بالصلاة ، وما أعظم شرف المجد المختص بها . **فانك تخاطب بها العالي ، وتذكر مع المسيح ..** بها تلتصق كل ما تشتهي . انه لا يوجد لسان يمكنه ان يصف مقدار شرف التردد مع الله ومقدار الفائدة المختصة به . لانه اذا كان الذين يعشرون في العالم اهل الحكمة والفتنة يصيرون حكماء وفقهاء بمذاكرتهم . وان كان الانسان يصير فاضلا بمعاشرة الافاضل ، فترى كم من الفوائد تصل الينا نتيجة المواظبة على التردد مع الله !! **قال المرتل : تقدموا اليه واسبقوا ..**

وتال ايضا **« ليس شيء اقوى من الصلاة . لا شيء يعادلها ..** انسان دخل ليحدث الملك بحديث خاص معه في حضرة كافة افراد الجيش من ضباط وقواد وذوى الرتب السامية المختلفة ، فالجميع سريتمونه بنظرة اكبار واجلال ، هكذا الذين يصلون . تصور انسانا يدخل في شجاعة واقدام ، ويتقدم من حضرة الملائكة والسارافيم والشاروبيم وكل القوات غير المتجسدة ، ويقرب من ملك هذه القوات جميعا ويتحدث معه . اى شرف هذا !! » . **وقال ايضا «** ان الصلاة تشبه عين ماء في وسط بستان . فكل شيء بدونها يابس غير مثمر . وكل شيء بواسطتها رطب مزهر مبهج . ان الصلاة تحفظ في حالة النضرة كافة الغروس المقدسة . اعنى الفضائل ..

فانما كان للصلاة هذا الشرف العظيم والاقتدارات التي لا تحد ، فكم يجب علينا ان نشكر الله على ذلك ! **لو حمد الله مثلا موعدا معيناً — كدفعة واحدة في كل شهر لاجابة طلب كل من يطلب ، افلا تعتبر هذه نعمة كبرى نشكر الله عليها ؟! ولو فعل ملك ارضي مع رعيته مثل هذا ، الا يحسب الناس ذلك منة عظيمة ؟! فان كان الامر كذلك ، فكم يجب علينا ان نعتبر النعمة المقدمة لنا من الله — لا مرة واحدة في الشهر فقط ، بل كل يوم وكل لحظة !! قال داود النبي « عشية وباكرا ووقت الظهر ، كلامي اقبله فيسمع صوتي ويخلص بالسلامة نفسي » (مز ٥٥ : ١٧ ، ١٨ .**

وثمة ميزة اخرى لسمو عمل الصلاة نلمسه مما قاله يوحنا كسيان : **« الصلاة هي دعامة الواجبات الثلاثة التي على الانسان المسيحي الاول صلته بالله . الثاني بنفسه . الثالث بالقرب . فواجبنا نحو الله نقوم به في الصلاة فندعو باسمه ونظهر حبنا واماقتنا له وایماننا به ونعترف به كمُنْبِع لكل البركات ..** اما واجبنا نحو انفسنا ، فبالصلاة نفتش ذواتنا ونقيس انسانا الروحي ، ونسعى لتكون اهلا لبنوة الله . واما نحو القريب ، فبان نسال ونطلب له كما لانفسنا » .

حَاجَتُنَا إِلَى الصَّلَاةِ

ما أكثر حاجة الإنسان للصلاة من أجل احتياجاته الروحية والجسدية معا .
إن العلاقة بين الصلاة وحياة الروح وثيقة لا تنفصم عراها . إن حياة الروح تتطلب — كأمير حيوى — حياة الصلاة المستمرة . نستطيع أن نكون تحت قيادة الروح بصفة دائمة ، إذا عشت حياة الصلاة المستمرة ..

بدون الصلاة لا تستقيم الحياة الروحية .. في الصلاة الشفاء من كل زللتنا ، وهى واسطة أمينة لصيانة ذواتنا في الفضيلة .. أنها كل شيء في حياة المؤمن الحقيقي لأنها هى الشركة مع خالقه .. إذا كنا أغصانا في الكرمة الحقيقية ، فلنحرص على وصول العصارة اللازمة لنا من الأصل دائما والا كان مآلنا الجفاف والسقوط ، وهذا ما نحصل عليه بالصلاة « **نعمة الثبات في الله** » .. أن الصلاة رباط متين يربطنا بالله ويشدنا بالسماوات ويقينا شر السقوط والانحراف .. أنها تخلصنا من كل الضوائق والمتاعب . وهى إذا امتزجت في الصلاة ، فليس من علاج لهذه الحالة إلا الالتجاء إلى الصلاة عينها !! ن الصلاة بالنسبة للحياة الروحية هى كأيدي بالنسبة للجسد . فاليد عضو عام للجسد كله ، ومع ذلك فهى آلة خاصة لذاتها ، تخدم ذاتها . فاليد إذا كانت مريضة ، فاليد تداويها ، وإذا كانت قذرة فاليد تغسلها ، وإذا كانت باردة فاليد تدفئها .. وبالعجلة فإن اليد تعمل كل شيء ، وهكذا الصلاة .

ما أقوى التشبه بين عملية التنفس في الإنسان ، ولزوم الصلاة له ..
فكما أن التنفس هو عملية ضرورية للحياة الجسدية ، كذلك الصلاة لازمة لنمو الحياة الروحية . إذا توقفنا عن التنفس ، فالنتيجة هى الموت الجسدى . وإذا توقفنا عن الصلاة فسيلاحقنا الموت الروحى . التنفس هو تمدد وتقلص الرئتين ليدخل الهواء اللازم للحياة إلى جسدنا ، والصلاة تجلب لنا محبة الله اللازمة لكياننا الروحى . توجد فوارق — ولا شك — بين التنفس والصلاة . فالتنفس عملية طبيعية آتية لا شعورية ، وبالجهد نستطيع إيقافها حتى لو أردنا . لكن الصلاة — من الناحية الأخرى — تحتاج إلى إرادة وجهد . أيسر أن تنفّس من ألا تنفّس ، لكن أيسر ألا تصلى من أن تصلى . يجب أن نتعلم كيف تصلى ، درجة درجة ، ونفصب نفصبا إلى ذلك ...

وكما ان جناح الطائر يتطلب الطيران ، وزعنفة السمكة تتشد الماء ، كذلك غريزة القلب تتجه الى الله . وحسنا عبر أحد المصنفين عن ذلك بقوله « قلبى مفتقر اليك ياربى . قلبى مفتقر اليك ! ما من عنصر فى كيانى يفترق اليك افتقار قلبى . فكل ما فى باطنى عداه — قد يقنع بهباتك : جوعى يشبعه القوت اليومى ، وعطشى يرويه الماء الأرضى ، وبردى يطرده نار الموقد . وتعبى تزيله الراحة الخارجية . ولكن ما من شيء خارجى يقوى على تطهير قلبى . ان هذا العالم لم يدخل قلبى فى حسابه . فقد حسب حسابا لعبنى وادنى . . لكنه لم يحسب قط حسابا لقلبى . . » .

ونستطيع ان نلمس حاجتنا الى الصلاة بالنظر الى النقاط الآتية :

١ — لانها سر النصر :

لا شك ان الصلاة هى سر النصر . ليس من يجسر على القول انه فى غير حاجة الى الصلاة . ومن يجسر على هذا القول ، انها يظهر ضمنا انه فى غير حاجة الى الله داته والى عون . قال القديس يوحنا ذهبى الهم « اذا لاحظت ان انسانا لا يحب الصلاة ، فاعرف فى الحال انه ليس فيه شيء صالح بالمرة . فالذى لا يصلى لله هو ميت وليست فيه حياة » .

ان ما رسمه الله فى علمه الأسمى ان يمنحه للنفوس ، رسمه ان يمنحه بواسطة الصلاة . « اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم » . .
انها تشبه سلم يعقوب الذى رآه فى رؤياه واصلا من الأرض الى السماء ، وعليه تصعد الملائكة وتحدّر ، انها لتقدموا طلباسا الى الله . ويأتوا من لدنه بالبركات . .

ما أضعف الانسان وما أكثر احتياجه الروحى والجسدى . وما أكثر أعدائه الروحىين !! انه ازاء كل ذلك يلجأ به حذا أن يردد على الدوام كلمات يهوشافاط ملك يهوذا حينما اجتمع عليه العمويون والمؤابيون « يا الهنا اما نقضى عليهم ، لانه ليس بيننا قوة امام هذا الجمهور الكثير الآتى علينا . ونحن لا نعلم ماذا نعمل ، ولكن نحو اعيننا » (٢ اى ٢٠ : ١٢) .

لقد كشف لنا الرب يسوع سر النصر على اعدائنا الروحىين حينما قال « هذا الجنس (الشيطان) لا يمكن ان يخرج بشيء الا بالصلاة والصوم » (مر ٩ : ٢٩) . . لقد خبر الآباء القديسون الصلاة فوجدوها هكذا ، وهذا ما حدا بأحدهم الى القول انه ليس شيء مرهوب للشيطان مثل ان يرى انسانا يصلى .

ذكر عن القديس تادرس المصرى انه حال وجوده داخل قلايته بالاستيقظ

انه شيطان محاولا الدخول فربطه خارج القلاية بصلاته . ووافاه شيطان
 ثن وحاول دخول القلاية فربطه القديس ايضا خارجها . ثم جاء شيطان
 ثالث ، فلما وجد زميله مربوطين ، قال لهما « ما بالكما واقفين هكذا
 خارج القلاية ؟ » فأجاباه « بداخل القلاية من هو واقف يمنعا من الدخول »
 مغضب هذا الاخير وحاول اقتحام القلاية . لكن القديس ربطه كذلك بصلاته .
 فضجت الشياطين من صلوات القديس . وطلبوا اليه ان يطلق سراحهم ،
 حينئذ قال لهم « امضوا واحزوا » فمضوا بخزي عظيم .

بعد ان ذكر القديس بولس انواعا مختلفة من الأسلحة الروحية ،
 لضاف هذه العبارة الاخيرة « مصليين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح »
 (اف ٦ : ١٨) . بحيث ان خوذة الخلاص وترس الايمان وسيف الروح
 الذي هو كلمة الله لا تغنى كلها عن الصلاة .

ما اكثر ما قاله الآباء القديسون في هذا الصدد . قال القديس اغسطينوس -
 « ليس احد من المدعوين يقدر ان يفوز بخلاصه بدون معونة الله ، ولا احد
 ايضا يستحق هذه المعونة الا بالصلاة » . . ويقول القديس يوهنا الدرجي
 صاحب سلم الفضائل « ان سر دوام النعمة والفضيلة هو في دوام الصلاة . .
 كل من يتوكأ على عكاز الصلاة لا تزل قدماه . . وحتى اذا زلت قدماه فهو
 لن يقع تماما ، لأن الصلاة سند للسائر في طريق التقوى » . وقال احد
 الآباء « الصلاة هي وسيلة نمونا الروحي . فكما انه تعالى رسم ان الجنس
 البشرى ينمو بواسطة الزيجة ، والارض تخصب وتثمر بالملاحة . . هكذا
 يرسم بتدبير عنايته الالهية ان النفوس تنال نعمة كثيرة بواسطة الصلاة .
 ولهذا قال السيد المسيح في الانجيل المقدس : اسالوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ،
 افرعوا يفتح لكم . لان كل من يسأل يأخذ ، ومن يطلب يجد ، ومن يقرع
 يفتح له » .

لقد دعاها اغسطينوس « مفتاح السماء » . وحقا انها مفتاح عظيم
 يفتح كل ابواب السماء وجميع خزائن الكنوز السماوية . بالصلاة يفتح
 أمامنا باب التوبة ونمنح المغفران . وفي ذلك يقول مار اسحق « الذي
 يتهاون بالصلاة ، ويظن ان له بابا آخر للتوبة ، فهو مخدوع من الشياطين » . .
 بالصلاة يسكن خوف الله في قلوبنا — ورأس الحكمة مخافة الله — وما اصدق
 ما قاله أحد الآباء « تهتف الصلاة ام العضائل هلم الى ايها البنون ، اصفوا
 الى ما علمكم مخافة الرب » (مز ٣٤ : ١١) .

واخيرا فان الصلاة تنجينا في يوم الدينونة العظيم . قال الرب يسوع
 « فاحترزوا لانفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة ،
 فيصادفكم ذلك اليوم بغتة ، لانه كالنخ ياتي على جميع الجالسين على وجه

كل الأرض . اسهروا اذا وتضرعوا في كل حين لكي تحسبوا اهلا للنجاة
من جميع هذا المزعج ان يكون ، وتقفوا قدام ابن الانسان » (لو ٢١ :
٣٤-٣٦) ..

٢ - وسيلة لتليل البركات :

وتأتي في مقدمة بركات الصلاة عطايا الروح القدس ، سواء في تقديس
الأسرار في الكنيسة او في حياتنا الخاصة .. قال الرب يسوع : « فان كنتم
وانتم اشرار تعرفون ان تعطوا اولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحرى الاب
الذى من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه » (لو ١١ : ١٣) ..
ولما صلى الرسل عقب تهديدات رؤساء الكهنة نتيجة شفاء الأعرج « تزعزع
المكان الذي كانوا مجتمعين فيه وامتلا الجميع من الروح القدس وكانوا
يتكلمون بكلام الله بمجاهرة » (أع ٤ : ٣١) .

والحق ان ثمة علاقة قوية بين الروح القدس والصلاة . فالروح القدس
هو « روح الصلاة » .. لقد دعى هكذا في (زك ١٢ : ١٠) « وانفيض
على بيت داود وعلى سكان اورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون
الى ... » . وفي رسائل القديس بولس اثير اليه مرتين بصدد الصلاة
« اخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا ابا الاب » (رو ٨ : ١٥) ، « ارسل
الله روح ابنه الى قلوبكم صارخا يا ابا الاب » (غل ٤ : ٦) . لقد
استخدم الرب يسوع نفس الكلمات « يا ابا الاب » في صلاته الخدامية
في جشيماتي (مر ١٤ : ٣٦) . في احدى الايتين السابقتين للقديس بولس
نقرا كلمة « نصرخ » ، والآية الأخرى نقرا كلمة « صارخا » اى ان الروح
القدس نفسه هو الذى يصرخ .. ولا شك ان هذا يوضح مقدار معونة الله
للبشر في الصلاة !!

ولعل الامر يتضح اكثر اذا تأملنا كلمات بولس الرسول التى اوردها
في رسالته الى اهل رومية « وكذلك الروح ايضا يعين ضعفانا . لاننا
لسنا نعلم ما نصلى لاجله كما ينبغى ، ولكن الروح نفسه يشفع غينا بقلات
لا ينطق بها . ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هى اهتمامات الروح .
لانه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين » (رو ٨ : ٢٦ ، ٢٧) . وواضح
من كلام الرسول اننا اذا تركنا لانفسنا فاننا لا نعرف كيف نصلى ، ولكن
روح الله يتدخل ويلتقى معنا في ضعفنا « ويشفع غينا بأنات لا ينطق بها » ..

**ان الصلاة تؤهلنا لبركات روحية كثيرة نلمس بعضها مما قاله مار
اسحق السرياني :**

- « وليس فقط تكون الحروب عند المصلى كلاً شيء ، بل انه يزدري ايضاً بالجسد الذى هو سبب القنات » .
- « بالصلاة يكمل عمل التوبة الذى هو ندم النفس والحزن ، وبها ايضاً تتحرك النفس الى حركات تقوى سائر الحركات الجسدية والنفسانية ، تلك التى يسميها الآباء التدبير الروحاني » .
- « من مداومة الصلاة ينمو في المصلى ويتوفر له الحياء والحشمة من الله . . بل من داوم الشخوص و لقاء الله في الصلاة ، تخاف الآلام من الخوف اليه كيفما اتفق » .
- « اذا ما اتحد الهذ بالصلاة الفقية ، عند ذلك يكمل قول السيد : حينما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمى هناك اكون في وسطهم ، ويعنى بالثلاثة النفس والجسد والروح ، او العقل والهذ والصلاة الطاهرة » .
- « لان حرارة الصلاة والهذ تحرق الآلام والأفكار كمثل النار » .
- « اعط نفسك لعمل الصلاة ، متجد الشيء الذى لا تقدر ان تسمعه من أحد ، لأن ليست في أحد كفاية لسماعه » !!
- « لان الدالة عند الله تعالى انما تتكون من مواصلة مفاوضته ومداومة محادثته في الصلاة » .
- « ويوضح مار اسحق ان بالصلاة نفتى النقاوة تلك التى بها نعاين الله ، فيقول « ليس بالعلم الكثير والكتب المخططة نفتى النقاوة او نجدها ، بل بالاعتناء بالصلاة » .
- « وأخيراً يوضح لنا هذا القديس اننا بالصلاة نصل الى الحب الإلهى الذى هو اسمى الفضائل والدرجات » وان كانت درجة الحب الإلهى أرفع من الصلاة ، الا انه بدون التضرع والصلاة والدموع المحزونة الدائمة مع السهر والنسك ما يقتضى الحب » .
- وهكذا نرى ان الصلاة تؤهلنا لرحمة الله ومعاونته ونعمته . قال معلمنا بولس « لننتقدم اذا بثقة الى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه » (عب ٤ : ١٦) . وما أحوج الإنسان الى رحمة الرب ونعمته . ان كل كنوز الرحمة والنعمة مدخرة لمن يطلب « اطلبوا تاخذوا ليكون فرحكم كاملاً » (يو ١٦ : ٢٤) . ولعل هذه الآية الأخيرة توضح لنا ايضاً ان الصلاة هي الطريق الى الفرح الكامل — ليس فقط لاننا نأخذ عن طريقها ما نطلب ، ولكن ما هو أعمق من ذلك واجمل . ان الصلاة تجعل من الله حقيقة ملموسة ، فعندما نطلب من الله شيئاً بذاته ويمنحه لنا ، يصير لنا الله لا مجرد فكرة خيالية ، بل حقيقة حية قوية . انه لا يوجد في السماء رعلى الأرض فرح يعدل فرح الشركة مع الله . فرح الصلاة

هذا هو الفرح الذي تحدث عنه المرنم كبركة « أمامك شمع سرور »
(مز ١٦ : ١١) .

ويعوزنا الوقت ان نذكر بالتفصيل جميع البركات التي ننالها بالصلاة ..
والحق ان الرب قد عين الصلاة وسيلة بها ننور بنعمه وبركاته كلها ...
ويوضح ذلك يعقوب الرسول ايضا قائلا بقوله « **لستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون** » (يع ٢ : ٢) . وهكذا اذا استعرضنا نواحي الضعف في حياتنا الروحية ومظاهر الفشل والفتور في الخدمة الكنسية عامة ، وحاولنا تفهم اسبابها ، لوجدنا ان الاجابة على كل ذلك في كلمات الرسول السابقة « **لستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون** » .

٣ — مثال الرب يسوع :

ليس ادل على لزوم الصلاة للانسان وحاجته الماسة اليها من انها كانت جزءا هاما من حياة السيد المسيح وهو في الجسد . قال العلامة ترنتيانوس « **وماذا يمكن ان يكون أكثر من هذا ليشعرنا بأهمية الصلاة ، الرب نفسه صلى !!** » . ومع انه لم يكن في حاجة الى الصلاة لانه دفع اليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض (مت ٢٨ : ١٨) ، لكنه ترك لنا مثالا لكي نتبع خطواته (١ بط ٢ : ٢١) .

فحين اعتمد « **كان يصلى** » فانفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس (يو ٣ : ٢١ ، ٢٢) . وعقب شفاء حماة سمعان من الحمى ، خرج « في الصباح باكرا جدا .. الى موضع خلاء وكان يصلى هناك » (مر ١ : ٣٥) . وقبل اختيار تلاميذه الاثنى عشر « خرج الى الجبل ليصلى ، وقضى الليل كله في الصلاة » (لو ٦ : ١٢) . وفي حادث التجلي « أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد الى جبل ليصلى ، وفيما هو يصلى ، صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضا لامعا .. » (لو ٩ : ٢٨ ، ٢٩) !! ثم تقرأ عن صلاة الرب يسوع الرائعة الواردة في (يو ١٧) اثنى صلى فيها عن ذاته وعن تلاميذه ولأجل جميع الذين يؤمنون به بكلامهم .

٤ — مثال الرسل انفسهم :

والرسل — تلاميذ الرب — قادة الكنيسة الاولى ، جعلوا للصلاة المقام الاول في حياتهم .. فحين ارادوا ان يختاروا تلميذا عوضا عن يهوذا الخائن صلوا موقعت القرعة على متىاس (أع ١ : ٢٤ — ٢٦) . وبعد حلول الروح عليهم في يوم الخمسين يصفهم كاتب سفر الاعمال بأنهم كانوا مواظبين على الصلوات (أع ٢ : ٤٢) . وبعد حادث شفاء الأعرج من بطن امه ، وتهديد رؤساء الكهنة لهم ، اجتمعوا جميعا « ورفعوا بنفس واحدة صوتا

الى الله .. » . « ولما صلوا ترمزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه .
وامتلا الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة »
(ا ع ٤ : ٢٤ - ٣٠) . وعندما كثرت عليهم المسئوليات وفكروا فى اقامة
سبعة شمامسة كتبت حجتهم « لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم
موائد فانتخبوا ايها الاخوة سبعة رجال منكم .. فنكتبهم على هذه الحاجة .
واما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة » (ا ع ٦ : ٢ - ٤) .
وحينما قبض هيرودس على القديس بطرس والقاء فى السجن وكان مزمارا
قتله ، يقول كاتب سفر الاعمال « كان بطرس محروسا فى السجن . واما
الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة الى الله من اجله » (ا ع ١٢ : ٥) .
ولما أُنقذ بطرس بواسطة ملاك وقصد بيت مريم أم مرقس ، كان هناك
« كثيرون مجتمعين وهم يصلون » (ا ع ١٢ : ١٢) . .. ونستطيع أن نفهم
الآن فى سهولة ويسر سر قوة الكنيسة الاولى .. السبب أنها كانت
« كنيسة صلاة » ..

واذا أخذنا القديس بولس كنموذج للرسول ، فاننا نجد أن رسائله
عامرة بغنى التعبد وعمق السجود والابتهاال وغيبض الشكر .. تتم رسائل
هذا الرسول من غنى حياته الروحانية بلغة تعبوية خشوعية ، تسمو بالنفس
الى محضر الله .. وعن غير قصد رسم بولس فى رسائله صورة لنفسه فى
مراحلها المختلفة ، من اجتيازها ظلام الليل الدامس ، الى بلوغها نور
النهار . ومن مبارحتها سجن الخطية الى تمتعها بحرية مجد أولاد الله .
وقد عبر عن كل هذا بتعهدات عميقة وتضرعات قوية ، تفيض بها رسائله .

لقد خلق بولس فى جو الصلاة الاعلى .. لقد تلقى من الله اعلانا
مباشرا عن ارادته تعالى من جهته (غل ١ : ١٢ ، ٢ ، ٢) ونال من الله
اجابات عن صلواته « لانه وقف بى فى هذه الليلة ملاك الاله الذى انا له ،
والذى اعبده ، قائلا لا تخف يا بولس . ينبغى لك أن تقف أمام قيصر ،
وهو ذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك » (ا ع ٢٧ : ٢٣ ، ٢٤) .
فلا عجب اذا أردف « لذلك سرروا ايها الرجال لأنى اؤمن بالله انه يكون
هكذا كما قيل لى » .

أن من يتصفح حياة ذلك الرسول يشعر انه كان فى شركة دائمة مع
الرب ، شاعرا بوجوده دوما فى حضرة القدير .. وحين أوصى المؤمنين فى
تسالونيكي قائلا « صلوا بلا انقطاع . اشكروا فى كل شيء » (١ تس ٥ :
١٧) ، انما كان يترجم عن حياته هو .. اننا لا نشك فى أن حياة بولس
الروحانية تفسرها تلك العبارة الموجزة التى كتبت عنه فى مطلع حياته الجديدة ،
والتي املت الى هاتيا فى دمشق « هو ذا يصلى » (ا ع ٩ : ١١) .

وحتى في احوالك الاوقات كان بولس يصلى . فحينما كان مسجوناً في فيلبى ومعه سيلا ، وبينما كان ملقى في السجن الداخلى ، وكانت رجلاه مضبوطتين في المقطرة .. بينما الجميع نيام ، اذا ببولس في نصف الليل يصلى ويسبح الله ، حتى ان زلزلة عظيمة حدثت بفتة زعزعت اساسات السجن فانفتحت الابواب كلها في الحال وانفكت قيود الجميع (اع ١٦ : ٢٤-٢٦) !!

لقد طلب بولس لأجل نفسه ، وصلى لأجل الآخرين ، وتضرع لأجل الكنائس التى أسسها ، وابتهل لأجل اسباط اسرائيل ، وتوسل لأجل كل العشيرة البشرية ..

وفي امكاننا ان نلمس روح الصلاة الملتهبة التى كانت تعتمل في نفس ذلك القديس المبشر .. « فان الله الذى اعبدته بروحى في انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع اذكركم متضرعا دائما في صلواتى ... » (رو ١ : ٩ ، ١٠) « لذلك انا ايضا اذ قد سمعت بايمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين ، لا ازال شاكرا لأجلكم ذاكرا اياكم في صلواتى » (اف ١ : ١٥ ، ١٦) .. « من اجل ذلك نحن ايضا منذ يوم سمعنا لم نزل مصلين و طالبين لأجلكم .. » (كو ١ : ٩) .. « طالبين ليلا ونهارا أوفر طلب ان نرى وجوهكم ونكمل نقائس ايمانكم » (١ تس ٣ : ١٠) .. « انى اشكر الله الذى اعبدته من اجدادى بضمير طاهر كما اذكرك بلا انقطاع في طلباتى ليلا ونهارا » (٢ تي ٣ : ١) .

اقتدار الصلاة

لا جدال في ان للصلاة قوة . فأكثر الناس روحانية وارسخهم ايمانا ، والآباء الاولون ، والأنبياء والرسل .. كل هؤلاء وجدوا في الصلاة قدرة . ان الاتصال بالله وبالعالم غير المنظور ليس فقط أمرا واقعيا محققا لدى المصلين ، بل هو ايضا مصحوب على الدوام بقوة فعالة ينوشع بها من يصلون « اما منتظرو الرب فيجددون قوة ، يرفعون اجنحة كائناتسور ، يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون » (اش ٤٠ : ٣١) .

عندما تنتم الدائرة الكهربائية بين قطبين مختلفين ، تسرى الكهرباء ، فتسير مصدريج وتدير آلات .. الخ . وهكذا الانسان حينما يتم اتصاله بالله بالصلاة الحقة ، فانه يستثير وينال قوة جبارة بها يستطيع ان يعمل كل شيء .. الاعمال التى عملها المسيح وأعظم منها (يو ١٤ : ١٢) .

عندما يمسك الانسان بالله في الصلاة ، يمسك الله بالانسان .. « غير ينادى عمرا .. كل تياراتك ولججك طمت على » (مز ٤٢ : ٧) . غير يؤسنا ينادى غير مراحم الله .. اننا نمسدل على اقتدار الصلاة من طبيعتها ، ومن اختبارنا ، ومن شهادة كلمة الله سواء اكانت مصوغة في قالب وصية او وعد او مثال .

تديما تحدث الرب الى موسى النبي من جهة الفير قال « يكون اذا صرخ الى انى اسمع . لاني رؤوف » (خر ٢٢ : ٢٧) . واعطى سليمان هذا الوعد العظيم بعد ان بنى الهيكل « قد سمعت صلاتك واخترت هذا المكان لى بيت ذبيحة .. اذا تواضع شعبى الذين دعى اسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الرديئة ، فانتنى اسمع من السماء واغفر خطيتهم وابرى ارضهم . الان عيناي تكونان مفتوحتين ، وانناى مصفيين الى صلاة هذا المكان » (٢ اى ٧ : ١٢ - ١٥) وسفر الزامير مشحون بالمواعيد الالهية التى تؤكد لنا استجابة الصلاة واقتدارها (مز ٩ : ١٢ ، ١٠٠ : ٧ ، ٣٤ : ١٥ ، ٣٧ : ٤ ، ٥٦ : ٩ ، ، ، ٦٢ : ٥ ، ٦٩ : ٣٣ ، ٨١ : ١ ، ٨٦ : ٥ ، ٩١ : ١٥ ، ١٠٢ : ١٧ ، ١٤٥ : ١٨) .. « التفت الى صلاة المضطر ولم يرذل دعاءهم .. لانه اشرف من علو قدسه . الرب من السماء الى الارض نظر ، ليسمع انين الاسير » (مز ١٠٢ : ١٧ - ٢٠) .. ومن يتصفح كتابات اشعيا وارميا وحزقيال ويونيل وعاموس وصفنيا وزكريا ، يجدها كلها عامرة بالمواعيد العظمى والتمنية لكل من يصلى .

اضف الى ذلك ان الباب الذى لم يكن فى العهد القديم مفتوحا الا جزئيا ، اضحى فى العهد الجديد مفتوحا على مصراعيه ، وهو يقدم لنا بسعة التمتع بمواعيد الهنا العظمى التى جعلها فى متناول كل من يصلى : « اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . لان كل من يسأل يأخذ . ومن يطلب يجد . ومن يقرع يفتح له » (مت ٧ : ٧ ، ٨) ثم يردف ذلك بتأكيد قاطع خيقول رب المجد « أم أى انسان منكم اذا سأل ابنه يعطيه حجرا ، وان سألته سمكة يعطيه حية . فان كنتم وأنتم اشرار تعرفون ان تعطوا اولادكم عطشاىا جيدة ، فكم بالحرى ابيكم الذى فى السموات . يهب خيرات للذين يسألونه » (مت ٧ : ٩ - ١١) .. « ان اتفق اثنان منكم على الارض فى أى شىء يطلبانه مانه يكون لهما من قبل ابي الذى فى السموات » (مت ١٨ : ١٩) .. « كل ما تطئونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه » (مت ٢١ : ٢٢) .. « الحق الحق اقول لكم ان كل ما طلبتم من الاب باسمى يعطيكم » (يو ١٦ : ٢٣) ..

من اجل ذلك تقدم المؤمنون فى كل زمان بثقة الى عرش النعمة فنالوا رحمة ووجدوا نعمة عونا فى حينه (عب ٤ : ١٦) .. صلوا لاجل انفسهم ولجل الآخرين ولجل الكنيسة ، لانهم عرفوا ان (طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها » (يع ٥ : ١٦) .. وكم من معجزات تمت وما زالت تتم بواسطة الصلاة ، ولنا فى الصلوات المستجابة الدونة فى الكتاب المقدس ادلة اكثر اقتناعا من المواعيد التى اوردها . فابراهيم ويعقوب وموسى وجدعون وداود وايليا واليشع وآسا ويهوذاشافط وحزقيا واشعيا ومنسى ودانيال وارميا . كل هؤلاء يشهدون بحياتهم وصلواتهم المستجابة لاقتدار الصلاة .

شُرُوط الصَّلَاةِ المقبولة

هناك بعض نقاط يجب مراعاتها في المصلى والصلاة حتى تكون مقبولة :

١ - من قلب طاهر :

القلب الطاهر هو هيكل لله ومسكن النالوث . . وحيث الله فهناك كل ما يحتاجه المؤمن . هناك معوقات للصلاة ، الأمر الذي أشار إليه القديس بطرس بقوله « لكى لا تعاق صلواتكم » (١ بط ٣ : ٧) . ولعل أهم ما يعوق الصلوات هو الشهوات الكامنة في القلب . . قال القديس نيلس السيناتى « الرجل المقيد لا يستطيع أن يجرى ، والعقل المرتبط بالشهوات لا يرى موضع الصلاة الروحية . وغرق ذلك فانه دائما ممسوك ومنجذب الى هنا وهناك بواسطة أفكار شهوانية » . ما أجمل تعبير اشعيا النبي « ها ان يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع ، بل أتاكم صارت غاصلة بينكم وبين الحكم ، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع » (اش ٥٩ : ١ ، ٢) . . وقد عبر الوحي الالهى على لسان حزقيال النبي عن ذلك بكلمات أخرى فقال « يا ابن آدم هؤلاء الرجال قد اصعدوا اصنامهم الى قلوبهم . . فهل اسأل منهم سؤالاً ؟ ! » (حز ١٤ : ٣) . ما أدق تعبير الوحي الالهى في القول السابق « اصعدوا اصنامهم الى قلوبهم » !! ما أكثر الشهوات التى ملكت على قلوبنا بارادتنا تلك التى يعبر عنها الوحي بالاصنام .

والقلب الطاهر ليس هو القلب الذى قد تطهر من الخطية فقط ، بل ايضا القلب غير المنقسم على ذاته ، ونعنى بذلك القلب الذى يفرج بين محبة الله ومحبة العالم . هذا ما عناء الله ، وشدد في القول « تطلبوننى فتجدوننى اذا تطلبوننى بكل قلوبكم » (ار ٢٩ : ١٣) . . وقال داود العظيم « بكل قلبى طلبتكَ » (مز ١١٩ : ١٠) .

ما أكثر البركات التى نالها بالصلاة الخارجة من قلب طاهر . قال ملاسحق « كما أن المذبح الذى تقدم عليه الأسرار ، ان لم يفرز ويكرس ، ان اصعدت عليه القرابين لا تدمى ذبيحة محببة جسدينا ودمه ، بل خبث ساذج وليس ذبيحة مقبولة ، حتى ولو قدس عليه رئيس الكهنة بصلوات

متواترة ، هكذا منبج القلب الداخلي الذي لم يتلهم ولم يكمل بنور عدم الآلام (الخطايا) وتقدس بحلول الروح القدس ... » .

٢ — بحسب مشيئة الله :

قال يوحنا حبيب الرب يسوع « ان طلبنا شيئا حسب مشيئته يسمع لنا » (١ يو ٦ : ١٤) . أى ان كل شيء نسأله يجب ان يكون متفقا مع محبته وحكمته الكاملتين ، فإله الذى امرنا بان نطلب ، ووعدها ان يستجيب ، لا يتخلى عن حكمته من أجل جهلنا ، وذلك فى حالة طلب شيء فى غير صالحنا مثلا !! لاننا « لا نعرف ما نصلى لأجله كما ينبغي » (رو ٨ : ٢٦) . يحدث أحيانا اننا نطلب ونصلى من أجل شيء بلهفة وحماسة ولا يستجيب الله . ويكون الأمر بحسب نظرنا واضحا باننا على صواب . ولكن ما ان تمر الايام حتى يتأكد لنا انه كان من الأفضل عدم استجابة الله لتلك الطلبات .

ما اشبهنا فى مثل هذه الحالة بصبي يصيح بدموع طالبا شيئا ضارا كقطعة آلية ذات حد مدبب استهواه بريقها . لكن لا شك فى ان محبة ابيه هى التى منعت عنه ذلك الشيء . . قال القديس يوحنا ذهبى الهم « الله يعرف بالضبط الساعة التى اذا ما اعطانا فيها الشيء يكون حينئذ ذا نفع لنا . الطفل يصيح ويحتج ويغضب ليأخذ السكين ، ومحبة الأبوين تأبى اعطائه اياها . هكذا الرب يعاملنا . انه يعطينا أفضل مما نطلب » .

وثمة أمر آخر يلفت الرسول بولس نظرنا إليه خاص بهذه النقطة ، وهو يبين جهلنا فى صلواتنا . انه يؤكد لنا اننا فى ضعفنا وعلى بصيرتنا نجد معونة الروح القدس الذى « يشفع فى القديسين » — لكن حتى الروح القدس الذى هو الله ذاته ، يقوم بهذه الشفاعة — كما بوضع الرسول — بحسب مشيئة الله « لكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح ، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » (رو ٨ : ٢٧) .

ورب قائل يقول فلماذا أصلى اذن طالما اننا لا أعرف ما هى ارادة الله . فلاترك الأمر لله الكلى الخير والصالح والحكمة ، وهو يعلم ما احتاج إليه . لكن السيد المسيح علمنا اللجاجة فى الصلاة فى حديثه عن الأرملة وقاضى الظلم ، وانه ينبغي ان يصلى كل حين ولا يمل (لو ١٨) . ان السيد المسيح فى صلاته فى البستان ليلة الآمه ، طلب الى ابيه ثلاث مرات ان تعبر عنه الكأس ولكنه أضاف قوله « ولكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك » (لو ٢٢ : ٤٢) . فلنقدم ما شئنا من الطلبات الى الله ، متمسكة بنفس هذه الطلبة « ولكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك » . نقولها بقلب ممثلى من روح التسليم . . هذا هو ما دعانا الرب إليه فى الصلاة الربانية حينما نقول « لكن مشيئتك » .

السيد المسيح في حديثه الأخير في العلية - كما أورده القديس يوحنا الإنجيلي - أوصى تلاميذه ، مرة تلو مرة ، بتكرار عجيب ، أن يطلبوا باستمرار طلباتهم « باسمه » ، وهكذا تجاب صلواتهم .. خمس مرات أكد الرب على تلاميذه أن يقدموا صلواتهم باسمه :

« مهما سألتم باسمي فذلك أفعله .. ان سألتم شيئاً باسمي فاني أفعله » (يو ١٤ : ١٣ ، ١٤) .. « لكي يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمي » (يو ١٥ : ١٦) .. « الى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي ، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً » (يو ١٦ : ٢٤) .. « في ذلك اليوم تطلبون باسمي » (يو ١٦ : ٢٦) .

وليست الطلبة هي وحدها التي تقدم « باسمه » المبارك ، ولكن اجابة الطلب ايضا ، تعطى في قوة اسمه القدوس . نلاحظ ان السيد المسيح قال لتلاميذه « في ذلك اليوم » (يو ١٦ : ٢٣) .. هذه العبارة ترتبط بكلامه السابق (يو ١٦ : ٧ - ١٦) ، وقد تحدث فيها عن وعده بارسال الروح القدس وعمله . فحينها يقول « في ذلك اليوم » انما يقصد الوقت الذي يكون الروح القدس قد حل فيه على المؤمنين .. لكن ليس قبل « ذلك اليوم » . لاننا بدون روح الله لا نستطيع أن نفعل شيئاً . في البداية كل شيء انتظر يوم الخمسين ، والان ايضا كل شيء يتوقف على عمل الروح لدينا .. كل شيء يتوقف على الروح القدس . فبدون الروح القدس ليس لدينا حتى مجرد القوة لنعترف بربوبيته « ليس احد يقدر أن يقول يسوع رب الا بالروح القدس » (١ كو ١٢ : ٣) .

لكن ما معنى الصلاة باسم المسيح، ولماذا يجب على ان اقدم صلواتي باسمه؟ معلوم ان الانسان كان في حالة عداوة مع الله قبل الفداء الذي تم بالمسيح . ثم صولح مع الله بموت ابنه (رو ٥ : ١٠) ، لكنه لا يرى هذا الصلح ، بل ينال غضب الله بخطاياه وآثامه الفعلية ، وكما ذكر الرسول ان « اجرة الخطية هي موت » (رو ٦ : ٢٣) ، وهكذا يعكر صفو هذا الصلح والسلام بخطاياه .. ما اثبه الانسان في هذه الحالة - والتشبيه مع الفارق - بمن يتقدم الى بنك معين ويقدم له شيكا ليصرفه ، وهو لا يملك رصيда في هذا البنك . قطعاً سيرفض موظف البنك اعطاءه شيئاً . لكن اذا تقدم للبنك بشيك مهور باسم شخص له رصيـد ، فقطعاً سوف يصرف له في هذه الحالة قيمة الشيك .. هكذا نحن ايضا ليس لنا استحقاق لدى ابينا السماوي ، ولكن لنا استحقاقات عجيبة في ابنه يسوع المسيح ربنا « لانه لنا ايها الاخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع » (عب ١٠ : ١٩) .

من أجل هذا فإن الكنيسة تقدم كل طلباتها بهذه الطريقة « بالمسيح يسوع ربنا » ، « بالنعمة والرفات ومحبة البشر اللواتي لأينك الوحيد ، ربنا والهناء ومخلصنا يسوع المسيح .. » . والحق أننا — فيما نفعل ذلك — إنما نذكر الله بمحبته ورحمته وغدائه وموته عنا الذي تم في المسيح وبه . لقد وهبنا الرب يسوع أن نستعمل اسمه ، وأن نقدم طلباتنا لألب السماوى باسمه لكى ننال به وفيه كل احتياجاتنا .

٤ — فى طاعة كاملة :

نفس الرسول يوحنا الذى حدثنا عن مواعيد الرب باستجابة طلباتنا ان كانت حسب مشيئته ، وقدمت باسمه ، هو الذى يعلن لنا عن شرط آخر من الشروط التى تجعل صلواتنا مقبولة . يقول « مهما سلطنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ، ونعمل الأعمال المرضية أمامه » (١ يو ٣ : ٢٢) . انه يوضح لنا هنا سر الاستجابة — أننا نحيا حياة الطاعة المؤمنة .. « لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه » .

ليتنا نتأمل فى عمق وقوة تلك الكلمات المباركة « مهما سلطنا ننال منه » .. ليست هناك صلاة قصيرة أم طويلة تقصر عن بلوغ هدفها . لكن السر يكمن وراء كلمات الرسول « لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه » . قد نتساءل كثيرا : لماذا لا ننال ما نسال فى الصلاة ؟ لماذا لا نستطيع ان نقول مع الرسول مهما سلطنا ننال منه ؟ ان السبب لا يكمن فى أن يوحنا كان رسولا ونحن مجرد مؤمنين عاديين ، لكنه كامن فى أن يوحنا استطاع ، ان يحفظ وصايا الله ويعمل الأعمال المرضية أمامه .. فهل نستطيع نحن أن نفعل هكذا ؟ ! قال الرب يسوع « طعماني أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأنتم عملوه » (يو ٤ : ٣٤) .. ما أجمل الكلمات التى نطق بها الوحي الالهى على لسان القديس بولس الرسول عن الرب يسوع « ثم قلت هأنذا اجيء فى درج الكتاب ، مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله » (عب ١٠ : ٧) .

٥ — بإيمان كامل :

قال يعقوب الرسول « إنما ان كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له . ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة ، لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تضبطه الريح وتدفعه . فلا يظن ذلك الإنسان انه ينال شيئا من عند الرب » (يع ١ : ٥-٧) . وكلمات الرسول هذه ، هى تفسير عملى لكلمات الرب « الحق أقول لكم ، ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ، ولا يشك فى قلبه بل يؤمن ان ما يقوله يكون فمهما قال يكون له . لذلك أقول لكم ، كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » (مر ١١ : ٢٣ ، ٢٤) . وهذا

ما عناء القديس بولس في رسالته الى العبرانيين « **لَتَقْتَنِمَ إِذَا بَثَّةً إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ تَنَالِ رَحْمَةً وَتَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ** » (عب ٤ : ١٧) ، هذه النعمة التي يشترطها الرسول هي الايمان عينه (عب ١١ : ١) .

الصلاة بدون ايمان باطله ، فهو من الأسس التي وضعها الرب — التي عليها — نقدم طلباتنا اليه . ليس الايمان أعظم الفضائل فقد قيل « ان كان لى كل الايمان حتى انقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلسيت شيئا » (١ كو ١٣ : ٢) . لكن وان لم يكن الايمان أعظم الفضائل لكنه الفضيلة الاولى . الايمان بدون محبة لا شيء ، ولكن المحبة بدون الايمان مستحيلة ، لأنى لا نستطيع ان احب من لا اثق فيه (من لا يؤمن به) . وليس بالضرورة حينما نطلب بايمان ان نلزم الله بان يجيب طلباتنا . فكل الكتاب المقدس يجب ان يفهم معا فهما وحدا . حينما لا نلخذ ما سألناه ، علينا ان ننتظر حتى ينكشف لنا قصد الله . فليس لنا « ان نعرف الأزمنة والأوقات التي جعلها الأب في سلطانه » (أع ١ : ٧) .. وان كان ايماننا ايمانا سليما فسوف يجنب معه الصبر ..

ما أكثر ما كتب عن الايمان .. « كل ما ليس من الايمان فهو خطية » (رو ١٤ : ٢٣) .. « بدون ايمان لا يمكن ارضاه » (عب ١١ : ٦) .. **لقد اعطى الرب الايمان كل القوة أن ينال وأن يعمل .. والصلاة بدون ايمان لا قوة لها ..** تصور معى انك قصدت انسانا عظيما ليقضى لك حاجة ، وانت تشعر فى قرارة نفسك ان ذلك الانسان لا يستطيع ان يقضى لك حاجتك .. الا تعتبر هذه اهانة له ؟ **إذا أردت أن تعرف هل قبلت صلاتك أم لا ، اسأل قلبك ، لأنه مكتوب « يعطيك الرب حسب قلبك ويتم كل مشيتك » (مز ٢٠ : ٤) .**

يقول يوحنا الدرجي « **الايمان هو جناح الصلاة . بدونه تعود الصلاة الى حضن الانسان ثائبة** » . وقال يوحنا كسيان « **قد تلكد تماما أن صلاته لا تستجلب !! ومن هو هذا البائس ؟ هو الذى يصلى ولا يؤمن انه سيحصل على جواب** » . والقديس اغسطينوس ، بعد أن استعرض مثل الأرملة والفقير الظالم يعلق على قول الرب « ومتى جاء ابن الانسان العله يجد الايمان على الأرض » (لو ١٨ : ٨) فيقول « **إذا فنى الايمان بطلتفاعلية الصلاة . لأنه من ذا الذى يصلى لمن لا يؤمن به ؟ ولذا قال الرسول « وكل من يدعو باسم الرب يخلص » (رو ١٠ : ١٣) . ولكي يبين أن الايمان هو ينبوع الصلاة** أرشف « **كيف يدعون بمن لا يؤمنون به** » (رو ١٠ : ١٤) فلذلك يجب أن نؤمن حتى ما نصلى . وحتى لا يفنى هذا الايمان يجب أن نصلى . ان الايمان ينبع صلاة ، وتبع الصلاة يعطى قوة — حتى

للإيمان ذاته .. وحتى لا يتعرض الإيمان لتجارب ، قال الرب « اسهروا وصلوا لكي لا تدخلوا في تجربة » (لو ٢٢ : ٤٦) . لأنه ما هو الدخول في تجربة سوى الاستعداد للإيمان !! ولذا قال الرب « سمعان سمعان ، الشيطان طلب أن يغريك كالحنطة ، وأنا طلبت لأجلك لكي لا يفنى إيمانك » (لو ٢٢ : ٣١ ، ٣٢) .

٦ - مع الشكر :

مكرر الأمر بشكر الرب مرات كثيرة في الكتاب المقدس . حدث ذلك مرات لا تحصى في العهد القديم ، بل كان ضمن مقدمات الهيكل التي كان اليهودي مكلما بتقريبها « ذبيحة الشكر » . وقد تكرر هذا الأمر أيضا في العهد الجديد ..

ان الله يحزن من « عدم الشكر » التي هي خطية الكثيرين . فلما شفى الرب يسوع العشرة البرص ورجع اليه واحد فقط ليشكره ، قال في ألم : « اليس العشرة قد طهروا فأمين السعة » (لو ١٧ : ١٧) .. وكمن مرة ينظر الله الينا في حزن بسبب عدم شكرنا على مراكبه المتواترة .. اننا نلمس في كتابات القديس بولس الرسول روح الشكر الدائم ، الذي كان حريصا ان ينقله الى المؤمنين . لقد اوصى مؤمنى أفسس أن يكونوا « شاكرين كل حين على كل شيء » (اف ٥ : ٢٠) . وبعد ذلك يتحدث من ارادة الله القاطعة « أشكروا في كل شيء .. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهنم » (١ س ٥ : ١٨) . وقال للكلولوسيين انهم اذا كانوا « مناضلين ومبنيين فيه » و« موطدين في الايمان » يجب عليهم أن يكونوا « منفاضين فيه بالشكر » (كو ٢ : ٧) . ويوضح لنا أن الشكر هو من دعاءات الصلاة في رسالته الى اهل كولوسي « واطبوا على الصلاة ماهرين فيها بالشكر » (كو ٤ : ٢) . وكتب الى الفيلسبيين يقول : « لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله » (١ تي ٤ : ٦) ويترتب على ذلك وعد تبين « وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع » (في ٤ : ٧) ..

ما أقل ما نشكر الله على احساناته التي لا تحصى ، وما أكثر ما نشكر بعضنا بعضا نتيجة خدمات يؤديها الواحد لصاحبه . بأكثر من أسلوب ، وبأكثر من طريقة نعبر عن شكرنا وامتناننا للناس ، في الوقت الذي نظهر فيه مظهر بكران الجميل والجدود للرب اذى في يمينه شبع سرور . جيد أن نشكر المحسن اليانا من اخوتنا ، لكن بالأولى أن نشكر المحسن الاول والأكبر .. وكنيستنا تعطينا درساً في وجوب الشكر وروحه ، بصلاة الشكر التي تبدأ بها كل عباداتها وصلواتها .. في رفع البخور والقداسات

والقنابير والتذكارات والاكاليل والجنازات والمعموديات .. أول ما تبدأ
تصلى صلاة الشكر .. وما أعمق الفاظها وعباراتها « فلنشكر صانع الخيرات
 الرحوم الله .. لأنه سترنا وأعاننا وحفظنا وقبلنا إله واشفق علينا وعضدنا
 وأتى بنا إلى هذه الساعة .. نشكرك على كل حال ومن أجل كل حال وفي
 كل حال .. » . أن شكر الله ينطوي على الاعتراف بمحبته وعنايته ورحمته
 وحكمته ، وهو اعلان لتسليم الحياة له .. حتى أن القديس نيلس السينائي
 يقول « الصلاة هي تعبير عن الفرح والشكر » .

علينا ادن أن يكون غينا روح الشكر عامة ، ليس من أجل انفسنا فقط ،
 بل من أجل كل شيء . يقول معلمنا القديس بولس موصيا تلميذه تيموثاوس
 « **فاطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات واستنالات وتشكرات لأجل**
جميع الناس .. لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله » (١ تي ٢ :
 ١-٣) . لكن لا ننسى أن نشكر الله شكرا خاصا على كل احسان من
 احساناته . ليقنا حينها نقف لنصلى أن نشكر الله ، لا شكرا عاما ، بل
 نعدد شكرنا بمقد ما أحسن إلينا .. أن دوام شكرنا لله يحفره على أن
 يعطينا أكثر . قال مار اسحق « ليست عطية بلا زيادة إلا التي ينقصها
 الشكر » .

وليت شكرنا لا يقف عند حد الأمور التي طلبناها من الله واستجيبت ،
 بل وحتى على الأمور التي طلبناها ولم تستجب . وفي هذه الحالة نشكر
 الله من أجل حكمته . قال القديس يوحنا ذهبي الفم « إذا أخذنا ما نطلبه
 أو لم نأخذه يجب أن نبقى في الصلاة . ليقنا نشكر — ليس فقط حينما نأخذ ،
 ولكن حينما لا نأخذ أيضا .. لأننا لا نعرف ما هو الصالح لنا ، بل الله .
 لذا يجب أن نعتبر الأخذ وعدم الأخذ نعمة متعادلة ، ونشكر الله من أجل
 هذه وتلك » .

كل رجال الصلاة المقتردين ، سواء في الكتاب المقدس أو في تاريخ
 الكنيسة كانوا رجالا قد أعطوا نفوسهم للشكر وتمجيد الرب . ومن أمثلة
 هؤلاء داود العظيم الذي تفيض مزاميره بروح الشكر لله .. « باركني
 يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس » (مز ١٠٣ : ١)
 « بهراحم الرب أغنى إلى الدهر . لدور فدور أخبر عن حثك بفي »
 (مز ٨٩ : ١) . « ارفعك يا الهى الملك وأبارك اسمك إلى الدهر والأبد .
 في كل يوم أباركك وأصبح اسمك إلى الدهر والأبد » (مز ١٤٥ : ١ ، ٢) .

٧ — مع الصنف :

في الصلاة المثالية التي أعطاها الرب لتلاميذه ، أوضح أنه غير مسموح
 لنا حتى مجرد طلب الصنف عن خطايانا من الله ، دون أن نسأل في الوقت

نفسه أن يعفر لنا بنفس المثل والدرجة التي نعفر بها لأولئك الذين أخطوا
 إلينا . ففى العظة على الجبل علمنا أن يصلى هكذا « اغفر لنا ذنوبنا كما نعفر
 نحن أيضا للمذنبين إلينا » (مت ٦ : ١٢) .. « وبعد هذه الصلاة المثالية
 أردف معلما » فإنه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى .
 وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم » (مت ٦ :
 ١٤ ، ١٥) .. وحتى لا يكون هناك أى التباس ، فقد عاود الرب يسوع
 الحديث فى الأسبوع الأخير عن هذا الأمر . فبعد أن تحدث عن الصلاة
 قال لهم « ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على احد شيء ، لكى
 يغفر لكم أيضا أبوكم الذى فى السموات ، وان لم تغفروا انتم لا يغفر أبوكم
 الذى فى السموات أيضا زلاتكم » (مر ١١ : ٢٥ ، ٢٦) ..

قال القديس نيلس السينالى « اترك قربانك على المذبح — يقول الرب —
 واذهب اصططح مع أخيك (مت ٥ : ٢٤) ، وبعد ذلك حينما تعود ستصلى
 بلا اضطراب ، لأن الحقد يظلم عقل الانسان ويحجب صلاته فى الظلام ..
 أن من يصلون وفى نفوسهم حزن وحقد يشبهون من يصب ماء فى دلو
 مثقوب » .. وقال أيضا دع المديون عشرة آلاف وزنه يعطيك انه ان لم
 تسامح من لك عليه فلن يسامحك سيدك . لأنه قبل وغضب سيده وسلمه
 الى المعذبين حتى يوفى كل ما كان له عليه » (مت ١٨ : ٣٤) .

سُرُ الصَّلَاةِ الْمُسْتَجَابَةِ

تحدثنا آنفا عن « شروط الصلاة المقبولة » ، وذكرنا بعض النقاط
 الأساسية فى قبول الصلاة ، ونود ان نضيف هنا بعض النقاط الأخرى التى
 تضاعف قوة الصلاة وتسرع فى استجابتها ..

(أولا) التذلل :

من الأمور التى تضاعف قوة الصلاة وتعطيها دالة امام الله وتسرع
 بالاستجابة ، تذلل الانسان أمامه .. التذلل فى كافة صورته سواء كان انسحاقا
 قلبيا وفكريا ، أو صوما وما يصاحبه من ضروب النسل المخلقة ، أو سجودا
 (مطتيات) ، أو دموعا .. الخ . **وايس التذلل وسيلة مقننة لاستجلاب
 رضا الله بل انه تعالى يدعونا الى ذلك بلسان يوئيل النبي فيقول « الآن
 يقول الرب ارجعوا الى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ومرتقوا قلوبكم
 لا ثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم ، لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير
 الرأفة ويندم على الشر » (يؤ ٢ : ١٢ ، ١٣) .**

وبراه واضحا في شخصية دانيال وكان سببا في استجابته سؤاله .
 يقول دانيال عن نفسه وهو يصنى لأجل اورشليم ولأجل كل الشعب الذين
 في السبي « فوجهت وجهي الى الله السيد ، طالبا بالصلاة والتضرعات ،
 بالصوم والمسح والرماد . وصليت الى الرب الهى واعرمت وقلت ايها
 الرب الاله العظيم .. اخطانا واثمنا وعملنا الشر ونردنا وحدنا عن وصاياك
 وعن احكامك .. لك يا سيد البر . اما لما فخرى الوجوه .. يا سيد لنا
 خزى الوجوه للموكننا لرؤسائنا ولآبائنا لاتنا اخطانا اليك .. يا سيد حسب
 كل رحمتك اصرف سخطك وعصبك عن مدينك اورشليم اد لحطايانا ولآثام
 آباءنا صارت اورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا . فاسمع الآن
 يا الهنا صلاة عبيدك وتضرعانه .. لا لأجل برنا نظرح نضرعانا امام وجهك
 بل لأجل مراحمك العظيمة . يا سيد اسمع . يا سيد اغفر . يا سيد اصع
 واصمع .. » (دا ٩ : ٣ - ١٩) . مضى دانيال في بذله فباح ثلثه اسابيع
 لم يكل خلالها طعاما شهيا ولم يدخل فيه لحم او خمر ولم يدهش دانه ..
 وهكذا حتى طهر له الملك جبرائيل وقال له « .. لا نخف يا دانيال لانه من
 اليوم الاول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولانزال نفسك قدام الهك سمع
 كلامك ، رانا ابنت لأجل كلامك .. » (دا ١٠ : ١٢) .

وآخاب الملك الشرير الذى شهد عنه الكذب قائلا « ولم يكن كاحاب الذى
 باع نفسه لعمل الشر في عيني الرب » .. آخاب هذا . حالما سمع كلام ايليا
 اتبى الخاص بما سيحل به وببيته من مصائب « شق ثيابه وجعل مسح
 على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوب » حتى ان الرب قال
 لايليا « هل رايت كيف اتضع آخاب امامى . فمن اجل انه اتضع امامى
 لا اجلب الشر في ايامه بل في ايام ابنه .. » (١ مل ٢١ : ٢٧) هكذا نلمس
 فعالية الانسحاق والتذل في الصلوات .

ولقد افاض القديسون في الحديث عن هذا الأمر . قال القديس يوحنا
ذهبي الفم « صرخ العشار بقلب منسحق ذليل : اللهم ارحمنى انا الخاطيء ..
 (لو ١٨ : ١٣) ، فخرج من لدن الله مبررا دون الفريسي . وهنا تتفاضل
 الصلاة المنسحقه عن العمل غير المضع ! فالفريسي اظهر بره بالصوم
 الدقيق والعشور المنطه . والعشار قدم قلبا منكرا بدون اعمال . ان
 الرب لا ينجس الى الكلام فحسب بل يلمس المشاعر التى تصوع الكلام .. » .
وقال مار اسحق « ان نعمة الله تقف على الدوام عن بعد وترقب الانسان
 أثناء الصلاة . فاذا تحرك فيه فكر اتضاع ، فانها في لحال تدنو منه ومعها
 ربوات المعونة . وذلك يكون وقت الصلاة اكثر من بقية الأوقات . لهذا
 يفيم لشيطان مع الانسان قتالا حتى لا يدنو من الله بفكره » .. قال

الرب بلسان اشعيا النبي « الى هذا انظر ، الى المسكين المنسحق الروح والمرتعدين من كلامي » (اش ٦٦ : ٢) .

على ان الانسحاق امام الله في الصلاة ليس هو في ترديد العبارات الملقوفة :
اننا خطاة وغير مستحقين .. بل الانسحاق هو ان نشعر بذلك في اعماقنا ..
ان نشعر بخطايانا واهثاتنا وتمديتنا على الهنا القدوس ، وان ننسب كل ما غينا من نواحي طيبة الى الله . فكل عطية سالحة ، وكل موهبة تامة ، هي نازلة من فوق ، من عند ابي الانوار ... علينا حينها نقرب من الله بالصلاة ان نعبئ قلوبنا وفكرنا بهذه المشاعر . يقول مار اسحق « اذا وقفت مصليا قدام الله ، هكذا صر في فكرك مثل نمل ، وكالذباب الذي على الارض ، وكالعلقة ، وكصبى يناعى صر قدام الله لتؤهل لتلك العناية الابوية الصائرة من الالباء على الاطفال من البنين ... » .

(ب) الصوم :

لقد افردنا عن الصوم موضوعا خاصا في هذا الجزء من الكتاب ، وتحدثنا عن تلازم الصوم والصلاة . اننا نقرأ في مواضع كثيرة من الكتاب المقدس من الصلاة مقرونة بالصوم . ويكفي ما قاله رب المجد « **هذا الجنس (الشيطان) لا يمكن ان يخرج بشيء الا بالصلاة والصوم** » (مر ٩ : ٢٩) .
لاشك ان الصوم وسيلة تذل هامة . اذا اقترنت به الصلاة ، اكسبها قوة .. **قال مار اسحق « اذا اضعف الجسد بالصوم والانتضاع ، عند ذلك تتشجع النفس بالصلاة بالروح »** .

(ج) السجود (المطانيات) :

وهو من اقوى الوسائل التي نظهر بها تذلنا امام الله . ان كلمة مطانية .
المستخدمة في الكنيسة اصلها يوناني ومعناها توبة ... والسجود تعبير صادق
عن مشاعر الخضوع والانسحاق ، فيه يشترك الجسد مع الروح في تقديم
العبادة لله . فاذا كان سجودنا بالروح والتذل فانه يكون مقبولا جدا لدى الله . قال الرب يسوع « لان الاب طالسب مثل هؤلاء الساجدين له » (يو ٤ : ٢٣) . وقال القديس بولس « لكي تجتو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض » (في ٢ : ١٠) ...
الامر الذي عبر عنه القديس كيرلس الكبير في قداسه « اللهم يامن تجتو له كل ركبة ما في السموات وما على الارض وما تحت الارض ، الذي الكل مذلول وخاضع بعنق العبودية تحت خضوع قضيب ملكه » .

والمطانيات (السجود) لون رابع من العبادة والصلاة ، على ان لا يكتفى فيه بسجود الجسد ، بل يجب ان يكون مصحوبا بصلوات وابتهالات قصيرة

يقدم فيها مشاعره القلبية في كل دفعة ينحنى فيها الجسد الى الأرض . فمثلا انسان في ضيقة معينة ، أو شخص مغلوب من خطية خاصة ، أو في حاجة الى معونة . . كل من هؤلاء يسجد بشعور ملئه التذلل . وفي كل مرة يسجد ، يرشم ذاته بعلامة الصليب ثم يقدم طلبته القصيرة . ويجوز ان يكررها بنفس الالفاظ أو بعبارة أخرى . مثال ذلك شاب مغلوب من جسده يقول « ياربى يسوع المسيح ارحمنى وأعنى وأعطنى هدوءا في جسدى . . . ياربى يسوع المسيح ابطل شغب الجسد . . . ياربى يسوع المسيح طهر قلبى وفكرى وجسدى وحسن أعضائى . . أخطأت اليك ياربى يسوع المسيح ارحمنى واكسر عنى قوة المعاند . . الخ » وهكذا وهكذا . . يسجد فى هدوء دون استعجال . . .

قال مار اسحق عن سجود المطانيات « ليس شيء محبوبا عند الله ، ومكرما بعين الملائكة ، ويضعف الشيطان ، ومخوفا من الجان ، وبهزم الخطية ، ويفيض المعرفة ، ويجنب الرحمة ويستاصل الخطايا ، ويقضى الاتضاع ، ويحكم القلب ، ويجلب المزادات ، ويتجدد به العقل ، كمثل انه على النوم يوجد المؤمن جاثيا على الأرض بالصلاة » . . قال يوحنا سابا (الشيخ الروحاني) أغضب نفسك للسجود أمام الله لانه هو محرك روح الصلاة . لا تظن ان السجود أمام الله هو امر هين . فليس شيء من الاعمال الصالحة يوازي المواظبة على تكميل خدمة الصلاة بضرب المطانيات (السجود) . وإذا ضايقنا الأفكار أثناء الصلاة وشعرنا بالملل ، فلنخر على الأرض وكتاب الصلاة في أيدينا ونفرع ونحن ساجدون ان يهبنا الله نشاطا لتكبل خدمة الصلاة » . .

وقال يوحنا كسيان وهو يصف رهبان مصر « رأيتهم فى صلواتهم حينما ينتهون من تلاوة كل مزمو ، لا يستعجلون فى السجود كواجب يراد انهاءه كما يفعل الكثيرون منا الآن ، بل رأيتهم على خلاف ذلك ، فبعد ان يفرغوا من تلاوة المزمور يقفون برهة يرغمون فيها صلاة قصيرة ، ثم ينحنون فى خشوع ويسجدون الى الأرض بوجوههم بورع كثير وتقوى شديدة . ثم ينتصبون فى خفة ونشاط ويعودون الى وقفهم المنتصب ، وانكارهم كلها منحصرة فى الصلاة » . . وقال القديس باسيليوس الكبير « فى كل مرة نسجد فيها الى الأرض نشير الى كيف احدثنا الخطية الى الأرض ، وحينما نقوم منتصبين نعترف بنعمة الله ورحمته التى رغمنا من الأرض وجعلت لنا نصيبا فى السماء » .

ولا يفوتنا الاشارة فى ختام هذه النقطة الى ان المصلى يجب عليه الا يمارس المطانيات كيفما انتق ، ولا يقرر لذاته تدريبا معيناً يؤدى فيه عددا مقررنا من المطانيات (السجودات) ، بل يجب ان يعمل كل ذلك بمشورة ابيه الروحى .

(د) الدموع :

واخبرنا نائى الى السلاح الجبار الذى لا يقهر « الدموع » .. فإله القوى الجبار يغلب بالدموع . قال العريس للعروس فى نشيد الاناشيد « حولى عنى عينيك فإنهما قد غلبتاني » (نش ٦ : ٥) .. ان العيون المرفوعة به لا تتدخل ابدا .. من أجل هذا نقرأ لداود عبارات كثيرة فى مزاميره تدل على استخدام هذا السلاح .. ان داود رجل الصلاة خبر الدموع وعرف قوتها ، وكثيرا ما يحدثنا عن الدموع فى مزاميره .. « تعبت فى تنهدى . أعوم فى كل ليلة مريرى . بدموعى أذوب فراشى » (مز ٦ : ٦) .. « الرب قد سمع صوت بكائى » (مز ٦ : ٨) .. « استمع صلاتى يارب واصغ الى صراخى . لا تسكت عن دموعى .. » (مز ٣٩ : ١٢) .. « غيرة بيتك أكنثى وتعميرات معبريك وقعت على . وأبكيت بصوم نفسى .. جعلت لباسى مسحا » (مز ٦٩ : ٩ - ١١) . لا عجب ان اذا عرف داود مكانة الدموع ومكان حفظها . ولذا نسمعه فى موضع آخر يقول « اجعل أنت (يارب) دموعى فى زفك ، أما هى فى سفرك » (مز ٥٦ : ٨) ..

لقد اتخذ رجال لله فى كل زمان ، من الدموع وسيلة لفيل طلبانهم من الرب بالتذلل . هكذا فعل أبوب الصديق « خطت مسحا على جلدى ، ودسست فى التراب قرنى . أحمر وجهى من البكاء » (أى ١٦ : ١٥ ، ١٦) وعزرا صلى وهو باك وساقط أمام بيت الله . وبكى الشعب ايضا معه بكاء عظيما » (عز ١٠ : ١) . واربنا النبى الباكي صاحب المراثى كانت أمنيته « ياليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع فأبكي نهرا وليلا » (أر ٩ : ١) . وحزقيا ملك يهوذا بكى بكاء عظيما حال مرضه . فكان جواب الرب على دموعه بلسان اشعيا النبى « قد سمعت صلاتك ، فقد رايت دموعك ، ها انذا أشفيك » (٢ مل ٢٠ : ١ - ٥) .. وهكذا وهكذا ، حتى ان المزمع يجعل منها قاعدة عامة للبهجة والفرح فيقول « الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج » (مز ١٢٦ : ٥) . بل ان الرب ذاته بدعونا اليها بلسان يونس النبى فيقول « ارجعوا الى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ... » (يؤ ٢ : ١٢) .

من أجل هذا طوب رب المجد العيون الباكية « طوباكم ايها الباكون الآن » (لو ٦ : ٢١) . وقد تحنن على أرملة نايين التى فقدت وحيدها وقال لها « لا تبكى » (لو ٧ : ١٣) . والمرأة الخاطئة التى انحضت على قدميه باكية استحققت غفران خطاياها (لو ٧ : ٢٧) . وبطرس التلميذ الذى انكر سيده ومعلمه نال الغفران بعد أن بكى بكاء مرا .

أما عن علاقة الدموع بالصلاة ، فهى كما يقول يوحنا الدرجى « أم

وبنت الصلاة « !! فكما أن الدموع تقودنا الى مخادع الصلاة حيث نؤمن هناك على ينباع الدموع الحية ، فهي ايضا احدى هبات الصلاة المنسحقة . لكن لنحترس في هذه الحالة من الكبرياء . يقول القديس الانبا اوغريس « اذا كان لك ينبوع دموع في صلاتك ، غايك ان تكون مستبكر القلب في ذاتك كمن هو ارفع من كل الناس . انما الدموع هي معونة اخذتها من قبل الرب لكي تستطيع بنشاط ان تعترف بخطاياك قدامه ، ويقنعك قلبك من قبل الدموع انها غفرت لك . فلا تبدل المعونة التي اخذتها الى اوجاع لئلا يغضب الذي اعطاك هذه الموهبة » .. وما اكثر ما قاله القديسون عن الدموع من واقع خبرتهم الخاصة ..

قال القديس مار افرام السرياني « اسكبوا امام الله الدموع لتصير صلاتكم كالبخور قدامه . مجارى المياه لوقت الحريق ، ومجارى الدموع في زمن التجرية . الماء يخمد لهيب النار ، والدموع تطفى شهوة الشر » . **ويوحنا الدرجى يقول** « العين الباكية هي جرن دائم لمعمودية التوبة والتجديد » . وقال مار اسحق « طوبى للباكين من اجل الحق ، لانه من خلال دموعهم يرون باستمرار وجه الله » . ويقول القديس الانبا اوغريس « استعمل الدموع عند سؤالك ما تتمناه ، لان الرب يفرح جدا بالصلاة التي تكون بالدموع ، ويبتهج لها ويقبلها سرىما » .

ما اكثر ما تفعله الدموع .. انها ترد غضب الله ، وتخلص من الضيقات وتنجى من الموت ، وتجذب النفوس البعيدة من وهدة الهلاك . ومن خير الامثلة على ذلك القديس افسسطينوس ، الذى ظلت امه مونيكاً تحترف الدموع لاجله . ولقد صدق القديس امبروسيوس اسقف ميلان الذى رآها تبكى بحرق ذات مرة فقال لها « ثقي يا امرأة انه لا يمكن ان يهلك ابن هذه الدموع » !! .. من اجل هذا تخرض الكنيسة ابناؤها على طلب الدموع بأوفر اجتهاد من الله . وقد عبرت عن ذلك في قطع الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل ، فيقول المصلى « اعطنى يارب ينباع دموع كثيرة كما اعطيت منذ القديم للمرأة الخاطئة ، واجعلنى مستحقا ان ابل قدميك التى اعتقنتنى من طريق الضلالة .. » .

(ثانيا) اللجاجة والمثابرة :

ليس هناك تناقض بين اقوال الله ومواعيده ... فان كان الله قد وعدنا بان يستجيب لطلباتنا اذا ما قدمناها بايمان ، لكنه من الناحية الاخرى ينتهى احياناً في الاجابة ، ويريدنا ان نلج عليه في السؤال ، ونثابر على الطلب حتى ما يجعلنا بالنفائل ويجعلنا من رجال الصلاة .. لا شك ان اللجاجة والمثابرة هما تعبيران عن الايمان ، ولا يوجد شيء يسر قلب الله

أكثر من الإيمان . في قصة المرأة الكنعانية يظهر السيد المسيح وكأته يطرد تلك المرأة بشيء من الإزدراء .. ومع ذلك فهي لم تتصرف بل ظلت تطلب بالحاح ولجاجة . ولم يخيب المسيح الحاحها ولجاجتها بل على العكس مدح مسلكها بقوله « يا امرأة عظيم هو إيمانك ، ليكن لك كما تريدن » (مت ١٥ : ٢٨) .

يعلمنا السيد المسيح هذا الدرس بوضوح في مثلين : الأول مثل صديق نصف الليل (لو ١١ : ٥ - ٨) ، والثاني مثل الأرملة والقاضي الظالم (لو ١٨ : ١ - ٨) . ومن المفيد أن ندون المثلين كما فاه بهما رب المجد لما فيهما من معان ثوية .. قال في مثل صديق نصف الليل :

« من منكم يكون له صديق ويمضي إليه نصف الليل ويقول له يا صديق اقرضني ثلاثة أرعمة . لأن صديقا لي حائنى من سفر وليس لى ما أقدم له . فيجب ذلك من داخل ويقول لا ترعبنى . الباب مغلق الآن وأولادى معى فى الفراش . لا أقدر أن أقوم وأعطيك . أقول لكم وإن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه غايه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج » . وقد أوضح الرب يسوع فى هذا المثل ، أن المعطى ثم يعطى لأجل الصداقه بل لأجل اللجاجة !! وقد أردف الرب هذا المثل بكلمات صريحه قاطعه واضحه « وأنا أقول لكم اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم » .

وقد وردت هذه الكلمات بنفس قوتها وروحها فى العظه على الجبل (مت ٧ : ٧) . لكن هذه الكلمات ، فى الترجمة التى بين أيدينا ، لا تحل - مع الأسف - نفس المعنى الذى تحمله نفس هذه الكلمات كما وردت فى النص اليونانى . أن معناها فى اليونانية « استمروا فى السؤال ، استمروا فى الطلب ، استمروا فى القرع » !! وهكذا يبدو جلبا كيف أن السيد الرب يريدنا أن نسال بلجاجة ومثابرة ..

أما المثل الثانى عن اللجاجة ، فهو مثل الأرملة وقاضى الظلم . وقد قدم له القديس لوقا الانجيلى الذى أورده بقوله « وقال لهم أيضا مثلا فى انه ينبغي أن يصلى كل حين ولا يمل .. كان فى مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب انسانا . وكان فى تلك المدينة أرملة . وكانت تأتى اليه قائلة : انصفنى من خصمى . وكان لا يشاء الى زمان . ولكن بعد ذلك قال فى نفسه وإن كنت لا أخاف الله ولا أهاب انسانا ، فأنى لأجل أن هذه الأرملة ترعجنى انصفها فلما تأتى دائما فتقمعنى . وقال الرب اسمعوا ما يقول قاضى الظلم . أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم . أقول لكم انه ينصفهم سريعا » .

ما أكثر التعميزات والبركات التي أوضحها لنا الرب بهذا المثل .. ان الله حينما يعقد مقارنة بينه وبين قاضي الظلم الذي انصف الأرملة نتيجة الحاجة ، انها يبين بأوضح أسلوب كيف أنه تعالى لابد وان يستجيب من يلج في الطلب ويشابر عليه .. ان الله يضع ذاته في كفه وقاضي الظلم في كفة أخرى . وإذا كان قاضي الظلم قد استجاب للحاجة المرأة ، أفلا يستجيب الله ؟ ! ويجب الرب يسوع على هذا التساؤل فيقول « انه ينصفهم سريعا » ما أجمل وقع هذه الكلمات على منتظري الرب ...

ويقول القديس أغسطينوس معقبا على مثل قاضي الظلم « الرب يسوع الذي هو معنا ، لا يمكن أن يحثنا بمثل هذه الصورة ما لم يكن مستعدا لأن يعطينا . انه مستعد للعباء أكثر من استعدادنا للأخذ ... لو لم يكن الرب يسوع مستعدا أن يعطينا لما صرب لنا مثل اللجاجة واطهر أهميتها ... ماذا يشجعنا على الصلاة أكثر من مثل قاضي الظلم .. ان ذلك القاضي الظالم لم يكن يخف الله أو يهاب مخلوقا ، ومع ذلك انصت الى أرملة توسلت اليه غلب من لجأيتها وليس من شفقتة ! فإذا كان ذلك الذي لا يحب أن يسأل سمع نضرعا ، فكم بسمعنا الله الذي يحثنا على أن نسأل !! » .

ان الحكم على أى عمل لا يطهر الا بانتهائه . فالبدائية الحسنة لا تصلح حكما على عمل ، لكن النهاية هي التي تقرر مصيره . وإذا كان يعقوب الرسول قال عن الصبر ان له عمل تام (يع ١ : ٤) ، فان هذا من ناحية أخرى يعني ان المثابرة فضيلة ضرورية ، بدونها لا تثمر أى فضيلة ..

قال القديس باسيليوس الكبير « اذا كان سؤالك حسب مشيئة الله ومرضاته ، ملا تكف عن السؤال حتى تناله . والرب نفسه لكى يلفت نظرك الى هذا قال مثل الرجل الذي حصل على الخبز في نصف الليل من صديقه بلجأته ... ينبغي ألا نمل في صلاتنا حتى ولو طالبت السنون ، وحتى لو كانت طلبتنا مستحيلة في أعين الناس جميعا ، لأن غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله » . وقال أيضا « الله يعرف ما نحتاج اليه ، وهو يعطينا جميع الخيرات الجسدية بدون سؤال ، فما هو يشرق شمس على الأبرار والأشرار . أما الايمان والبر والفضيلة والملكوت ، فهو من أجل صلاحه يتمهل حتى لا ينالها الانسان الا بالطلب والسؤال والمشقة والاحزان المتنوعة ، بصبر كثير . لأنه يود أن نحب الخير ونسعى اليه ونطلبه باشتياق وتلهف ، حتى نكون نحن السبب في العطية ، وحتى اذا ما حصلنا عليها نتمسك بها ونحافظ عليها نظير التعب والجهد الكثير الذي بذلناه للحصول عليها » .

ويقول مار اسحق « ان كنت خاليا من فضيلة المثابرة فلا تنتظر ان تحصل على عزاء حقيقى في صلاتك ، لأن المثابرة تساوى العمل ... كل تدبير ان كان صلاة أو صوم أو سهر بدون المثابرة لا يقى بثمر ، ويكون في نهاية تعبك

فيه كمثل أنك ابتدأت فقط ... احتمال السقوط موضوع أمام أعيننا على الدوام ، لذلك حرصنا الله على الصلاة بمداومة ، والمثابرة على السؤال والطلبية : **وقال أيضا** « أحيانا نطلب من الله ولا نأخذ ، ويكون ذلك بعدل ، لأننا لا نطلب بصبر ومداومة في الصلاة وبلا جدارة أو ثقة ، ولا نطبق قوله المريح « الصارخين إليه نهارا وليلا » ، بل نتنظّر أنه هو ذاته يعطينا . أما هو فينتظر أن نقدم له سببا ووسيلة يعطينا بها ما يشاق أن يمنحه لنا . فلهذا يتركنا نتضيق ويتأني علينا حتى نقرع بابه ونثابر في السؤال بلجاجة... »

من مشجعات الصلاة

(١) السكون :

ويأتى في مقدمة العوامل التي تشجع على الصلاة ، السكون .. السكون الخارجي والداخلي . والمقصود بالسكون الهدوء من جميع نواحيه ، داخل الإنسان وخارجه .. وطبعاً سوف لا نتناول بالحديث حياة السكون على المستوى العالى في مفهوم القديسين كسكون الحواس وسكون النفس وسكون الفكر وسكون الروح ، لكن نشير إلى السكون من جهة ارتباطه بموضوع الصلاة . ان الإنسان الذي يحيا في صخب دائم لا يعرف ان يصلى جيداً . والإنسان الذي يمج قلبه بأفكار وشهوات مختلفة لا يستطيع ان يصلى كما ينبغي ... ومن هنا كانت حاجتنا إلى السكون . وقد افردنا موضوعاً خاصاً عن ذلك في هذا الكتاب حينما تحدثنا عن الخلوة ...

من جهة السكون الخارجي ، نرى أن الإنسان باعتباره مكوناً من روح وجسد ، وليس روحاً خالصة ، يتأثر إلى حد بعيد بالجو المحيط به . لذلك نقرأ عن المسيح أنه كثيراً ما كان ينفرد في موضع خلاء . **قال القديس يوحنا ذهبي الفم** تعقبياً على قول القديس متى عن الرب يسوع « بعدما صرف الجوع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلى ، ولما صار المساء كان هناك وحده » (مت ١٤ : ٥٣) ... لماذا صعد إلى الجبل ؟ ليعلمنا أن الوحدة والانعكاف هما جيدان حينما نصلى إلى الله . هكذا ترونه دائماً ينسحب إلى البرية ، وهناك يمضي الليل كله في الصلاة ، معلماً أيانا ان نبحث في شوق عن الهدوء في صلواتنا سواء في الزمان أو في المكان . لان البرية هي أم السكون (الهدوء) . أنها ميناء هادئ يخلصنا من كل اتعابنا » .

هناك قصة رائعة معبرة أوردها بستان الرهبان عن تلميذ ذهب إلى معلمه يشكو إليه تشتيت فكره أثناء الصلاة وعدم شموحه بآية تعزية . أحضر

الشيخ المختبر اناء ووضع فيه ماءً والقى فيه حصاة فاحسدت تموجات في الماء . فأمر المعلم تلميذه أن ينظر بوجهه الى الماء في الاناء . فلما سأله عما يرى ، كان جوابه « انى أرى خيالات » . ثم انتظر المعلم حتى هددت وأمر تلميذه أن ينظر ثانية ، وسأله ماذا يرى . فاجاب « انى أرى وجهى كما فى مرآة » . فقال له المعلم ناصحا « هكذا يا ولدى اذهب واحداً مع نفسك وانت تجد التعزية فى الصلاة ... » .

من أجل هذا أحب القديسون السكون وعشقوا الحياة فى ظله شاعرين أن الحياة الروحية تثمر فى كنفه... ولعل هذا ما قصد اليه المسيح أيضاً فى قوله « متى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك ... » . **قال القديس أغسطينوس** فى تعليقه على هذه الآية « ليست هذه المخادع سوى قلوبنا حينما كما تذكر فى الزمائر حيث يقال ماتقولونه فى قلوبكم ، اندموا عليه فى مضاجعكم » (مز ٤ : ٤) انه أمر يسير أن ندخل الى المخادع الحسية لكن المقصود ، المخادع الروحية فى انفسنا الداخلى . **قال يوحنا كسيان** « قبل كل شيء يجب أن نلاحظ مكل اعتناء مبادئ الانجيل ، التى ترشدنا الى الصلاة المضبوطة : ندخل مخدعنا ونغلق بابنا ونصلى . ولكن كيف نتم هذا الامر عملياً ؟ اليس بان نمرل افكار العالم والاهتمامات الباطلة وندخله فى عشرة ملتصقة بالرب ؟ وما معنى الابواب المغلقة فى الصلاة ؟ اليس هو الهدوء والصمت الكامل المقدس ، والشفاه المغلقة المتخسفة أمام فاحص القلوب ؟ ! » . واذا امتزجت الصلاة بالسكون فانها تثمر اثماراً روحية كثيرة **قال مار اسحق** « وهكذا نأتى الى قدام كل يوم ، ولا نجد رجاء الله فقط ، بل وإيماناً حقيقياً وحباً لا غش فيه ، وعدم تذكر الشرور ، ومحبة الاخوة ، ونسكا وصبرا ، واستنارة داخلية ، وخلاصاً من التجارب ، ومواهب روحانية ، وشكراً قلبياً ، ودموعاً حزينة ، واحتياجاً للضوائق العارضة ، ومفكرة لقريننا بلا غش ، ومعرفة للشرع الروحانى ووجود عدالة الله ، وحلول الروح القدس ، وعطايا الكنوز الروحية... هذا جميعه يجود به الله علينا بواسطة السكون . من أجل اعتناء هذا يشتهى الانسان السكون ! » .

(٢) القراءة الروحية :

هناك صلة وثيقة بين القراءة الروحية والصلاة ، حتى قال الآباء عبارتهم المشهورة « القراءة هى ينبوع الصلاة الزكية (النقية) » . فالقراءات الروحية تعين على تقويم الصلاة ولذا أوصى الرسول بولس تلميذه تيموثاوس « اكف على القراءة » (١ تى ٤ : ١٣) . وتنقسم القراءة الروحية الى قسمين : القراءة فى أسفار الكتاب المقدس ، والقراءة فى الكتب الروحية بصيغة عامة .

ان حياة الرب يسوع تعطينا فكرة عن قيمة الكلمة في حياتنا . ففى التجربة على الجبل ، وفى كل مناسبة تعرض لها ، الى ان صرخ على الصليب قائلا « الهى الهى لماذا تركتنى » (١) ، علمنا كم يجب ان نحفظ كلمة الله فى قلوبنا وننسلح بها فى جهادنا ضد أعدائنا ... من أجل هذا ينصح القديس أيرونييموس تلميذة له تدمى يوستخيوم قائلا « لا يستحوذ عليك النوم الا وانت ضابطة بيدك على الكتاب للقراءة . واذا نعت وارتى وجهك ، فليرتم فوق الكتاب المقدس » .

ونستطيع ان نقف على اثر القراءة الروحية فى الصلاة مما كتبه مار اسحق من واقع اختباراته فى هذا الصدد ، قال :

+ « من القراءة ينبجع الفكر ، لكن ما يقتنى عفة وحياء ونقاوة الا من الصلاة » . . .

+ « القراءة تجعل الانسان الخفى خليفة جديدة . ومن الصلاة ينبغ فيه روح الحياة ، والحرارة الالهية تلهب العقل فى كل وقت ليطير من الارضيات ويحل فى مسكن الحياة » .

+ « ضع هذا فى ضميرك دائما وادرك السبب كل وقت اذا لاحظت ان حرارة قلبك قد نقصت ، واذا ماقرات الكتب ينبجع ذهنك من الطباشرة ، ارجع الى الصلاة لان بها يطير العقل بالاكتر » .

+ « لان بالقراءة يفتح قدام العقل باب الافهام ، وهى الانعام التى بها تنار شهوة الصلاة » .

+ « لانه اذا ما ارتبط الضمير بالقراءة والصلاة بتقوى ، وما يقبل زرع افكار الشرور ، ويصير فوق كل فخاخ الشياطين » .

+ « فى الوقت الذى يكون فيه فكرك مبعدا ، اثبت فى القراءة اكتر من الصلاة » .

+ « الزم القراءة ان امكنك ... لانها ينبوع الصلاة النقية وعونها » .

+ « حرارة النفس تتولد من القراءة الدائمة فى تدبير السكون المقرون بأعمال تواتر الصلاة » .

+ « حسن الصلوات اذا امتزج بالقراءة الدائمة بافراز يومئذنا الى هذيل العقل » .

+ « عندما يدنو الانسان الى الصلاة فان تذكار القراءة يلهب المصلى بانهاهم الكلام الصحيح الذى قيل عن الله تعالى ... » .

(١) هذه الكلمات هى مطلع المزمور الثانى والعشرين .

(٣) الجهاد والتغصب :

سئل الأنبا أغاثون ذات مرة « أية فضيلة اعظم في الجهاد ؟ » فاجاب « ليس جهاد اعظم من ان تصلى دائما لله . لان الانسان اذا اراد ان يصلى كل حين ، حاول الشياطين منعه ، لانهم يعلمون انه لا شيء ينطلق قوته من سوى الصلاة لله . كل جهاد يينله الانسان في الحياة ويتعب فيه لابد ان يحصل منه اخيرا الراحة الا الصلاة ، فان من يصلى يحتاج دائما الى جهاد حتى آخر نسمة » ...

وقال القديس مقاريوس الكبير : « ان من يلزم الصلاة يحتاج الى جهاد أكثر من سائر الاعمال . لذلك ينبغي له الحرص الدائم والصبر والتعب دائما ، لان الشرير يتأصبه العداء ، ويجلب عليه نعاسا وكسلا وثقل جسد وانحلالا وضجرا وانكارا مختلفة ، وطيشة عقل وحيلة كثيرة ، محاولا بذلك ابطال الصلاة . لذلك يلزم من يصلى الجهاد حتى الدم مقابل اولئك الذين يسعون لابعاد النفس عن الله ... » .

وقال القديس نيلس السينائي « ان كل حرب بيننا وبين الارواح الشريرة هي بسبب الصلاة الروحية ، لانها بالنسبة لهم أكثر الاسلحة الروحية ضررا ، وبالنسبة لنا أكثرها نفعا » .

وكلام هؤلاء القديسين يصور لنا بلانة طبيعة الصلاة وما يصاحبها من ضرورة الجهاد المتواصل . ويتدر ما للصلاة من مركبات ، بقدر ماتحتاج الى جهاد . ان طريق حياة العبادة شاق وعسير ، ويكفى وصف المسيح له ، ان بابه ضيق ومسلكه كرب !! يؤكد هذه الحقيقة قول معلمنا بولس الرسول « مصارعنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية في السماويات ... مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لاجل جميع القديسين » (أف ٦ : ١٢ ، ١٨) ...

هناك مبدا هام في الحياة الروحية يعرف عند الآباء بمبدا « التغصب » . فالامر ليس هينا كما يتوهم البعض . ان كل شيء في الحياة لاتناله الا بالجهد والتعب والمشقة خاصة اذا كان شيئا قيما أو عزيز المنال . فالمطالب والتاجر والزارع ... كل هؤلاء لايفوزون بمطلوبهم مالم يجاهدوا ويتعبوا ... هكذا الملكوت لانستحقه مالم نجاهد قانونيا ... اننا لانصعب الطريق ، ولا نصور الله بصورة غير صورته . وخير مثل يوضح لنا جهاد الصلاة ، ربنا يسوع المسيح الذي كثيرا ماكان يقضى ليلالى كاملة في الصلاة ، والذي صلى بأوفر جهاد في بستان جثسيماني ، حتى أن عرقه كان يتصبب من جبينه

كانه قطرات دم . ما أكثر ما نقرأ عن جهاد القديسين في الصلاة وما أكثر البركات والنعم التي استؤهلوا لها ...

واليك بعض أقوال مار اسحق عن جهاد الصلاة وبركاته :

+ « هل أنت تعمل فقط لخبز الجسد حينما يكون لك رغبة في العمل ، أم أنك تجاهد حتى لو لم تكن لك رغبة في العمل ؟ اعلم أن امر غضب النفس على العمل هو أمر هام جدا في الامور الدنيوية والروحية ايضا . هو لازم للصلاة وقراءة الكتب المقدسة والكتب الروحية وحضور الخدمات الالهية في الكنيسة .. لاتطع الجسد الكسول الخادع فإنه مملوء خطية .. الجسد يشتهي أن يرتاح على الدوام غير مكترث بالهلاك الابدي الذي يكون عوض راحته القليلة الزائلة ... » .

+ « كل صلاة لم يتمب فيها الجسد ، ولم يحزن القلب لأجلها ، تكون بمثابة السقط الفاقد الحياة » .

+ « خمسة آلاف سنة وأكثر ترك آدم يعمل في الأرض ويشقى ، اذ لم تكن قد ظهرت طريق القديسين كما قال الرسول . واتي الرب بنعمته في آخر الأيام ، وأمر طبيعتنا أن تغير العرق بالعرق ، ولم يلمرها أن تهدأ من العمل . بل أرانا كيف نقلب ذاك الى هذا لأجل تحننه علينا ولكثرة تعبنا في الأرض . فإن كنت تبطل من العرق في الصلاة ، فيحكم الضرورة لأبد وأن تحصد شوك وقرطب الآلام (الخطايا) ، لأجل البطالة من تعب الصلاة ... » .

لكن لو اقترنت الصلاة بالجهاد وحده ، ووقفت عند هذا الحد ، لما استطاع انسان أن يستمر في سعيه فيها . لكن شكرا للرب ، فيقدر مانجاهد وبقدر ما تتوفر لدينا نية الجهاد ، بقدر ماتوافقنا المعونة الالهية وتساندنا .

ولمار اسحق اختبارات كثيرة في هذا الصدد قال :

+ « بقدر ما يشقى الانسان ويجاهد ويفضب نفسه من أجل الله ، هكذا معونة الهية نرسل اليه وتحيط به وتسهل عليه جهاده وتصلح الطريق قدامه ... أما اذا كنت تسأل الى أي حد اغضب ذاتي فاني أقول لك الى حد الموت اغضب نفسك من أجل الله ... ليق بنا أن نموت في الجهاد من أن نحيا في السقوط !! »

+ « اذا ما خرجت من الكلام الالهى والصلاة بلا ثمرة ، ولم يبق ذكر شيء فيها ، بل كنت في طياشة ، فاعلم أن ظلاما عظيما موجود داخلك ...

ودواء هذا الظلام إنما يتولد من عمل الصلاة . فإذا جاهد الإنسان وثبت فيها عند ذلك يحس سريعاً ، وفي وقت قليل ، بالمعونة التي تكون من الصلاة » .

« تأمل آية خيرات تتولد للإنسان من الجهاد » . ما أكثر ما يوجد الإنسان جاثياً على ركبتيه في الصلاة ويده ممدودتان إلى السماء وهو شاخص بوجهه إلى صليب المسيح ، وجامع كل حركاته وفكره إلى الله في الصلاة . وبما أنه متوسل إلى الله ، يتحرك في قلبه بفتنة ينبوع حياة بحلاوة ، وتتحل أعضاؤه وتغمض عينيه ، ويلفت وجهه إلى الأرض : وأفكاره تتبدل حتى أنه لا يقدر أن يسجد من الفرح الموجود في كل جسده » .

« تأمل أيها الإنسان . أما تقرأ المكتوب أنك إن لم تجاهد لا مجد ، وإن لم تترع الباب دائماً بحرارة مواصلاً السهر فلن يسمع منك ... اصبر على ظلمة الآلام ، وواظب على قراءة الكتب المقدسة ... وداوم على الصلوات الاغتصابية ، واكره نفسك عليها مسنواً فبك النعمة وأنت لا تعلم » ...

« بمقدار ما يدخل الإنسان للجهاد من أجل الله تعالى ، على قدر ذلك يكون لقلبه دالة في صلاته » .

« من الصلوات الفصبية المقدمة بحزن وخضوع وانسحاق قلب ، تتولد صلاة النعمة الإرادية المتصلة بنجاح وراحة » .

« وإن كان في البداية ما يحس الإنسان بالمعونة في الصلاة من أجل طيائسته ، فلا يضجر ولا يمل . لأنه ليس في حال ما يلقى الفلاح البذار في الأرض ينتظر الثمر ... ولكن يلد للفلاح إذا ما أكل من عرقه خبزاً » .

جهاد الصلاة كما قلنا شاق ومرير ، لكن المؤمن يقبل عليه من أجل البركات المترنة به ... يعزیه كذلك أن جهساده التفصب لا يستمر إلى النهاية ... أن مانفعله الآن بتفصب وجهه ستمكن من فعله بعد ذلك براحة وبدون تفصب . قال القديس مقاريوس الكبير « الإنسان الذي يرغب أن يأتي إلى الرب ... عليه أن يداوم باستمرار في الصلاة ، ويفصب ذاته على الانضاع ... وكل ما يفصب نفسه لأجله ويعمله وهو متألم بقلب ناظر غير راض ، سوف يأتي عليه يوم يعمله برضى وقبول . وبذلك يدرّب الإنسان نفسه على حياة الصلاح والاهتمام بالرب » .

تأخر استجابة الصلاة

من المفيد لنا ان نتفهم جميع مواعيد الله جيدا . لا نأخذ جانباً منها ونعرض عن الباقي ، فنكون النتيجة أننا حينها نمسطم بأمر منها يلحقنا الشك والضعف . مثال ذلك انسان ركز كل فكره في مواعيد الله لاستجابته الصلاة ، ولم يفتن الى أن هناك عوامل قد تؤخر استجابة طلباتنا . وقد تكون هذه العوامل لصالحنا ... لكن رغم كل ذلك يبدأ يحزن ويكتئب ويشك ، لانه ركز فكره أولاً في ناحية الاستجابة وحدها . ليتنا نشعر بأبوة الله لنا ، تلك الأبوة المحبة الحكيمة واهبة الخيرات ... وأن نحس بأن كل ماياتي علينا انها هو لخيرنا لانه من عند « صانع الخيرات » . قال القديس يوحنا ذهبي الفم « ان الصلاة بركة كبيرة ان مارسناها بحالة داخلية صحيحة ، مع شكر الله ، سواء لنا طلباتنا التي سألناها أو لم نطلبها . لأن الله حينها يعطى أو لا يعطى إنما يفعل ذلك لخيرك لانه حينها نقال طلبتك ، فمن الواضح أنك أخذت ، وحينها لا نطلبها تكون أيضاً قد أخذت ، لانك تكون لم تأخذ ما هو ضار لك بلا شك . وكونك لم تأخذ ما هو ضار ، معناه أنك منحت ما هو صالح . لذلك سواء أخذت ما سألته أو لا ، قدم الشكر لله في ثقة ، انه كان ولا بد وأن يعطينا دائماً ما نساله ، لو لم يكن من الأفضل لنا أن لا نساله » .

هناك أكثر من سبب لتأخر استجابة الصلاة، نلمسها بما قاله مار اسحق:

« وان اطال الله روحه اذا أنت سألته ، حيث تطلب ولا تأخذ سريعا ، فلا تحزن . لست أحكم من الله ... ويكون ذلك اما لان اعمالك ليست أهلا بمسألتك . واما لأن طاقة قلبك بعيدة عن حد صلاتك . لأن منزلتك في الخفايا كالطفل قبالة الاشياء العظيمة » . فإله قد يؤخر الاستجابة لحكمة يراها . ومن أمثلة ذلك : زكريا واليسصابات وصلواتهما لكي يرزقهما الله نسلا . ومع انهما كانا بارين أمام الله (لو ١ : ٦) ، لكن الله أجل استجابة طلبتهما حتى يشرعهما بولادة يوحنا المعمدان الذي استحق أن يكون الملاك الذي يهيب الطريق أمام رب المجد ، ونال لقب « اعظم مواليد النساء » من عم الرب ذاته !!

+ ويتفق القديس باسيليوس الكبير ومار اسحق على أن تأخر استجابة الصلاة أحيانا يكون مرده الى أن الشيء الذي نساله سريعا لا نشعر بقيمته فنفرط فيه ونفقد سريعا . أما الشيء الذي لا يأتى بسهولة وبسرعة وانما يتعب وجهاد وبعد وقت فإننا نحافظ عليه . يقول مار اسحق « لا يلبق أن الاشياء العظيمة المرتفعة ، تقع بسهولة في أيدينا ، لئلا تهان موهبة الله من

أجل سهولة وجدانها . لان كل شيء يوجد بالسرعة ، بالسرعة يكون عمله وكل شيء يوجد بالتعب ، بالحزن يثبت ويحفظ » .

+ **وقد تكون طلباتنا في غير صالحنا** ، من أجل هذا لاننا استجابتها من الله محب البشر . وفي ذلك يقول مار اسحق « لانه ليس كل شهوة تبدو أنها صالحة ويشتاق اليها الانسان ، تكون نافعة له . فقد يكون حدوث هذه الشهوة من الشيطان هذه التي يظن بها انها نافعة !! ولهذا ينبغي لنا ان نقرن صلوات متصلة بتلك الشهوة التي تبدو انها صالحة وجيدة وتتحرك فينسا » ...

+ **وقد تقتضى محبة الله ان يؤجل استجابة الصلاة والطلبه حتى ما ندنو منه أكثر ونثابر على السؤال بلجاجة** ... قال مار اسحق « لهذه العلة (شعور الانسان بضعفه) يقبض الله الرؤوف نعمته عن العبد ، لكي يصبر له هذا الامر طريقا الى الدنو منه . لان من جراء حاجته يلزم المانع اياها . ولو كنا في السكون واحتجنا الى معونة الله في شيء ولم تأتينا ولم نأخذ . يكون ذلك لاننا لم ندن الى الله بحرص في الصلاة ، ولم نصرخ اليه بوجع وحرارة نهارا وليلًا ، بل ننتظر أنه هو من ذاته يعطينا ... أما هو فانه يفرس لنا بسبب لكي نتقدم اليه ، فلهذا يتركنا نتضيق . وأما تأخره في الاستجابة فهو لكي نثابر على قرع بابيه لمنفعتنا بالطلبه . وأما نحن فعندما تأتينا اسباب المنفعة نتغافل ونتخلف ونتقاعد عن السؤال ، ونعطي انفسنا للامال والخير واكثر من الماء نبرد » ...

ويؤكد هذا المعنى ما أورده يوحنا كسيان على لسان الاب اسحق قال « اننا نعلم من دانيال الطوباوي — رغم أنه سمع من أول يوم بدأ فيه يصلي لكنه لم يحصل على نتيجة توسله الا بعد واحد وعشرين يوما . اذ قال له الملك « لاتخف يادانيال لانه من اليوم الاول الذي جعلت قلبك لفهم ولاذلال نفسك قدام الهك ، سمع كلامك ، وأنا اتيت لاجل كلامك » (دا ١٠ : ١٢) .

ونحن ايضا يجب الا نسترخي في صلواتنا التي بدانها ... فالطلب قد يتأخر بحسب حكمة الله ، او ان الملك الذي يحضر لنا بركة الرب يعوق بمقاومة الشرير — كما حدث في امر دانيال — فالملك لا يمكن أن يوصل اليها نعمة الرب اذا وجدنا قد تراخينا عن طلبها شوق . وكان هذا ممكنا أن يحدث في حالة دانيال ، لو لم يواظب على الصلوات طيلة الواحد وعشرين يوما .

+ **ويوضح مار اسحق سر تأخر استجابة الصلاة ، بأن ذلك لتفنعنا**

الروحي عامة فيقول « ليس ان الله سيد الكل يرى في طلبتنا زيادة على بحر مراحمة التي ليس لها قرار . وان اعتقدنا بهذا فانما يكون ذلك نفاقا وانما لكننا بطلبتنا المستمرة وحزن ضميرتنا نستضيء ونقتنى عزاء في الامور الضرورية من المفاوضة المستمرة » .

كيف نصلي ؟

(١) الوضع الجسدي والصلاة :

يخطيء من يظن انه لا علاقة بين الصلاة والوضع الجسدي للمصلي . فوضع الجسد في الصلاة له دخل كبير في انتباه الفكر . نسمع في ايامنا هذه الكثير عن سلطان العقل على المادة لكننا لانقيم كثير وزن لسلطان المادة على العقل وهذا خطأ !! فليس الانسان روحا مجردة ، لكنه روح وجسد ، وكلاهما يؤثر في الآخر ... اصف الى هذا ان الاوضاع الجسدية **لقيام الصلاة تدل على مدى توقيرنا وخشيتنا للرب والتفذل امامه** ، مما يكون ميبيا في استجابة صلواتنا ونوال بركات ونعم روحية الهية .

ويوضح لنا مار اسحق هذا الامر ، ويدعوه « الزى الحسن في الصلاة » ... قال « حسب الكرامة التي يظهرها الانسان وقت الصلاة ذاته بالجسد والضمير ، هكذا توجد له نقاوة حركات واستضاءة في الصلاة ، ويؤهل لنعمة كثيرة من الصلاة .

+ « على قدر الاهتمام بالزى الحسن والحشمة في الصلاة وبسطة اليدين الى السماء ، وقيام متعطف وسقوط على وجهه الى الارض . الذي يزين صلاته بهذه الانواع على الدوام ، سريعا ما يؤهل لفعل الروح القدس » .

+ « فاعلموا يا اخوتي ان الله — في كل الاعمال ناسي من اجله — يهب جدا ان نظهر زيا حسنا ونواعا جيدة وتوقيرا وحياءا واهتماما ... ليس من اجله هو بل من اجل نفعنا نحن ، لانه ما ينفع الله شيء ولا يضر ، ولكن لاجل نفعنا » .

+ « كثيرون زلوا بفكارهم ، لانهم ظنوا انه يكفي الصلاة في القلب فقط ، والله ما يريد منا شيئا آخر . واذا كانوا مضطجعين على ظهورهم او جالسين باحتقار والذكر فقط من الداخل . ولم يعتنوا ان يزينوا عملهم الظاهر بالقيام

الحسن حسب قوة الجسد وترتيب الحواس والتوفير ، وأن يضرروا على وجوههم كمثلي من يتقدم الى لهيب نار . وياخذوا على أنفسهم اشكالا حسنة وزيا وتوقيرا من داخل ومن خارج ، بترتيب جميع الاعضاء ، واستحياء على وجوههم ، ويفرزون كرامة الرب وتوقيره . ولم يفتنوا لمكر وصعوبة العدو . ومن هنا اسلموا للزور والبهتان .

على ان اظهار هذا الوقار بالوقوف او السجود او برفع اليدين غير ملزم للجميع ، فالضعفاء والمرضى لهم حكم خاص . ويقول مار اسحق . « الله رحوم متحن صالحو . ليس لموارض الطبع وضرورياته يحاسب ويدين ، ولو انها تكون مستوجبة اللامة . بل يدين على الاثنياء المستطاعة اذا اهلكت منا » . . . وقال ايضا « ولست اعنى بقولي هذا ان نفصلي المرضى وضعاف الجسد ان يكونوا تحت هذا الناموس . ولا ان يتدبر الانسان بغير ماهو مستطاع ، بل قولي انه ينبغي ان يسكون عملنا بخوف ورعدة ووقار . واما الذي يكون بسبب الضرورة — ولو ان فيه خروجا عن حد الناموس — وعمل بخلاف العادة ، فكالتقربان المختار بقبلة الرب . وليس انه مايلوم غاعله فقط ، بل حتى الامور الحقة التي تكون من اجله بارادة جيدة ، يقبلها كالاتياف العظيمة . ولو كانت بغير الواجب ، يحمل صاحبها بالرحمة من الله لانه عارف بضرورات طبعنا قبل ان يخلقنا » .

ولا يغوتنا في هذا المقام ان نشير الى بعض خداعات الشيطان التي يتدخل بها في حياة اولاد الله ازاء الصلاة . . . لقد ذكرنا آنفا ان الضعفاء والمرضى لهم حكم خاص في جهادات الصلاة . ومن الخبرة الخاصة واقوال الاباء القديسين وسيرهم نعلم ان كلا من الجسد والشيطان له خداعاته الخاصة . . . فالجسد الذي يشتهي ضد الروح لا يريد الا الراحة والنياح . قد يحدث ان يشعر الانسان بالضعف الجسدي وثقل الاعضاء وآلام الراس (الصداع) اذا عزم على الصلاة . . . قد يكون هذا خداعا من الجسد الكسول ، او حربا ياتي بها علينا عدو الخير . وهناك قصة معبرة اوردها بستان الرهبان عن راهب كان اذا اعتزم الصلاة ، تأخذه حصى وقشعريرة مقرونة بلآلام شديدة في رأسه . اما هو فكان يقول في نفسه « ياشقى ، لعلك تبوت هذه الساعة ، لماغتم صلاتك قبل موتك » . وهكذا كان يتم صلاته . وبمجرد فراغه من الصلاة تسكن عنه الحصى وتقف الآلام والقشعريرة . لقد ظل يعانى من هذه الحرب زمانا ، لكنه اكتشف حيل العدو وخداعه ، وظل امينا في اتمام صلاته حتى خلصه الرب ورفع عنه هذا القتال .

من اجل هذا يجب الحذر جيدا في جهادنا . فاذا اعترانا تعب جسدي فتميزه من اى نوع هو ، وذلك بكشف امورنا للآباء الروحيين ، وعلى ضوء سيرة رجال الله القديسين .

هناك اوضاع جسدية مختلفة للمصلى . لا يمكن ان يتبع الجميع وضعا واحدا ، لكن المصلى يتخذ الوضع الجسدى الذى يتلاءم مع مشاعره القلبيه وقت الصلاة ...

• **الوقوف فى الصلاة هو الوضع المثالى** . قال الرب يسوع « ومتى وقفتم تصلون فاعفروا ان كان لكم على احد شيء ... » (مر ١١ : ٢٥) .
ويصاحب الوقوف عادة **رفع الايدي** ... قال داود النبى « استمع صوت تضرعى اذ استغيث بك وارفع يدي الى محراب قدسك » (مز ٢٨ : ٢) .
وقال القديس بولس « نأريد ان يصلى الرجال فى كل مكان رافعين ايادي طاهرة بدون غضب ولا جدال » (١ تي ٢ : ٨) .

• **اما الجثو او الركوع فيناسب حالة الاعتراف بالذنوب امام الله وسؤال العفو والغفران لمن يريد ان يتضع** كما يقول بولس الرسول « بسبب هذا احنى ركبتي لدى ابي ربنا يسوع المسيح الذى منه تسبى كل عشيرة فى السموات وعلى الارض » (اف ٣ : ١٤ ، ١٥) . وقال المرتل **هلم نسجد ونركع ونجثو امام الرب خالقنا** » (مز ٩٥ : ٦) . **والرب يسوع نفسه فى بستان جثسيماي جثا على ركبتيه وصلى** (لو ٢٢ : ٤١) .

• **وهناك حالة من القنطال والانسحاق والجهاد الروهى، يخر فيها المصلى على وجهه** . يذكر الكتاب عن موسى وهارون — بعد ان حى غضب الرب على الشعب بسبب خطية تورح ودانان وابيرام — اتهمها « خرا على وجهيهما وقلا : اللهم اله ارواح جميع البشر هل يخطيء رجل واحد فتسخط على كل الجماعة ؟! » (عد ١٦ : ٢٢) ... **والسيد المسيح نفسه فى ليلة آلامه فى البستان « خر على وجهه وكان يصلى ... »** (مت ٢٦ : ٣٩) .

والعيون المرفوعة لله فى الصلاة — حتى لو كانت مغضضة — لها قيمتها وانرها . يقول داود النبى « اليك رفعت عيني ياساكن السماء » (مز ١٢٣ : ١) ويتبع رفع العينين الى الله رفع عينى النفس ايضا « اليك يا رب ارفع نفسى » (مز ٢٥ : ١) . وعينى النفس ترفعان الى الله متى توقفتنا عن تبادل النظر مع الاشياء الارضية او الامتلاء من الصور المادية ، وتبدأ فى احتقار الاشياء المصنوعة وتفكر فى الله وحده ... ان العيون المرفوعة لله لاتخزى أبدا « حولى عنى عينيك فانهما قد غلبتاني » (نش ٦ : ٥) .

(٢) التمهيد للصلاة :

يحتاج المصلى الى فترة قبل بدء الصلاة يمهدها ذاته لجو الصلاة. وفترة الاعداد لازمة سواء فى الصباح حيث تسكون الروح مازالت ثقيلة من اثر

النوم وبسبب التفكير في اهتمامات اليوم الجديد / أو في نهاية اليوم مشغوليات اليوم نفسه . يقول مار اسحق « قبل أن ترغب إليه مصليا ، استعد بما يجب » . . . اهدأ مع نفسك ولو قليلا قبل بدء الصلاة وذلك حتى تهيب ذاتك لجو الصلاة ، وتحرك عواطفك ومشاعرك نحوها . لا يلبق أن تنتقل من الأشياء التي كنت منهمكا فيها إلى الصلاة مباشرة ، لأنك إن فعلت ذلك فأنك لن تتلذذ بالصلاة ، وسوف يكون غرك مشتتا ، لأن ذهنك لم يزل مشغولا بما كان يفكر فيه بانهماك من لحظات قصيره . قال يوحنا كسيان نقلا عن الاب اسحق « لأنه مهما تكن الأشياء التي تكون عقلنا يفكر فيها قبل ساعة الصلاة ، مستعودنا بالضرورة أثناء الصلاة عن طريق نشاط الذاكرة . لذا . فإن الحالة التي نود أن نكون عليها وقت الصلاة ، علينا أن نعد أنفسنا لها قبل وقت الصلاة . فالمعقل في حال الصلاة بشكل بحالته السابقة . وحينما نمارس الصلاة تتحایل أمام نظرنا صور نفس الأحداث والكلمات والأفكار ، وتسبب إما غصبا وإما كآبة . أو تسرحح شهواتنا السافرة ومشغولياتنا . أو تجعلنا نهتر نتيجة ضحك غبي (التي أنا في خجل من ذكرها) بسبب نكسة سحيقة . أو ننقسم على حادشها . أو نعود إلى محادثاتها السابقة . ولذا أن اردنا ألا بصطانا شيئا أثناء الصلاة ، علينا إذن بالاحتراس قبل الصلاة حتى نخرجها من كل قلبا » .

في فترة الهدوء القصيرة هذه — حوالي خمس أو عشر دقائق أو أكثر حسب ظروفك الخاصة — حاول أن ترفع حرارتك الروحية وذلك إما بقراءة فصل في الكتاب المقدس — للتعزيز وليس للدراسة . والمتقصود بالتعزيز إلا تصطدم بمشاكل معينة أثناء الدراسة ، إما أحل هذه للوقت الذي تخصصه لدراستك للكتاب . وإما بترتيل لحن أو ترتيلة معربة ، وإما برفع القلب في تأمل خاص كمحبة الله لجنس البشر وانعاماته علينا ، أو التأمل في حقارة ذاتك وخطاياك وتعمدياتك ، وكما هنت الله ومازلت تهينه وتفضيه . . . والواقع أن الإنسان لا يستطيع أن يتبع طريقة واحدة . فالإنسان لا يكون دائما في حالة روحية ونفسية واحدة . أحيانا يكون متعشا منهلا فيميل إلى الترتيل ، وأحيانا يشعر بتمزية خاصة يناسبه فيها الهدوء والصمت . بينما مشاعر القلب مرموعة من الداخل ، وأحيانا أخرى يكون الإنسان محتاجا إلى انفساح رجائه في الله ، وفي هذه الحالة لا يناسبه التأمل في خطاياهم لئلا يقوده هذا إلى الضيق فاقنوط واليأس ، إنما يستحسن تأمله في عظم مراحم الرب . . . وهكذا .

وثمة شعور آخر طيب نريدك أن يمتلىء به قلبك قبل الصلاة مباشرة . اشعر نفسك أنك واقف في حضرة الله ، وأن الله ، يراك ويسمعك ، وأنه قريب منك ينظر إليك بعطف . لىمتلىء قلبك بهذا الرجاء ، فإنه يكون

لصلاتك كأجنتحة بها ترتفع الى ضابط السكل ... يقبل أن ترفع يديك ارفع نفسك وقل مع داود « اليك يارب رفعت نفسي » ، وقبل أن ترفع عينيك ارفع قلبك .. **وهناك نصيحة أخرى يقدمها مار أسحق** يقول « قبل بدء صلاتك صلب على قلبك وأعضائك وارشمها ببشال الصليب الحيي » . قف مقدار لحظة صامتا الى أن تسترح حواسك ونسكن حركاتك . وبعد ذلك ارفع نظرك الحواتى الى الرب ، واطلب منه بحرن أن يقوى ضعفك بنعمته .. ويحسن جدا أن يقرن الانسان كل ما سبق قوله بالسجود ، فيسجد بخشوع عدة مرات قبيل الصلاة طالبا رحمة الرب ..

(٣) ضبط الفكر أثناء الصلاة :

« يقترب الى هذا الشعب بفيه ويكرمنى شفقتيه ، واما قلبه فمبتعد عنى بعيدا » (مت ١٥ : ٨) .. بهذه الكلمات وبخ السيد المسيح جماعة الكهنة والعريسيين المرائين . انها توضح لنا مبدا هاما في الصلاة . فليست صلاة الشفاء هي المطلوبة . بل كلمات الشفتين التى يضبطها العقل والقلب ويسدحها . حينما يسلى جاهد أن تتنبع بمسك كل كلمة يلفظها لساك . **ويقول القديس يوحنا القبايسى « اذا تلوت كلام الصلاة المكتوبة ، لا تعن بتلاوه الكلام فقط بل بأن تكون أنت ذاتك كلام التلاوة . لأن التلاوة بدون ذلك لا تنفع . بل ليسجم اللفظ فيك فيصير عمليا فتنظر في العالم أنك انسان الله »** .. ويقول أيضا « لا تظن يا اخي أن الصلاة هي مجرد الكلام ، أو يمكن تعلمها بالألفاظ . بل اسمع بنى الحقيقة : أن الصلاة أرواحانية لا تكون من مجرد الكلام والتلاوة ، لأنك لا تصلى الى انسان حتى تتلو امامه كلاما مركبا . ولكن الله روح فصل امامه بألروح » .. وهكذا يجب أن يشترك العقل والقلب مع اللسان في الصلاة .. العقل يعنى ما يقال ، والقلب يشعر بما يفكر به العقل ، والشفتان تطلقان بكلمات الروح والصحو .. كثيرا ما يحدث أن اللسان يتلو كلمات الصلاة المقدسة في حين أن القلب يتجول في أشياء أخرى ، أو أن العقل يعنى كلمات الصلاة بينما لا يشعر القلب بها وبمعانيها .. أن الصلاة الحقيقية هي التى تكون فيها افكار الصلاة متحدة مع مشاعر القلب .

ويتصل بموضوع ضبط الفكر في الصلاة عدم التشاغل بأى أمر آخر اثنائها والسيد المسيح حينما قال « منى صليت ادخل الى مخدعك واغلق بابك .. » (مت ٦ : ٦) ، يقصد ألا تشاغل بأى أمر عن الصلاة . فمخدع الروح هو الجسد ، وأبواه هي حواسنا الخمس الجسدية . ومعلوم أن الحواس هي مداخل المعرفة . مفروض أن نفق هذه النوافذ حتى لا يدخل منها شيء يشتت فكرنا أثناء الصلاة . **يقول القديس أوغريسي** « تعافل عن ضروريات الجسد عند وقومك للصلاة . حتى لو لدغك برغوث أو بعوضة أو ذبابة أو

أحد الهوام ، فلا تنشغل بها لئلا تضر الريح العظيم الذى للصلاة .

وقد أورد لنا القديسان نيلس السينائى وأوغريس قصة معبرة عن عدم التشاغل وقت الصلاة بأى شيء . كان أخ يمشى ذات مرة فى البرية مصليا ، فظهر له ملاكان ، وسارا معه عن يمينه ويساره . أما هو فلم يحول انتباهه إليهما جملة ، حتى لا يضر ثمرة الصلاة التى هى أفضل من كل شيء . لأنه كان يتذكر قول الرسول بولس : انه ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قسوات تستطيع ان تفصلنا عن محبة المسيح . . وقصص آباء البرية مليئة بالأوان من البطولة والجهاد فى الصلوات ، وكيف كانوا لا يبطلون الصلاة ولا يتشاغلون عنها على الرغم من ان الشيطان كان يظهر لبعضهم فى صور حيوانات وزحافات مفترسة !!

وإذا كنا نتحدث عن ضبط الفكر أثناء الصلاة ، فلا بد ان نتحدث عن الناحية المقابلة أعنى طياشة الفكر .

(٤) طياشة الفكر فى الصلاة :

هذا هو التعبير الذى استعمله الآباء القديسون ، وقصدوا به تشتيت الفكر فى الصلاة . ومن المسلم به أنه ينذر أن أحدا يستطيع الاحتفاظ بانتباهه ثابتا تماما فى موضوع معين لمدة طويلة ، سواء كان هذا الموضوع قراءة أو دراسة أو نقاشا أو صلاة قليلون من الآباء هم الذين استطاعوا بعد جهاد كبير أن يتغلبوا على هذه الناحية ، فسلكوا فى تدبير « صلب العقل » !! هذا عن عدم قدرة العقل بطبيعته فى بداية الأمر على التركيز فى شيء واحد لمدة طويلة . لكن لا ننسى أن نقرر أن الإنسان المرتبط بشهوات خاصة لابد وأن يطيش عقله ، وكذلك من يتحمل معناته بالإطعمة الكثيرة فإن عقله قد يوجد عاجزا فى هذه الحالة عن ضبط الأفكار وتوجيهها . وقد أشار السيد المسيح الى ذلك بقوله « فاحترزوا لأنفسكم لئلا تنقل قلوبكم فى حمار وسكر وهبوم الحياة » (لو ٢١ : ٣٤) . قال مار اسحق « لا تنقل بطنك لئلا يطيش عقلك وتكون متعريسا بالطياشة اذا قمت للصلاة وترتضى مفاصلك وتمتلىء كسلا واسترخاء . . وأيس هذا فقط ، بل تظلم نفسك وتتسجس حركاتك ولا نقدر أن تجمع الألفاظ من أجل الظلمة ، وتكون عندك مذاقة كل شيء غير لذيد ، ولا تحلو لك الفاظ المزامر » .

انن نحن المستحيل علينا كمبتدئين فى حياة الروح الا تطيش افكارنا . لكن القديسين يفرقون بين نوعين من الطياشة : طياشة الفكر فى أمور لكن القديسين يفرقون بين نوعين من الطياشة : طياشة الفكر فى أمور لا نوافق الأشياء التى تتشكل للعقل اذا ما صلينا ، فهذا فى استطاعتنا . . أما ان يمتك الفكر بالصمت مبتعدا عن كل ما يظهر له ويكون متماليا عن كل

شكل وجهاد ، فليس هو من قوة الطبيعة .. لأنه ثمة طيائشة ردية وطيائشة جيدة . وانت أيها الأخ لا تطمع في الإبطيش الضمير ، لأن هذا غير مستطاع . بل إنما تكون طيائشة في صلاح .. إذا كنت لا تصلى إلا إذا ارتفع الفكر بالكمال من تذكر هذا العالم ، فإذا ما نظرت هكذا تتبدى في الصلاة ، فأنتك لن تصلى إلى الأبد .. لأنه إذا صمت الفكر من كل ذكر وطيائشة في الأشياء الحاضرة ، لم يبق محتاجا إلى الصلاة ، لأنه يكون العقل قد وصل واتصل بالله وصار الله فيه » !!

وإذا كانت طيائشة الفكر — بالصورة المتقدمة — أمرا مستحيلا ، فبالنألى لا يغضب الله علينا بسببها ، لكنه يغضب أن نحن خضعنا لها ولم نقاومها . يقول ما راسحق (لسنا ندان لأجل تحرك الأشكال والأفكار فيها ، بل نجد نعمة إذا لم نوافقها بل نقاوتها . وإنما ندان أن كنا نوافقها ونعطيها فيها فسحة » .

وعلى هذا فليست الصلاة الطاهرة هي التي تخلو من طيائشة الفكر ، بل التي لا يطيش أثناءها العقل في أمور باطلة . يقول مار اسحق « الصلاة الطاهرة التي بلا طيائشة ، ليست التي يكون العقل فيها بالكمال بلا فكر ولا رؤية في شيء ما ، بل أن لا يطيش في الأشياء الباطلة وقت الصلاة .. وليس أنه إذا طاش في معاني الصلاح والأمور الجيدة يكون قد اعتمد عن طهارة الصلاة ، بل أنه يهتم بأشياء واجبة لأنه ضمير مرضى لله وقت الصلاة » . وقال أيضا « الطيائشة الردية هي أن يطيش الإنسان بأفكار باطلة أو بهيذ خاطيء أو أفكار مسجة وقت صلاته قدام الله .. أما الطيائشة الجيدة فهي أن يطيش الضمير في مدة الصلاة بمجد الله وعظمته ، التي هي تذكارات قراءة الكتب ، وأفهام الألفاظ الإلهية والأقوال المقدسة التي للروح .. من الجهل أن تعد هذه الطيائشة غريبة عن طهارة الصلاة ومبطللة لجمع العقل » .. بل يذهب مار اسحق إلى أبعد من هذا فيقول « صالح جدا هو جمع العقل . فإن كان ينطلق من هذا ويمتد للالهيات أو الاهتمام بشيء فاضل من اهتمام الكتب على الله .. فهذه الطيائشة هي أفضل من الصلاة الطاهرة ، وهي حد كل جمع العقل ومحاسن الصلاة . وإما أن يكون الضمير خاليا من كل هم بالتمام ، فهذا هو صمت الفكر وليس هو طهارة الصلاة » ..

من الأمور الملاحظة أن البعض يتضايقون من حالة الطيائشة في الصلاة ويشعرون أنها اهانة لله .. وشيئا غريبا يكون نهائيا عن الصلاة حتى — حسب رأيهم — يكف عنهم هذا القتال . لكن علاج طيائشة الصلاة الأول هو الصلاة عينها ، والهيذ ، والقراءات الروحية ، والوحدة ، وعدم الاهتمام بالأمور الأرضية ، وبالجهد وخوف الله ، وبالهروب من الطيائشة

ذاتها وعدم الاهتمام بموضوعها .. وأليك ما قاله مار اسحق خاصا بهذه الصلاة :

+ « لا نشته أن تصلى حتى تنتفى من طياشة الأفكار . بل اعلم أن ب مداومتك على الصلاة وكثرة تمك فيها ، تبطل الطياشة وتنقطع من القلب لأن انقباض الفكر من الطياشة إنما يكون بالصلاة . لأننا ما سمعنا أن أحدا نال هذا من غير مداومة الصلاة .. الذى يريد هذا إنما يطلب الكمال من قبل العمل وهذا أمر مستحيل » .

+ « ليس تدبير يقبض العقل من العالم وينجيه من الخطايا كمثل الهذيث بالله » .

+ « في الوقت الذى يكون فيه فكرك مشتتا ، اثبت في القراءة أكثر من الصلاة . تكن ليس كل كتاب نافع » .

+ « حسن الصلوات إذا امتزج بالقراءة الدائمة بانفraz ، يوصلنا الى هذيث العقل . ومن الهذيث الروحاني الذى للعقل يتولد عننا انجماع الفكر . ومن انجماع الفكر يتولد عننا الانعتاق من الطياشة . ومن الانعتاق من الطياشة تتولد عننا الصلاة الخفية ومفاوضة العقل » .

+ « وهذا هو معنى المكتوب أن النفس تمان من القراءة إذا ما مثلت في الصلاة ، وأيضا تستنير في الصلاة من القراءة . أعني عوضا عن الطياشة الخارجية توجد النفس مادة لتغير أنواع الصلاة ، فهما حقيقة تتصور بالفكر من التفكرات المدهشة التي من هناك » .

+ « كما أنه لا يمكن أن تنتفى نظرة القائم الى جانب الدخان الا اذا ابتعد عن المكان وتخلى من هناك ، هكذا لا يمكن أن نقش نقاوة القلب والسكون من الأفكار بدون الوحدة المبتعدة من دخان هذا العالم الذى يفسى عيني النفس » .

+ « ان كنت تريد أن تنقبض من طياشة الأفكار ، وتجد فسحة الصلاة بمفكك ، اجمع ذاتك من الهوى (الساكنات) ، واهتمام الأشياء وطموح طياشة الهوى » .

+ « ان كنت ما تتعب جسمك حسب قوتك وتعتنى بنفسك في كل حين وكل شيء وكل موضوع وكل حال .. لا تعطى لك الصلاة التي بلا طياشة » .

+ « لأنه حيث توجد مخالفة الله ، هناك توجد الصلاة الطاهرة التي بلا طياشة » .

+ « ولا يطلب من الإنسان إلا تجوز فيه تفكرات إذا ما صلى ، بل ألا يلتفت اليها وينفص ويمليش منها » .

وثمة أمر آخر نكره ممارسحق كعلاج لطياشة الفكر هو الألفان ، خاصة الألفان الجنائزية (الحزائني) .

(٥) حرارة الصلاة :

وهكذا اذا ثبتنا في جهلنا من أجل ضبط الفكر ومقاومة طياشته أثناء الصلاة — تلك التي تتسبب عن شهوات النفس — نصل الى صلاة القلب النقية بلا طياشة . وهذا النوع من الصلاة يولد في القلب حالة من الغنى الروحي ، تلك التي تغنى بها داود النبي في مزموره « حتى قلبى في جوى . عند لهجى اشتعلت النار . تكلمت بلسانى » (مز ٣٩ : ٣) . هذه هي النار التي جاء ربنا يسوع المسيح ليضرمها على أرض قلوبنا حيث نما قبل زوان الشهوات ، والآن بالنعمة يعطى ثمرها روحيا كما قال مخلصنا « جئت لآلقى نارا على الأرض . فماذا أريد لو اضطربت » (لو ١٢ : ٤٩) . أن هذه النار هي التي أشعلت قلبى كليوباس ورفيقه وجعلتهما يصرخان في فرح « الم يكن قلبنا ملتنا فينا اذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب » (لو ٢٤ : ٣٢) . يقول مار اسحق « العمل القوي يولد في القلب حرارة لا تقاس ، تتقوى بالامكار الملهبة التي تصعد الى العقل من جديد . وهذا العمل مع حراسة الفكر ينقيان العقل بحرارتها ، وينعم عليه بالرؤى . هذه الحرارة التي تعطى بواسطة نعمة القائل توك الدموع . والدموع المستمرة تهدئ الفكر وتنقى العقل . والانسنان بواسطة الفكر النقي يرى الاسرار الالهية .. بعد ذلك يصل العقل الى رؤية الاستعلانات والرموز » .

(٦) حديث الصلاة :

لتكن صلاتك حديثا عاديا مع الله بلا تكلف .. حديث ابن مع ابيه السماوى ، او حديث محب محبوبه بل لمعبوده !! يقول القديس أوغسطينوس « في بدء صلاتنا نقول يا أبانا الذى فى السموات .. بهذا النداء يتحرك الحب فى قلبنا — اذ ليس أعز من الأب لدى الأولاد — كما يتحرك فى قلبنا ايضا ميل توسلى ، ثقة منا بالحصول على ما سوف نطلبه ، طالما اننا — قبل أن نسال شيئا — نلنا عطية هكذا عظيمة ، اذا أعطى لنا أن ندعو الله أبانا . لأنه ما الذى سوف لا يعطيه لأولاده حينما يسألون طالما تد وهبهم نعمة البنوة !! »

لا نظن أن الصلاة هي مجموعة اصطلاحات متراسة متلاصقة ، او مجموعة آيات محفوظة ، يضاف إليها بعض الالفاظ القيمة المتقاة .. لا نظن ذلك ، بل أن الصلاة الحقيقية هي حديث على سجيته .. لا تقيد باستخدام اللغة الفصحى فى صلاتك لتلا يقيد اللفظ المعنى ويمكنك من الانطلاق فى حديث شجى مع من تحبه نفسك .. أن الله يفهم جميع اللغات والاهجات .. وبالجمله لا تكن رسميا فى صلاتك الى الله .. اخلصك عنك رداء الرسمية ،

معلقنا مع الله علاقة بنين لا عبيد . فإله لم يعطنا روح العبودية للخوف بل روح التبني التي بها نصرخ يا أبا الآب . . . ستكون أمامه بمفردك . . . انطلق من ذاك ومن قيود المجتمع ، وحدته عن مخاضك والآلم وحك واشتياقاتك ، وقل له « انى مغلوب يا الهى فى كذا وكذا ، وأريد ان أحيا لك فى طهارة وبر ، قونى واعنى . . . » . **ادخل مع الله فى حديث دالة ونقاشى** كما كان يفعل داود « ان كنت للأنام راصدا يارب . يارب من يثيت أمامك » . . . ذكره بمراحمه مع آبائك واحساناته اليهم من جيل الى جيل ، واطلب منه ان يعاملك هكذا ، فهو أمس واليوم وإلى الأبد . . .

ننصحك ان تستخدم لغة المفرد فى صلاتك . فلا تقل لله « نحن خطـ... » وكثيرا ما أهناك وأغضبناك وتعدينا وصاياك . . . بل قل له « أنا انسان خاطئ وكثيرا ما أهناك وأغضبناك يا الهى وتعديت وصاياك . . . لا تقل له « العالم والشهوة تحاربنا بشدة وكثيرا ما تستطنا . . . » ، بل قل له « العالم والشهوة تحاربنى يا الهى بشدة وكثيرا ما تستطنى . . . » ، وهكذا . . . ان **تعبيرات المفرد توقظك وجها لوجه أمام الله ، فتشمر انتك فى حديث واقمى معه . . .**

ونجد هذا واضحا فى القداس الفريغورى الذى هو عبارة عن مجموعة من القملات الرائعة . فعلى الرغم من استعماله فى الكنيسة ويصلى عن جميع الناس ، الا أن واضحه — القديس غريغوريوس الشينولوجوس — أكثر ان يكون حديثا تأمليا رائعا مع ابن الله الكلمة . فيقول مثلا « **خلقنى انسانا كمحب للشر . لم تك انت محتاجا الى عبوديتى بل أنا المحتاج الى ربوبيتك . من أجل تمنفناك الحزيلة كونتنى اذ لم أكن . من أجل ألجمت البحر . من أجل أظهرت طبيعة الحيوان . أخضعت كل شئ تحت قدمى . كتبت فى صورة سلطانك ، ووضعت فى موهبة النطق ، وفنحت لى الردوس لانعم ، اعطينتنى علم بمعرك . . . انت ياسيدى حولت لى العقوبة خلاصا . . . انت الذى ارسلت لى الانبياء من أجل أنا المريض . اعطينتنى الناموس عوناً ، أنت الذى خدمت لى الخلاص لما خالفت ناموسك . . . » ما أروع هذه العبارات . . . انها تجعل الانسان يحلق بروحه فى الالهيات ويشتاق الى السماويات .**

(٧) عناصر الصلاة :

ليست الصلاة التى نرفعها الى الله مجموعة طلبات فحسب ، والا لكانت علاقتنا به علاقة نفعية . على أنه ليست جميع صلوات الطلبات تدفع اليها عوامل نفعية وانما هناك مثلا طلبات من أجل الآخرين تدفع اليها المحبة والخدمة . وقد تكون الطلبة من أجل الآخرين لأسباب روحية تتعلق بخلاص انفسهم ، كما قد تكون من أجل خیرهم فى الحياة الجسدية ، كطلب شفائهم

من أمراضه ، أو فك ضيقاتهم .. الخ . وهناك عناصر أخرى ينبغي أن تتضمنها صلاتنا ، تلك التي نلمس طرفا منها في كلمات الرسول « فاطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وشكرات لأجل جميع الناس .. » (١ : ٢ : ١) . وقد ذكر كل من القديس باسيليوس الكبير والعلامة أوريجانوس أربعة عناصر يجب أن نلاحظها في صلاتنا :

— في الأول يجب أن نمجد الله بكل قوتنا وبقدر استطاعتنا .. ونلمس صورة من ذلك في المزمورين ١٠٣ ، ١٠٤ .

— ثم نشكره من أجل احساناته لكل البشر عامة ولنا خاصة (انظر شكر داود في ٢ صم ٢٢) .

— ويتبع ذلك اعتراف الإنسان بخطاياه وعصياناه لأوامره ، وطلبته الى الله أن يغفر خطاياه الماضية وأن يشفيه من كل الأمراض الروحية المتسلطة عليه .

— وأخيرا يعدد المصلى كل احتياجاته الروحية والنفسية والجسدية له وللجميع .

— وفي النهاية تختم الصلاة بتمجيد الله ..

بعض مشاكل الصلاة

(١) فتور الصلاة :

ويقصد به الحالة التي يشعر فيها الإنسان بعدم رغبته في الصلاة نتيجة عدم حصوله على تعزيات فيها . وان هو صلى يكون في قلق ويريد أن ينهى صلاته بأية صورة ، وبأسرع ما يمكن . أنه يشعر في هذه الحالة أن صلاته لا تتجاوز شغفه !! هذه الحالة يدعوها البعض أيضا « الجفاف في الصلاة »

قد يكون سبب الفتور إما نفسنا وإما الشيطان .. ونقصد بالسبب الأول أن تكون نفوسنا إما مرتبطة ومتعلقة بشهوات معينة ، وإما أنها تعاني من حالات نفسية أو جسمية معينة ، كالأجهاد وضعف الصحة أو عدم نشاط بخى ، وتكون نتيجة ركود الذهن . ومن الطبيعي ألا تجد مثل هذه النفس راحة في الصلاة .. ونقصد بالسبب الثاني المحاربات التي يأتى بها عدو الخير من ملل وضجر وطيشة ، الأمر الذي يعوق تعزيات الصلاة . على أنه يحدث في بعض الأحيان أن يمنع الله تعزياته عنا لحكمة يراها لخبرنا ونفعلنا الروحي ، أو لاختبار حبنا وإخلاصنا له .

فيما يختص بالسبب الأول (انفسنا) .. اذا كان فتور الصلاة ناشئا عن شهوات خاصة في القلب ، يجب علاج هذه الحالة بالتوبة وتنقية القلب . وقد تحدثنا عن ذلك حينما عرضنا لشروط الصلاة المقبولة ، وذكرنا انها يجب ان تكون من قلب طاهر . اما اذا كان ناشئا عن حالات الاجهاد الجسمي ، فيجب تخير الاوقات التي يكون فيها الجسد حاصلا على قسط من الراحة حتى يكون نشيطا . ولذلك فان الساعات الاولى من النهار هي انسب الاوقات للصلاة . كما ان هناك خطأ شائعا يقع فيه الكثيرون ، وهو انهم يصلون صلاة المساء بعد ان يكون قد اخذ منهم التعب كل ماخذ .. قطعاً سسوم لا يشمر امثال هؤلاء بتعزيزات الصلاة ..

اما عن السبب الثاني (محاربات الشيطان) ، مهذه نتغلب عليها بالجهاد والمثابرة وعلاجات طياشة الفكر ، وقد تناولنا ذلك آنفا .. ولنعلم ان تعزيزات الصلاة هبة من الله لتشجيع المبتدئين في جهادهم الروحي . لكننا لا نستطيع ان نستخدم مثل هذه التعزيزات كعامل دائم يدفعنا في حربنا الروحية . ان الجندي وهو ذاهب الى ميدان القتال تزغ به فرق الموسيقى لكي تمتع في نفسه الحماس للقتال ، لكن هذا الوضع لا يمكن ان يبقى ملازماً له في ميدان الحرب . ان دفعة الحماس الاولى تزول ، ويختبر معدن الجندي وسقط المعركة .. !! لقد تعرض الاباء القديسون لهذه الحالة في اية صورة من صورها .. وهكذا كل من يتجرد للجهاد الروحي لاد وان يعاني منها .

كثيرون تتابهم الشكوك نتيجة معاناة حالة جفاف روحي في الصلاة . فهم حينما يفتشون ذواتهم من جهة الخطايا ، يجدون انفسهم حريصين ومواظبين على الممارسات الروحية .. ومع ذلك تبقى حالة الجفاف ويتدخل الشيطان هنا ليشكك هؤلاء ويوهمهم انهم اصبحوا فاضلين في حياتهم الروحية ، وان الرب معرض عنهم تماماً فلا نشوة روحية ولا راحة قلبية !! ولكن قد يكون ذلك بتدبير الهى وحكمة ، اما لكي نضاعف جهادنا . او حتى لا تدخلنا الكبرياء نتيجة كثرة التعزيزات في الصلاة ، على نحو ما حدث للقديس بولس الذي اعطى شوكة في الجسد ، حتى لا يرتفع من غرط الاعلانات !!

وكعلاج لحالة الفتور او الجفاف في الصلاةبحتاج الأمر أكثر ما يحتاج الى نعمة الثبات حينما يبدو الله أثناء الصلاة أنه بعيد جداً منا ، والقلب قاس كالتراب ، وكلهمات الصلاة تبدو وكأنها لا تذهب الى أبعد من شفاهنا ، تلك الحالة التي يشبهها البعض بما قاله الوحي الالهي « وتكون سسماؤك التي فوق رأسك نحاساً والأرض التي تحتك حصيداً » (تث ٢٨ : ٢٣) . ان العلاج يتلخص في تثبيت الإرادة وعدم ادعائها ولو مثقال ذرة لضغوطات الجفاف والفتور .. واتمض بشجاعة نحو الله وان كنا لا نراه ... وفضلاً

عن هذا يجب ألا نعتد في علاقتنا بالله على المشاعر ... ان التعزيات التي توافينا في الصلاة هي بمثابة ابتسامات الرضا من شخص لآخر . والذي يحتاج الى مثل هذه الابتسامات هو العبد حتى يطمئن الى رضا سيده عليه ، أما نحن غائباء . وليس معنى أن الله لم يبتسم في وجهنا يوما أننا فقدنا بنوتنا الله !! علينا أن نفرق بين مشاعر العبيد ومشاعر الأبناء .

ومن جهة الله نفسه فإنه — كما ذكرنا آنفا — يسمح في حالات كثيرة بحرماننا من التعزيات في الصلاة لأسباب كثيرة وذلك لتعليمنا وتدريبنا . نعد نتوهم — لو صارت لنا تعزية مستمرة — أننا أصبحنا قديسين ، وهكذا يدخلنا الغرور . ومعنى ذلك أن الله أعطانا نعمة ومعها نعمة . لكن طريقة الله دائما أنه حينما يعطى نعمة ، يعطى معها كل الضمانات للمحافظة عليها . . . ليس معنى حرمان الله لنا من تعزياته أنه غاضب علينا . فالأم نفسها إذا أرادت أن تعلم ابنها المشي لا تمسك يده في كل مرة وتأخذه خطوة خطوة ، بل تترك يده أحيانا ، فيشعر بالوحدة ويبكى ويمسك بيد أمه . هكذا نعمة الله تشعرنا أنها معنا ، وإنما تتركنا في بعض اللحظات لكي نشعر باحتياجنا إليه ، ونندفع نحوه ونرتقى في أحضانه . ليس هناك أى دليل على أن صلاتنا التي نصلّيها — ونحن نعتنى من مثل هذا الجفاف الروحي — مرفوضة من الله . بل على العكس من ذلك قد يقبلها الله بدرجة أفضل من الصلوات التي شعرنا فيها بتعزية . وذلك لأن هذه الأخيرة أتمناها بالراحة ، أما الأولى فبعد جهاد وتعب ومشقة . ان قيمة الصلاة لا تقاس بدرجة التعزيات بل بدرجة الجهاد .

ويبدو أنه ولا نفس واحدة ممن سمعت في طلب الله وسارت خلفه في الدروب التي كشفها ، إلا وقابلتها هذه الصعوبة . ولعل داود النبي يصور هذه الحالة في أقسى مراحلها في مزموه الثالث والعشرين « أيضا إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شرا لأنك أنت معي ، عصاك وعكازك هما يعزيانني » . وفي المزمور ٦٣ يقول « يا الله الهى أنت ، اليك أبكر ، عطشت اليك نفسي ، يشواق اليك جسدى في أرض نائفة ويابس بلا ماء . هكذا شاهدتك في القدس لأرى قوتك ومجيدك ... » . أى في الأرض النائفة واليابسة شاهدتك في القدس . وهو وسط كل هذا لم يطلب عزاء أو مجرد شعور بالرضا ، لكن في انسحاق كان مكتفيا بانتظار الله ، وبكل ما يسمح به لماذا ؟ لأنه كان يردد « يا الله أنت الهى » . ثم يأتي بعد ذلك هتاف النصر « بإسبك أرفع يدي فتشبع نفسي كما من شحم وسم . بشسفاء الابتهاج يباركك هنى » . ان هذا الفرح لم يكن وليد التعزية الداخلية التي اقتبلها ، بل بسبب الله نفسه ، الذي كان داود واثقا من حضوره وحبّه ، سواء كان ذلك في الظلام أم في النور .

وقد تحدثت مزامير أخرى وعبرت عن معاناة الجفاف الروحي في الصلاة
 منها المزامير ١٠ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٤٠ . وفي المزمور ١٣
 مثلا الذي يقول فيه داود « الى متى يارب تنساني كل النسيان . الى متى
 تحجب وجهك عني . . » ، يقول في آخره « اما انا فعلى رحمتك نوكلت .
 يبنهج قلبي خلاصك . اسبح الرب المحسن الى وارث لاسم الرب العالى » .
 وفي المزمور ٢٢ الذي يقول داود في مطلعته « الهى الهى لماذا تركتني . .
 الهى في النهار ادعو فلا تستجيب ، في الليل ادعو فلا هدولي » ، يقول
 قرب نهايته « اخبر باسمك اخوتي ، في وسط الجباعة اسبحك . يا حائفى
 الرب سبحوه . مجدوه يا معشر ذرية يعقوب . . لانه لم يحتقر ولم يرذل
 مسكنة المسكين ، ولم يحجب وجهه عنه بل عند صراخه اليه استمع » .

يخطيء من يتوقع الفرح دائما في صلاته ، ويحزن ويكتئب حينما يفترقه
 فلا يجده . ان هدفنا في حياتنا الروحية ليس هو الفرح بل الله ذاته ، اما
 الفرح فشيء عرضي . وليس من الصواب ان نشاتل عن الجوهر بالعرض
 . . . في جميع حالات الجفاف الروحي علينا ان نقبل عليه ، ونحمله كصليب
 للمسيح . وعلينا ان نسال انفسنا دائما بدقة وأمانة « ما هو هدف وموضوع
 جهادنا الروحي ، هل هو الحصول على التعزيز والفرح ، أم الالتصاق
 بالله ؟ » .

(٢) مشكلة الوقت :

بدا عامل الوقت يظهر كمشكلة من مشاكل الصلاة في عصرنا الحاضر
 لكثير من الناس مشغولون بحكم أعمالهم ومسئولياتهم المتعددة . على اننا
 نحسب ان نقسم المشغولية الى نوعين : هناك مشغوليات اضطرارية لا دخل
 لارادة الانسان فيها ، وهناك مشغوليات أخرى يربط الانسان نفسه بها
 بعوامل ارادية متنوعة . ومثل هذه المشغوليات الاخيرة لا عذر للانسان
 اذا قصر في واجبه الديني بسببها .

المسئلة في الواقع تحتاج الى عنصر تنظيم الوقت لكي يوفق الانسان بين
واجباته نحو الله وباقي واجباته الاخرى ، وفي ذلك يحتاج الى مقاومة الوقت
الضائع . ومن امثله المقاتلات والمنافشات الباطلة ، والمشغوليات غير
المجدية . كما يلزم ان يعتبر الانسان الصلاة من الامور الهامة التى ينبغى أن
يخصص لها وقتا ، فلا يضعها في آخر أعماله جميعا ، بحيث اذا وحد وقتا
للصلاة صلى ، وان لم يجد اعتذر بمشغوليته .

ان الكنيسة عندما حددت قانون الصلوات السبع « صلوات الاجبية » ،
لم تعددها للرهبان فحسب ، وانما لساير الشعب جميعا . أما الرهبان

فطقسهم هو طقس الصلاة الدائمة . والصلوات السبع ، وإن كانت قد وردت في قوانين مجمع نيقية المسكونى المنعقد سنة ٣٢٥م ، إلا أنها ترجع الى زمن الرسل أنفسهم ، إذ وردت الإشارة إليها في قوانين الرسل ، كما وردت أيضا في قوانين هيبوليتس « في أوائل القرن الثالث الميلادى » . ونحن مطالبون على قدر ماتحتمل امكانياتنا — في غير محابة لانفسنا — ان ننم هذه الصلوات وباخذ بركتها وفاعليتها في حياتنا . على أننا ان لم نستطع ان نتمها كاملة فليتنم منها ماتتناوله ارادتنا حسبما يدبر الله من وقت . ولكنا نلام امام ضمائرنا ان كنا نفضل مشغولية ثانوية ارادية على الصلاة التى هى لازمة جدا لحياتنا الروحية وعلاقتنا مع الله والانس . نحن لاننكر ان بعض الناس قد تضغط عليهم مسئوليات اضطرارية تشغل وقتهم ، وهم يحاولون بكل نية صالحة وبكل ارادة ان يطيلوا الوقت الذى يخصصونه للصلاة ، ومع ذلك قد يفشلون في ارضاء رغبة قلوبهم نحو الله . هؤلاء لايلامون ، بل ان الله ادرى بظروفهم وامكانياتهم ، ومجرد التمسك بقلوبهم نحو الله هو امام الله صلاة نفعه ظاهرة مقبولة ، دون ان يرفعوا فيها عيوننا واياى الى فوق ، ودون ان يرفعوا اصواتهم بكلمات الصلاة .

على أنه الى جوار هؤلاء مهنك اشخاص يقصرون في الصلاة محتجين بشككه الوقت، بينما الامر يرجع في حقيقته الى اهمالهم والى عدم اهتمامهم باعداد الوقت اللازم للصلاة ، او الى استئثارهم للصلاة ، او شعورهم ان صلوات المزامير هى من عمل الرهبان او رجال الدين فقط .

وعلاجا لكل هذا نقول انه ينبغى للانسان ان يتق ذاتة جيدا باهمية الصلاة لحياته وان يبذل مجهودا لتدبير الوقت اللازم لها ، وان يضع لنفسه برنامجا مختصرا يمكن ان يتيمه اذا لم يتسع وقته للصلوات الكاملة . على ان غالبية الناس ، ايا كانت مشغولياتهم ، لديهم متسع للصلاة في الصباح الباكر وفي المساء . لذلك فالتنصير في صلاة باكر امر يلام عليه المقصرون ، خاصة وان هذه الصلاة تحوى برنامجا روحيا لخطة سليمة يسير عليها الانسان في يومه من جهة واجهه من نحو الله او معاملاته للناس . والسدى يبدأ يومه بالله يمكن ان يكمل اليوم حسنا بمعونة النعمة . ومثل هذا القول نقوله عن صلاة النوم ، التى ننصح بانها لاتكون قبيل النوم مباشرة حيث يكون الانسان متعبا منهكا مثل الرأس بالنوم ، وانما اصلح وقت لها قبل العشاء او قبل الخروج غروبا . اما قبيل النوم مباشرة فيمكن ان يصلى الانسان اية صلاة خاصة من قلبه ويستودع نفسه بين يدي الله يطلب بركاته وحفظه له في تلك الليلة ، وينام مستندا الى صدر يسوع المحب مريح كل التعبى . . . وان لم يكن متعبا واستطاع ان يصلى ما هو ازيد فيمكن ان يتلو تحليل الغروب او النوم او كليهما ، وما يوافقه من صلوات محفوظة اخرى .

أما أثناء النهار فننصح بأن يرفع الإنسان قلبه لله بآية طريقة . ومن الأمور النافعة جدا عنصر الحفظ . فالشخص الذى يحفظ قدرا كبيرا من المزامير وقطع الإجابة وتحاليلها وصلواتها ، يمكن أن يتلو من ذاكرته ماوافق ساعات النهار ومناسباته المقدسة من محفوظاته . يفعل ذلك غير متعب بوضع جسمى خاص ، يمكنه أن يصلى فى الطريق أو فى مكان عمله ، أو فى وسائل المواصلات ، سواء كان جالسا أو واقفا أو سائرا . وسنضرب مثالا لهذا :

إنسان در الله له وقت فراغ لفترة الطهيرة ، واستطاع أن يصلى صلاة الساعة السادسة كاملة ، هذا يشكر الله من قلبه على هذا التوفيق وينم صلاته بمعونه الرب . فان لم يجد وقتا سوى دقائق ساو فيها تحليل الصلاة أو قطعها . فهذا يكفى . وان لم يجد . ولا حتى هذا . فليقل قطعه واحدة من القطع الست لهذه الصلاة « يامن فى اليوم السادس . . . » مثلا ، فهذا يكفى . المهم انه لم يترك هذه المناسبة المقدسة دون أن يصلى فيها ويطلب بركتها . فان لم يجد ولا دقيقة واحدة وسمح الله له بلحظة قصيرة ، فليقل « مزق يارب صك خطاياى كما مزقته على الصليب فى وقت الساعة السادسة » . هل نستطيع أن نقول عن هذا الإنسان انه لم يذكر الرب فى الساعة السادسة ؟ كلا ، انه ذكره حسب إمكاناته . ومثل هذا يقال عن باقى الساعات .

على أننا نحذر من أن يكون للشخص وقت كاف وينخذ هذا التسهيل والاختصار الذى ذكرناه مدعاة لإهمال الصلاة والتقصير فيها ، بينما بإمكانه إتمامها كاملة .

(٣) مشكلة المكان :

بسبب كثرة عدد السكان وضيق رقعة الأرض المخصصة للمبى . أصبحت المساكن التى تشاد بقصد السكن ضيقة . فضلا عن كونها مرتفعة الأيجار . لذا تتكدس كل أسرة فى مسكن ضيق . ولاشك أن ضيق المكان قد سبب مشكلة لها علاقة بموضوع الصلاة .

فالصلاة الانفرادية يجب أن يؤدبها الإنسان منفردا ، وقد بنذر وجود مكان مخصص للصلاة فى المنزل . وقد تكون الحجرة التى يصلى فيها الإنسان شركة بينه وبين غيره من أفراد أسرته . وقد يكون الشريك أو الشركاء غير متدينين . ممن لايرحبون بالصلاة . بل قد يكونون عنصرا متعسا من جهة السخرية ، خاصة إذا كان المتمسك بالصلاة شابا أو حدثا . . . أو قد تكون الحجرة مشاعا فى الاستعمال من أفراد الأسرة . وتزداد هذه المشكلة صعوبة إذا كانت الأسرة فى جملة غير متدينة .

نحن لا ننكر أن وجود شخص لا يصلى جالسا في مكان ما ، بينها شخص آخر قائم للصلاة . لا يعطي الحرية الكافية لهذا الآخر ، ولا يساعده على الانطلاق في الصلاة ... انها على اى حال مشكلة يجب التغلب عليها . يجب أن يثبت الانسان في طريقه وفي صلواته ، فقد يكون ثباته هذا خير مبكت لمن لا يصلون . وسببا في ربحهم للمسيح . أعرف شاما تقيا كان طالبا في احدى الكليات العسكرية ، ومع ذلك فقد كان يقف وسط عنبر النوم الى جوار فراشه يصلى صلاة ازمير دون خجل ... ولما عرف المسئولون في الكلية حقيقة الامر ، كان ذلك سببا في ازدياد تقديرهم له ...

وقد بلجا البعض الى حل هذه المشكلة ، بأن يسنقظ مبكرا قبل سواه ممن يشتركونه المسكن ، وينتظرون في المساء حتى ينام الجميع ، وبعد ذلك ينتصبون للصلاة . نحن لا ننكر صعوبة الامر ، لكنه جهاد على اى حال له اكليله وبركاته ..

وثمة امر آخر نود الإشارة اليه ونحن بصدد مكان الصلاة . فقلنا تتم الأسرة بتخصيص مكان للصلاة (الركن الصلاة) ... ليت كل أسرة مسيحية بهذا الامر وذلك بتخصيص اى مكان في المنزل تزينه بالصور الدينية ، وحدها لو أضاعت فيه قنديلا امام صورة قديس أو قديسة . فهذا الامر — فضلا عن بركانه الخاصة — فانه يشيع في المنزل جو التعبد والصلاة . ولتكن عنايتنا بهذا الركن من المسكن تفوق عنايتنا بأى جزء آخر من المنزل ، باعتبارنا المكان الذي نلتقى فيه مع الرب ، وفيه نلقى عنا كل احوالنا ومتاعبنا ، ونلقى العون والقوة .

(٤) مشكلة الخجل :

قد يؤلف الخجل عند البعض مشكلة تتصل بالصلاة ، لا من جهة الصلوات العامة ، بل حتى فيما يتصل بصلواتهم الانفرادية . فهم يخجلون اشد الخجل ، ليس من الصلاة امام الآخرين ، أو في وجودهم ، بل من مجرد معرفة الآخرين — الذين يضمهم معهم مسكن واحد — انهم يصلون ، ولو كانوا من أفراد أسرته !! ان مجرد هذه المعرفة امر يسبب لهم تعباً وضيقاً . وتتعبهم هذه المشكلة في اجتماعات الصلاة الخاصة والعامة ... وعلى الانسان الذى يعاني من الخجل أن يحاول تدريجيا تدريب ذاته على عدم الخجل ، عن طريق توجيه كل طاقة مشاعره في الصلاة نحو الله دون الناس ... وان يجعل في صلواته طلبه خاصة من اجل الخجل .

(٥) موضوع الخفية في الصلاة :

الصلاة في الخفاء وصية السيد المسيح لكل المؤمنين باسمه (مت ٦: ٦) لكن البعض ينهمون هذه الوصية فهما منحرفا يبتعدون به عن قصد الرب

منها . فالسيد المسيح حينما امرنا ان نصلى في الخفاء ، لم يقصد بذلك الا
 يرانا احد ابدا او لا يعرف احد على الاطلاق اننا نصلى . بل قصد من ذلك
 الى استئصال الرياء وحب الظهور وطلب مجد الناس ، تلك الامراض التى
 تنفشت في المجتمع الفريسي في ذلك العصر . والسيد المسيح — لا في موضوع
 الصلاة محسب — بل في كل اعمالنا امرنا ان نعملها من القلب له وحده وهو
 الذى يعطى كل واحد كاعماله . ولو كان قصد المسيح الا يرانا احد على
 الاطلاق ، فكيف نفسر قوله « غليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا
 اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذى في السموات » (مت ١٦: ٥) ؟ !

يُحَارِبُ الشَّيْطَانُ الْبَعْضُ مَتَسْتَرًا بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ ، نَهْمُ لَا يَرِيدُونَ أَنْ يَدْخُلُوا/
 الى احد حجرات المنزل مثلا ويغلقوا عليهم ، لئلا يعرف انهم يصلون . واذا
 كان المساء — ويريدون ان يصلوا صلاة الزامير — لا يريدون ان يؤتدوا
 النور لئلا يعرف من هم خارج الحجرة انهم يصلون ... واذا اقتحم احد
 المكان الذى يصلون فيه ، سرعان ما يغيرون وضع الصلاة ، حتى لا يعرف
 احد انهم يصلون . ومنشأ كل ذلك فكرتهم عن الخفاء في الصلاة ... ان
 السيد المسيح يقصد بهذه الوصية ، الا تكون صلواتنا بغرض الرياء والظهور
 وطلب مجد الناس ، حتى لو رآنا الجميع نصلى . ان السيد المسيح يجازى
 عن مشاعر القلب .

(٦) مضايقات الاسرة :

وهذه النقطة بالاكثر تخص الشباب وصغار السن اذا كانت تضمهم اسرات
 غير متدينة . انهم يضعون العراقيل امامهم بشتى الطرق ، من — سخيرة
 بتدينهم وصلواتهم ، الى محاولة اقناعهم بخطا الطريق الذى يسلكونه ، الى
 منعهن عن الاجتماعات الروحية واجتماعات الصلاة ، الى التدخل بالقوة في
 حريتهم الشخصية ومنعهن من الصلاة بحكم سلطانهم ، الى عدم مراعاة
 مشاعرهم ومحاولة مضايقتهم بشتى الطرق كتثفيل المزنياع (الراديو)
 او التلفزيون بصوت مرتفع مزعج اذا هم عرفوا انهم يصلون ...

ونرى رأينا ان ثبات الشاب امام هذه التيارات والمضايقات ، والتجائه الى
 الله ، والسلوك بحكمة واتزان كفيل بأن ينصره على هذه المضايقات ، بل قد
 يؤدي غالبا الى كسب هؤلاء المقاومين الى الله بقوة الصلاة التى لا تقهر
 « صعب عليك ان ترغس مفاخس .. » !!



الصلاة الدائمة

ليس الذين يحيون حياة السكون في البراري والقفار هم الذين يؤهلون وحدهم لدرجات الصلاة العالية ، بل حتى أولئك الذين يحيون في العالم وسط مشاغل الحياة المختلفة يمكنهم الوصول الى درجات عالية في الصلاة اذا هم استغلوا كل الفرص التي تعرض لهم . ان الرب يسوع يعلمنا انه « ينبغي ان يصلى كل حين ولا يمل » . والرسول بولس يوصي المؤمنين « صلوا بلا انقطاع » . ان داود العظيم وهو ملك على اسرائيل ، وله مهام المملكة كان يقول « رايت الرب امامي في كل حين » (مز ١٥ : ٨) ... « سبع مرات في النهار سبحتك على احكام عدلك » ... « في نصف الليل نهضت لاشكرك على احكام عدلك » .

ما معنى الكلام السابق ؟ هل معناه ان الانسان يتوقف عن العمل تماما حتى يتم الوصية « صلوا بلا انقطاع » ؟ طبعا لا ... وهل يمكن الجمع بين العمل والصلاة ، ومعلوم ان الفكر لا يمكن ان يتركز في شئين في وقت واحد ؟ ! وهل الوصية السابقة هي لفئة خاصة من المسيحيين كالرهبان مثلا الذين انتظموا للعبادة ، ام هي لجميع الناس ؟ واضح ان الرسول كان يوصي جميع المؤمنين ...

يقول البعض ان مداومة الصلاة التي يطلبها الرسول ادبية وليست حربية . فالصلاة الدائمة لا تتألف من عمل الفكر المستمر . انها لا تتطلب اعمال الصلاة الظاهرة ، بل عادة الصلاة الخفية المستمرة ... ولكي نفهم ذلك ، علينا ان نفهم معنى كلمة « عادة » . انها تدل على ميل او استعداد مستقر ، يقود الانسان ان يؤدي تلقائيا بسهولة ومهارة متزايدة ما يعمل به الانسان دائما ، الى ان يصبح العمل — بعد وقت ما — عمليا وذا اعمال خاصة بالارادة . وبعبارة اخرى حينما نقول اننا نقضى عادة معينة ، نعني ان قدراتنا العقلية والادبية والروحية مرتبة بطريقة معينة ، ومهياة بقوة خاصة ، ومدربه ومعلمه . حتى انها تحت ظروف خاصة ، تتجه للحال وبانتظام واستمرار ، الى عمل موافق ...

وثمة امر آخر وهو ان حالة الصلاة الدائمة تنبع عن الحب . فمثلا نقول ان الرجل يحب زوجته واولاده جدا ويفكر فيهم دائما . ليس معنى هذا انه لا يشتغل ، لكن تاتي اوقات يكون عقله منصرفا الى عياله ، لكن ومع ذلك يسيل حبه من داخله ... وعلى هذا القياس تكون الصلاة بلا انقطاع ، هي ان تحيا حياة الحب مع الله ... الحب الذي يرفع القلب دائما اليه .

ان الواجبات اتى تعوقنا عن التفكير في الله تفكيراً مباشراً — اذا هي قدمت له كخدمات لحبا — معتبر في ذاتها من أعمال الصلاة . لأن الصلاة لا تتألف من أفكار و كلمات ولكن من أفعال أيضاً . يقول القديس كليمنطس السكندري في كتابه « المتنوعات » عن المسيح الحقيقي : « انه يصلى في كل مكان ... ماشياً ، متحاذياً ، قارئاً . كل الأعمال العقلية تعتبر أعمالاً مختلفة للصلاة » .

الشعور بوجود الله :

كنا نكثر كلامي مع الله ، وكلما استغرقت في الحديث معه ، كلما شعرت باستمرار وعمق بوجوده معي . اذا رجعنا عقب توديع انسان صديق لنا توهمي . وكنا نحيا معه في مسكن مشترك ، نقول ونحس « ان البيت ماضي علينا » . فلقد كنا نشعر دائماً بوجود هذا الصديق معنا . الاتصال اندام ولد فينا هذا الإحساس ...

والشعور بوجود الله يشبه — الى حد ما — الشعور بوجود صديق عزيز . نبدأ نتعامل أحبي معه . بالتحدث اليه ومعاً ، نقضى شهوراً ثابتاً بوجود ذاك المحبوب ، الذي غيابه يشعرونا بالوحشة والفراغ . لدينا نحة الى الله بمعنى الجهد الذي يبذله في علاقتنا مع البشر . **علماً أنه حيث الحب فلا يكون هناك جهد !!** كل ما هنالك — في علاقتنا بصديق والإحساس بوجوده — انه امر يخص بالنظر . بينما الأمر في حالة الله يخص بالإيمان . يقول أحدهم « الله موجود في كل مكان ، لكن ليس هذا بالنسبة لنا . هناك مكان واحد في الكون كله ، نتصل فيه بالله — في عمق قلبنا «انتم هيكل الله» . هناك هو ينتظرنا ، هناك يقابلنا ، هناك يتحدث إلينا . ولكي نجده ونقابله علينا أن ندخل الى داخلنا » لذا ، اذا أردنا أن نشعر بحضور الله ، علينا أن ننظر اليه في الداخل وليس في الخارج . علينا ألا نترك الفكر يفشى عنه هنا وهناك خارجاً عنا ... وحتى لو كان هناك ، فليس في ذاك المكان نتصل به ، بل في قلوبنا فقط . لقد كان هذا هو الخطأ الذي وقع فيه القديس اغسطينوس قبل تربيته ، حينما كان يبحث عن الله حتى وجده ، لكن بعد ان اضاع وقتاً طويلاً ثمينا ... يقول في الكتاب العاشر من اعترافاته « لقد أحببتك متأخراً جداً ، أيها الجبال القديم جداً ، ومع ذلك جديد للغاية » ... ثم يصرخ « احببتك متأخراً جداً !! هو ذا أنت كنت في الداخل وأنا في الخارج ، وكنت بطريقة أخرى ابحت عنك » .

الصلوات القصيرة المتكررة :

نتيجة محبة الله التي نغمر النفس، وشعورها بوجوده معها في داخلها ، تنطلق الروح معبرة عن حبها وسعادتها واحتياجاتها بصلوات قصيرة متكررة

لا تحتاج الى تركيز ذهنى او الى جهد عقلى ... وهذه لا تحتاج الى وقت معين او مكان معين او جو معين ، لانها حديث الانسان الى القدوس الساكن فيه ... نستطيع ان نمر عن مشاعرنا بهذه الصلوات القصيرة فى الطريق وسط الازدحام ، او فى الترام او فى الاتوبيس ... حينما نكون منفردين او بالناس مجتمعين ، وبالجملة فى كافة الظروف والمناسبات . ما أجمل الكلمات التى تتضمنها ابصالية يوم السبت فى تسبحة الكنيسة السنوية « كل نفس اعطيه ، يبارك اسمك القدوس » ... نعم كل نفس يبارك يا الله . كل زفير يخرج من داخلى ، يخرج معه ايضا تسبيح لك يا حبيبى ، يحمل بين طياته مشاعر حبى وآيات ولائى وخضوعى وطلبة نفسى ان اكون دائما معك ...

انما ندعوك يا احبا ان تمارس هذا التدريب الجليل العجيب . انه ليس كلاما نظريا بل واقعا اختبره كثيرون وما زالوا يعيشون فيه ... ليس ما يمنعك من ممارسته والتمتع به ... لكنه يحتاج الى شعور واحساس بوجود الحبيب معك . لانك فى الوقت الذى تحس بذلك ستتهف مع العروس « وجدت من نحه نفسى فأمسكته ولم أره » (مش ٣ : ٤) ... وهذا التدريب — كأي تدريب آخر — يحتاج انتقائه الى مران وصبر . فى البدء يكون بمجهود ونسب . لكن عامل المداومة والسير ، لاند وان يصل بنا الى الوضع الذى نؤديه فيه دون جهد أو تعب ...

أمثلة منها :

(١) صلاة ربى يسوع المسيح : اسم المسيح الحلو يردده المؤمن مقرونا بطبسة قصيرة كان يقول مثلا : « ياربى يسوع المسيح ابن الله ارحمنى ... ياربى يسوع المسيح اعنى ... ياربى يسوع المسيح اطرده هذا الفكر الشرير عنى . ياربى يسوع المسيح اعطنى هدوءا فى جسدى ... ياربى يسوع المسيح اطل عى كل قوافى الشرير ... اعطنى ان احبك ياربى يسوع المسيح ... وهكذا ... »

وقد استخدمت هذه الصلاة منذ المصور القديمة . وتوجد اشارات اليها فى كتابات القديسين مار انطون ويوحنا ذهبى الفم ومار اسحق وبرصنوفوبوس ويوحنا الدرجى ...

انها طلبة لا تحتاج الى جهد او الى ضبط فكر ، لكنها تحتاج الى حب وعزم . هي صلاة قصيرة ، لكنها تحفظ للقلب حرارته المقدسة ، وهى لسان دائم يناجى الخالق ... ان اسم الرب ذو قوة واقتدار عظيمين ، وهو خلاص لكل المتجنين اليه « اسم الرب برج حصين يركض اليه الصديق ويتمتع » (ام ١٨ : ١٠) . ان اسم الرب يرعب الشيطان « والثف (بولس) اى

الروح وقال : انا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها . نخرج في تلك الساعة » (ا ع ١٦ : ١٨) .

ان كنت في شدة بسبب افكار او محاربات شيطانية او بسبب ضيقات ايا كانت ، او ان كنت أسير عادات سيئة ، نشير عليك باختبار قوة واقتدار هذه الصلاة ...

(٢) ترديد الجزء الاول من المزمور التاسع والسنين « اللهم التفت الى معونتي . يارب اسرع واعني » . لقد ذكر يوحنا كيسان ، أن هذه الصلاة كان يرددها جميع النساك في مصر . ويحدثنا باستفاضة عن اختباراتنا في هذه الصلاة ، وهذا التدريب الشيق ، يقول في كتابه « المقابلات » :

« لم ينتق هذا الجزء عبثا من بين الاسفار المقدسة . انه يضمن جميع مشاعر الطبيعة البشرية ، ويمكن استخدامها في كل حالة ، لانها استدعاء لله ازاء كل خطر ، وتتضمن اعترافا متواضعا تقويا ، مع مخافة دائمة ، وامتنان الانسان لضعفه وثقته في الجواب ، والتأكد من معونة ... فالانسان الذي يداوم على نداء من يحميه ، هو بالتأكيد في يده دائما ... هذه العبارة هي سور حصين لكل الذين هم تحت هجمات الشياطين ، فضلا عن كونها سترا لا يقتحم ودعا قويا ... ان هذه العبارة معينة ومفيدة لكل واحد منا في كافة الحالات التي نكون فيها ... يجب علينا أن نردها بلا انقطاع حتى نحفظ . لينك تفكر دوما فيها . وايا كان العمل الذي تعمله ، او الرحلة التي تقطعها ، فلا تكف عن التفنى بها . حينما تأوى الى فراشك او تأكل ، وبالجملة فكر فيها ورددها في كل شيء ... ان هذا الفكر لا يكون في قلبك متقذا وحافظا من هجمات الشياطين فحسب ، بل أيضا ينقيك من كل الاخطاء والادران الأرضية ، ويقودك ذلك التأمل الخفي المسائي الى حرارة الصلاة التي لا يبرح عنها ... اجعل النوم يأتي عليك وانت ترددها ... وحينما تستيقظ اجعلها أول شيء تفكر فيه . وحينما تنهض اركع على ركبتك ورددها ، واجعلها تتبعك طيلة يومك ... » .

الصلاة وفق قانون

هل من الأنسب والأوفق أن يكون لنا نظام او قاعدة او قانون خاص لعبادتنا ؟

الاعتراض معروف ، وهو أن الصلاة المقررة تصبح آلية ، بينما يجب أن تكون طليقة وصادرة عن الذات . من الخطأ أن نتجاهل هذه الاعتبارات .

فقد يحدث أن نقول الصلاة المكتوبة باللسان دون أن يكون للفكر أو القلب نصيب . . لكن من الناحية الأخرى ، إذا لم يكن لنا نظام معين أو طريقته حاصه في صلواتنا ، ونصاى فقط متى أحسبنا بالرغبة إليها ، فإن هذا بلا شك يصبح خطرا مساويا لخطر الضرر الأول ، وبذلك سننمو غير مباليين للصلاة . وظاهرة عدم الاستمرار ستتنتهى غالبا إلى الإهمال الكلى .

(١) وقانون الصلاة ليس فيه أهانة لله . فأكثر ما يهيم الله امران : أن نتحرك أرادتنا نحوه ، وأن يكون هناك غرض يكمن في أفعالنا . أن أنفاذ قاعدة محددة للصلاة هو في حد ذاته تصميم على الصلاة والتحدث إلى الله بانتظام بغض النظر عن الحالة التي تكون عليها . وقانون الصلاة هو بمثابة عهد لاستمرار الإنسان في الصلاة ، وأن يكون آمينا إلى الموت . وواضح أن ربط أنفسنا بمثل هذا القانون هو بمثابة عمل من أعمال الإرادة البعيدة الأثر ، وهو أفضل من ترك أنفسنا تصلى حينما نشعر بتأثير عارض . لأنه مهما يكن ذلك التأثير قويا في حينه ، فإنه سيضعف ويزول بعد فترة دون أن يترك هدفا أو قرصا .

(٢) وارتباطنا بقانون للصلاة هو عون لنا . فأكثرتنا يحتاج إلى نوع من الدافع للصلاة ، وهذا ما يحقته هذا النظام . وعلينا في هذه الحالة أن نواجه صعوبات ومعطلات الصلاة ، كحالات الجفاف الروحي وما إلى ذلك . لكن ليس من الضروري أن نعد مثل هذه المحاربات التي تعرض لنا ناشئة عن صلاتنا وفق قانون ، إذ ربما تكون ناتجة عن نواهي ضعف روحي داخلية . الصلاة ليست شركة مع الله فحسب لكنها أيضا نضال ضد أعدائنا الروحيين . وارتباطنا بقانون للصلاة يجعلنا نعبّر هذه الأزمات والصعاب التي تواجهنا . .

إن المسيحية ليست دعوة إلى الحرية المطلقة ، والتخلل من كل قيد ، ونبذ الواجبات . فالحرية بهذا المفهوم ، ليست هي حرية مجد أولاد الله التي نقلنا إليها السيد المسيح بعد أن كنا نرزح تحت نير عبودية الفساد . . بل إن هذا التخلل يجعل من الحرية فرصة للجسد ، تلك التي حذرنا منها الرسول (غل : ٥ : ١٣) . . .

لقد أجمع الآباء القديسون على وجوب الالتزام بقانون للعبادة يضعه الآباء الروحيون . وهذا الأمر يناسب الجميع لاسيما المستندين في حياتهم الروحية . يقول القديس إيرونيموس في رسالة إلى تلميذه له تدمي يوستخيوم « على الرغم من أن الرسول يأمرنا أن نصلى بلا انقطاع . وعلى الرغم من أنه بالنسبة للقديسين ، نومهم يعتبر صلاة ، إلا أننا يجب أن نعين أوقاتا للصلاة حتى إذا ما حدث وأنشغلنا بأى عمل ، فإن الوقت نفسه يذكرنا بواجب . . » . أن العبادة الطقسية لا عيب فيها ولا غبار عليها ، وإنما العيب والخطأ أن نتم بطريقة آلية تفقدها قيمتها وأثرها . . .

لماذا اختارت الكنيسة مزامير داود النبي ورتبتها في كتاب خاص (الأجبية) ليصلى بها المؤمنون في صلواتهم الخاصة، وارصلى بها أثناء العبادة الجهرية ... ؟

لا أريد أن أجيب عنى هذا التساؤل بالفاظى الخاصة ، لكنى أريدك أن تستمع فى شغف الى مادونه القديس يوحنا ذهبى الفم فى عبارات رائعة يقول : « ان لسفار العهد القديم ، با جهد نفلوها فى كل عام مرة . والانجيل المقدسة التى لخلصنا بما فيها من تعاليم واخبار معجزات نفلوها فى الأسبوع (فى الكنيسة) مرة او مرتين . وكذلك اقوال معلمنا بولس ... اما كتاب الطوباوى داود ، فلا أدرى كيف درت نعمة الروح القدس ان يصلى به نهائاً وليلاً ، حتى ان الجميع يتخذونه بأمواهم كأطيب الكثير الثمن . فان كان فى الكنائس والاجتماعات العسامة فداود فى الأول وفى الوسط وفى الانتهاء . وان كان فى جناز الموتى ومنازل العذارى وصنائع الأيدى فداود فى الأول وفى الوسط وفى الانتهاء . حتى ان السدين لا يعرفون القراءة منى أرادوا ان يتعلموا يستثنون أولاً بأقوال داود ويحفظونها . ان كان فى أماكن العذارى المشبهات بمريم ، أو فى مناسك الرجال فى القفار المجندين فى صلواتهم يخاطبون الله ، فداود هو الأول أو فى الوسط وفى الانتهاء . فكل من كان مستغرقاً بنوم ثقيل من اغتصاب الجسد الطبيعى ، ويعرض له ان ينهض ليلاً فى غير وقته ، يتلقاه داود للحين . كم من تسبيحات ملائكية يقيمها لله من عبده . فالأرض يجعلها سماء ، والبشر يصيرهم ملائكة ، يزين حياتنا بأسرها ويهيئ لنا كل شيء : ينمى الأولاد بالتأديب ، يدعو الشباب الى العقل الرصين ، يهب العفة للعذارى ، ويمنح الشيوخ تحفظاً . يستدعى الخطاة الى التوبة بقوله ، اعترفوا للرب فانه صالح . يحفظ المنتقمين فى طريق التوبة بقوله : خطيئى شباى وجهالاتى لاتذكر يارب . ينهض المحسن اليهم للشكر ويحثهم بقوله : بماذا اكافىء الرب عن كل ما اعطانيه . بدعو الذين اخطأوا الى الاعتراف اوقات كثيرة بقوله : ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك . يثبت المدعوين للكهنة بقوله : لاتطرحنى من أمام وجهك يارب . يفقه المسوقين الى القضاء بقوله : نجنى من بئى الناس يارب . يطمئن الخائفين من الأعداء بقوله ، انقضى من أعدائى يا الله . ويحث الصبورين والشكورين على الثناء المفرط بقوله صبرا صبرت للرب فاصغ الى واستمع طلبنى ... **فيا لها من قيامة شريفة معقدة لانها تجمع بين أنفاس العالم كلها اوتار لها ، ثم تفرع فى آذانهم نهجيد الله وتسبيحه ... »**

ونستطيع ان نخلص من ذلك الى الأسباب الآتية التى دعت الكنيسة المقدسة الى استخدام المزامير كمادة للصلاة :

(١) لقد جمع داود في شخصه اختبارات عجيبة : فهو راعى الغنم ، وهو النبي العظيم وهو الملك . هو القديس الذي خلق في مسامح الروح . وهو الإنسان الذي سمح الرب بسقوطه في خطيئتين شنيعتين ادلتاه ولاجلهما ظل يبكي ويبل فراشه بدموعه قائلا « خطيئتي أمامي في كل حين » . فنحن في الزمير نجد اختبارات كثيرة لابد أنها توافق احتياجاتنا .

(٢) أنها خرجت من قلب انسان تطهر فعلا بالتوبة وجاهد من اجل حياة الروح جهادا عظيما يجدر بنا ان نتطلع اليه حتى لا نستكبر . ويقول يوحنا ذهبي الفم «قف يا انسان عند حدك هل وصلت الى ماوصله داود : فاسمعه يقول ضعفت ركبتاي من الصوم وجسدي تشوه وذوي من الزيت » . وايضا في يوم حزني لبست مسحا وكنت اذل بالصوم نفسي . ويقول في السهر : في نصف الليل نهضت لاشكرك على احكام عدك ... سبع مرات . في النهار سبحتك على احكام عدك ... اما أنا فصلاة . ويقول في النفس : اكلت الرماد كالخبز ومزجت شرابي بدموعي . ولماذا نعدد مناقب داود وما اراد الله شهد له : وجدت قلب داود حسب قلبي . وعلى الرغم من كل هذه التقويبات سقط . فلا تطعن يا اخي بعد هذا لأنه : اذا كان البار بالجهاد يخلص فالفاجر والمناق ابن يطهران . فانته الى ذلك اذا ... » .

(٣) الزمير ولو ان قائلها هو داود واليه تنسب ، لكنها ايضا هي كلام الله قاله داود بالروح القدس ، حتى ان السيد المسيح قال « قال داود بالروح ... » . وحينما تصلى بالزمير تكلم الله بكلامه ... فهل يوجد اعظم من ذلك ؟ انه اضمن للمحامي الذي يترافع عن متهم ان يترك عنه كلامه الخاص ويكلم القاضي بنصوص القانون ويطالب بالحكم ببرائة موكله طبقا لهذا القانون ، فان القاضي ملتزم به . اليس هذا هو ما نلزمه في زمير داود التي تتضمن صورةا لمحبة الله ورحمته واحسانه وبره وعطفه وحنوه وعدله وحده على بني البشر ؟ ان كل ما نامله ان يعاملنا الله بحسب هذه الصفات .

(٤) ان صلواتنا الارتجالية التي نصليها غالبا ما تكون صلوات نفعية . فهي طلبات متراسة لا غير ، وغالبا ما تكون خالية من عنصر هام في الصلاة هو عنصر التسبيح . وهذا العنصر نراه واضحا جدا في تراتيل داود وزميره ...

(٥) والزمير فوق هذا كله مادة عجيبة للتأمل . فهي تتيح للذين يصلونها بالروح وبنان تأملات رائعة حقا . لا يمكن الا ان يكون مصدرها روح الله ... هذا هو ما اختبره الآباء وما اختبرناه نحن ... وما السب في ذلك ؟ هل يرجع ذلك الى تنوع افكارها وعمق المشاعر التي دونتها والقلب الصافي الذي اخرجها والنبوات الواضحة التي تضمنتها ... قد يكون هذا كله .

معا وغيره أيضا ... على أى حال اسبوق اليك ظاهرة مؤكدة ولك ان تختبرها ...

فهل بعد هذا تحتاج الى برهان على قوة المزامير وجزيل نعمها للصلاة بها ؟ اسلك ان تستمع الى قول مار اسحق « ليكن لك محبة بلا شبع لتلاوة المزامير لأنها غذاء الروح » .

ليس معنى الكلام السابق الاكتفاء بصلاة المزامير . كلا ... بل يجب ان يعقب كل صلاة بالمزامير صلاة خاصة تعبر بها عن مشاعرك نحو الله وتطلب بها احتياجاتك الخاصة ... بل ان الآباء القديسين يعتبرون صلاة المزامير تمهيدا لصلاة القلب ...

كيف نصلى بالمزامير ؟ .

+ **قدم صلاتك في وقار وحشمة ، وابسط يديك الى السماء بانضاع ، واسجد بخشوع . فعلى قدر اهتمامك بذلك — كما يقول مار اسحق — يكون اغتقاد النعمة .** لانه معظم في عينى الرب الوقار الذى يقدمه الانسان أثناء ذبيحة صلاته ... « . افهم معنى الصلاة ، واتل كلمات المزامير بتأن وفهم كأنها من قولك وليس من قول آخر .

+ **اذا كان وقتك لا يتسع لتلاوة المزامير التى للساعة الواحدة ، فقل العدد لكى تصلى هذا القليل بالروح . يقول مار اسحق « اذا شئت التمتع بحلاوة قراءة المزامير والتقم بمذاقة الروح القدس فيها ، دع عنك الكمية ، ولا يهيك معرفة عدد المزامير التى صليت بها . يكفى أن يكون عقلك غامها معانى الصلاة فيتحرك فيك شمعور بتمجيد الله » .**

+ **مع كل لفظ في المزمور فيه ذكر السجود اسجد او في القليل احن واسك بالسجود .** وحيدا لو أنك خررت ساجدا في نهاية كل مزمور طالبا من الرب طلبه واحدة ... فان أنت شعرت أنك أهنت الرب بخطيئة معينة اسجد بعد كلية هليلويا وتل للرب « اخطأت اليك يارمى يسوع المسيح ارحمنى » . وان كنت معذبا من خطيئة معينة اسجد أيضا في نهاية المزمور واطلب من الرب أن يخلصك منها ، وهكذا في نهاية كل مزمور . ان كان انسان في ضيقة معينة وطلب اليك أن تذكره ، لا مانع أن تطلب طلبتك لأجله بهذه الطريقة .

+ **ويوحنا كسيان يسجل لنا ذلك عن رهبان مصر القديسين (في اواخر القرن الرابع) فيقول « رأيتهم في صلواتهم حينما ينتهون من تلاوة كل**

مزمور لا يستعجلون السجود كواجب يراد انهائه — كما يصلى الكثير منا الآن — بل رايتهم على خلاف ذلك ، فبعد ان يفرغوا من المزمور يثفون برهة يرمعون فيها صلاة قصيرة ثم ينحنون فى خشوع ويسجدون الى الأرض بوجوههم بورع كثير وتقوى شديدة ثم ينتصبون بخفة ونشاط ويمودون الى وقفته المتصبة وافكارهم كلها منحصرة فى الصلاة ... » .

+ كيرىاليسون التى نثوها ضمن صلاة المزامير يجب ان تكون بـتـان . اشعر كل مرة تقول فيها « كيرىاليسون » ان جلدة او سوطا قد هوى على ظهر السيد المسيح ، ثم قل فى داخلك « لاجلى ياسيدى » ... اتخذ من آلام المخلص وسيلة لطلب الرحمة لنفسك الشقية ...



الصّوم

« قُمْسُوا صُومًا ، نَادُوا بِاعْتِكَافٍ »

(يوحنا ١٥ : ٢)

- + مفهوم الصوم روحيا .
- + مركز الصوم في الحياة الروحية .
- + لماذا أصوم ؟
- + كيف أصوم ؟
- + نصائح وارشادات .
- + الصوم في الكنيسة القبطية .

مفهومان للصوم :

الصوم بمفهومه الخاص . هو الامتناع عن الطعام فترة معينة ، يتناول الصائم بعدها أطعمة خالية من الدسم الحيوانى . لكن للصوم مفهوما عاما عند الآباء القديسين . فهو فى رأيهم يشتمل على كل صنف التقشف والنسك وقمع الاهواء والشهوات الجسدية . قال القديس يوحنا التبايسى « **صوم الجسد هو الجوع من الغذاء ، البعد عن الملذات ، النسك من الدسم ، وصوم النفس هو أن يجوع الإنسان ويمتش للبر ، ويصوم عن التداير الرديئة وعن الاهتمام بها وعن فكر الرذائل** » . وقال القديس بولس الرسول « وكل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شيء . . . اقمع جسدى واستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضا » (١ كو ٩ : ٢٥) . ولذا يجعل بنا ، قبل أن نتناول موضوع الصوم بمفهومه الخاص ، أن نتحدث منه بمفهومه العام ، وبعبارة أخرى نتحدث عن قمع الجسد لارتباطه الوثيق بالصوم .

قمع الجسد (١) :

القديس بولس المبشر العظيم . وكارور المسكونة الذى صعد الى السماء الثالثة ، ورأى امورا لا ينطق بها ولا يسوغ لانسان أن يتكلم بها ، وتعب أكثر من جميع الرسل . . . هذا الرسول العظيم والثناء المختار — بحسب شهادة الرب — يقول « **اقمع جسدى واستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضا** » . . . والانسان تلخذه الدهشة فيستساعل : **أيمكن أن يرفض مثل هذا القديس العظيم بعد كل هذا ؟! ابعد ما استاهل « لفرط الاعلانات » يمكن أن تتحرك فيه شهوات الجسد ، ويخسر الجمالة ، ولذا يقول « اقمع جسدى واستعبده » ؟! . . .**

لاشك أن كلمات الرسول هذه تبرز لنا جانبا هاما من جوانب الجهاد الروحى المسيحى الأصيل . . . فربما كان مفهوم كلمة « **الخلاص** » عند

(١) استعمل بعض الآباء لفظ « الامانة » للتعبير عن قمع الجسد . ويبدو أنهم أخذوه عن بولس الرسول حيث أورده فى (رو ٨ : ١٣) . واستخدمته ايضا الكنيسة فى القطعة الاولى من قطع صلاة الساعة التاسعة فى الاجبية . . .

البعض غير واضح ، وكفى بذلك الذى يقول « أنا خلصت » قد وصل الى الملكوت وكأنه قد خلع جسد الخطية ، فلا حاجة به الى جهاد ضد الجسد وشهواته ، وكأنه انسان لا يخطئ على الرغم من أنه مازال يحيا فى الجسد!! لكن ليتذكر هؤلاء وامثالهم كلمات الرسول السابقة ، فهى خير منبه لنا نحن الصغفاء . **لأنه اذا كان «البار بالجهد يخلص» فالفاجر والخطيئة أين يظهران»** (١ بط ٤ : ١٨) !!

والحق أنه من أهم ما يعوق نمو الانسان الروحي وتقدمه فى الفضيلة ، انفعالات الشهوة الحسية ، وميول الجسد الرديئة . . . الأمر الذى يعبر عنه يعقوب الرسول بقوله « من أين الحروب والخصومات بينكم ، أليست من هنا ، من لذاتكم المحاربة فى أعضائكم » (يع ٤ : ١) . . . فالجسد بشهواته وانفعالاته ، هو بلا شك ، معطل قوى من معطلات الحياة الروحية . . . الروح تريد أن تطلق نحو الله ، والجسد يجذبها الى أسفل ويتقيد حركاتها ويعوق انطلاقها « الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون مالا تريدون » (غل ٥ : ١٧) . . .

وليس هذا فقط بل ان الرسول بولس — بعد قوله السابق — يعرف **المسيحى الحقيقى بأنه هو الذى قمع جسده وشهواته فيقول « الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٤) . . . وهكذا نرى ان قمعا للجسد ينبغى أن يأتى فى المحل الأول من جهادنا الروحي العام من أجل حياة الكمال المسيحى التى يشترك كل مؤمن أن يحياها . ان تشكيل الحديد لا يكتفيه تليين النار له فقط ، بل يلزمه بالإضافة إلى ذلك طرق المطارق ليقبل المسورة التى يريد الحداد أن يدخلها عليه . هكذا نحن نماته لا يكتفينا تليين قلوبنا بحرارة الصلاة مثلا ، بل يلزمنا مع ذلك ان نلحقها بمطارق التقشف والنسك « ان عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن ان كنتم بالروح تميئون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨ : ١٣) .**

+ فالنسك والتقشف هما الصليب الذى يلزمنا ان نحمله كل حين اذا شقنا اتباع المسيح ، وبذلك نصبح « حاملين فى الجسد كل حين إمامته الرب يسوع » ، لكى تظهر حياة يسوع أيضا فى جسدنا » (٢ كو ٤ : ١٠) . وما أكثر ما قيل عن قمع الجسد أو إمامته :

قال القديس بولس « لأنه أن عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن ان كنتم بالروح تميئون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨ : ١٣) . وقال داود النبى مخاطبا الرب « من أجلك نمت اليوم كله » (مز ٤٤ : ٢٢) . . . والحق أننا لانؤهل لنرح الروح الحقيقى ، ان لم نمت كافة الشهوات ،

وكل شوق ورغبة عالمية فينا ، مثل سارة التي اتجبت ابن الروح « اسحق »
من مستودع مائت (عب ١١ : ١٢) .

ان السيد المسيح لم يعد من مصر الى وطنه الا بعد موت هيرودس
الذى كان يطلب نفس الصبي ليهلكها ... هكذا يلزمك ان تميت هيرودس
الذى يطلب نفسك ليهلكها ... اى ان تميت اعضاءك التى على الارض
(كو ٣ : ٥) ، وتقتل شهواتك وميولك المنحرفة ، والا لا يانى الرب
الى قلبك ...

ولا شك ان قهر الانسان لميوله ومقاومته لاهوائه ، والوقوف ضد
شهواته تعتبر في حد ذاتها جهادا عظيما « لان مالك روحه خير ممن يأخذ
مدينة » (ام ١٦ : ٢٢) ... قال القديس امبروسيوس « ان ميولنا
وشهواتنا هى عدو اعظم من الأعداء الخارجين عنا ، ان ما فعله يوسف
العنيف من ضبط ذاته وتسلطه على نفسه بمقاومته اغراء سيدته النجسة
لاعظم جدا مما فعله في امصار ملكة مصر » ... وقال القديس يوحنا ذهبي الفم
كلاما مشابها لذلك عن داود « انه لما قهر ذاته وانتصر عليها في عدم
مطاوعتها للانتقام من شاول عدوه في المغارة ، كان غداه هذا اعظم قوة
من قتله جليات الجبار . وقد نشر هذا العمل لا في اورشليم الارضية بل في
اورشليم السماوية . ومن هناك خرج لللاقته — لا بنات اسرائيل بالدخوف
مرسيت ، كم صنعن امامه لما قتل ذلك الجبار — بل انه ابهج الجنود
السماويين ... » .

ويأتى في مقدمة وسائل قمع الجسد وضبط الهوى الصوم الذى هو
موضوع كتابتنا الآن ...

ما هو الصوم ؟

الصوم هو حرمان من بعض الأطعمة ، يتدرج حتى يصبح زهدا اختياريا
فيها . فهو — والحال هذه — ليس اضعافا للجسد ، بل قمعاً واذلالاً له لاتعاشي
الروح ... وهو ليس فرضا موضوعا علينا ، لكننا نمارسه لشعورنا
باحتراج الله من اجل شقاوتنا وجسدنا المشاغب .. وهو ليس أمرا منعلقا
بالجسد بقدر ما هو منعلق بالروح ... وهو لم يرتب للتكفير عن الذنوب
والخطايا ، لكن لاعداد النفس لاقتبال الله ، اذ لا يوجد عمل ما يكفر عن
الخطايا سوى عمل السيد المسيح الفدائي ...

مركز الصوم في الحياة الروحية

للصوم مكانة خاصة متميزة في الحياة الروحية عامة . نلبس ذلك من مسلك رجال الله سواء في العهد القديم أو العهد الجديد وأقوالهم ، يؤكد كل ذلك تكريم الرب يسوع له ، سواء بهمارسته له أو بأقواله عنه . وفي رأى بعض القديسين أن جهاد الصوم ينبغي أن يتقدم كل الجهادات الأخرى في الحياة الروحية، لأنه هو الذي يمهدها الطريق . فما لم يخضع الجسد ويلجم، فإن الإنسان يجد نفسه مشدودا برباطات كثيرة تعوقه عن حياة الانطلاق الروحي ، وفي تلك يقول مار اسحق العظيم في العارفين « كل جهاد ضد الخطية وشهواتها يجب أن يتبدى بالصوم ، خصوصا إذا كان أجهاد بسبب خطية داخلية » . ويقول أيضا « أن أول قضية وضعت على طبيعتنا في البدء كانت ضد تذوق الطعام ، ومن هذه النقطة سقط أول جنسنا . لذلك فإن أولئك الذين يجاهدون من أجل خوف الله يجب أن يبدأوا البناء من حيث كانت أول ضربة . مخلصنا الصالح حينما أظهر نفسه للعالم عند الأردن ابتداء من هذه النقطة . فحينما اعتمد قاده الروح الى البريه مباشرة وصام أربعين يوما وأربعين ليلة . وكل الذين يريدون أن يتبعوا خطواته ، عليهم أن يضعوا أساس جهادهم على مثال عمله » .

وها نحن نعرض لمكانة الصوم :

(أولا) في العهد القديم :

يمكن اعتبار خطية الإنسان الأول أنها كانت موجهة ضد الصوم ... لقد أوصى الله آدم ألا يأكل من شجرة معينة فأكمل ، فكانت الطامة الكبرى لكل جنسنا . وفي ذلك يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « لما أبدع الله الإنسان الأول سلمه الى أيدي الصوم ليضبطه ويهتّم بخلاصه كلب مهيب لأولاده أو معلم ذى حزم بقوله تعالى لآدم « من كل ثمر شجرة الفردوس تأكل ، أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها البتة . أفليس هذا شكلا من الصوم ؟! فإذا كان الصوم في الفردوس ضروريا ، فكم بالحرى يصبح أكثر ضرورة خارج الفردوس ... أن معونة الصوم لضرورية لنا جدا . ولو سمع آدم هذا الصوت من الله وأطاعه، لما سمع بعده الصوت الثانى أنك تراب وإلى تراب تعود ... أرايتم كيف يغضب الله عندما يهان الصوم ويحتقر ... وها هو لما أمين أعطى لمن أهانه عاقبة الموت أى آدم ... » .

والعهد القديم ملئ بالأمثال والأقوال عن الصوم ... نقرأ عن كثير من رجال الله أنهم صاموا وعملوا أعمالا عظيمة . كما نقرأ عن أصوام جماعية للشعب كله في تنال أمام الله ...

- + **فموسى القبي** بعدما صام أربعين يوما ، استحق أن يعاين الله ويخاطبه بدالة ، ويتقبل من يده الناموس المكتوب بأصبعه تعالى .
- + **وايليا** بعدما صام أربعين يوما تشرف بمشاهدة الله وأقام موتى وفتح السماء .
- + واستير بالصوم أبطلت قضية الموت عن شعبها . (اس ٤ : ١٦) .
- + **ودانيال** كان عاكفا على الصوم حين تراءى له الملك جبرائيل وكشف له أسرار الله .
- + **ويهوديت** كانت تصوم كل أيام ترملها ووضعت على حقوبها مسحا (يهوديت ٨ : ٦٤٥) ...
- + **ونحميا** لما سمع أخبار اخوته الذين في اورشليم واحوالهم المحزنة ، وأن سور اورشليم منهدم وابوابها محروقة بالنار ، ناح وصام وصلى أمام الله (نح ١ : ٤) ...
- + **وحنة بنت فنوئيل** عاشت ارملة نحو اربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بالصوم وطلبات ليلا ونهارا (لو ٢ : ٣٧) .
- + **اما داود النبي والملك** فضرب بسهم وافر في الصوم حتى قال « اذلت بالصوم نفسي » (مز ٣٥ : ١٣) ... « ركبناى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن » (مز ١٠٩ : ٢٤) .
- + **حتى آخاب الملك** القثير حالما سمع كلام ايليا الخاص بما سيحل به وببيته من مصائب « شق ثيابه وجعل مسحا على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت » ، حتى أن الرب قال لايليا « هل رايت كيف انتزع آخاب امامى . فمن أجل انه قد انتزع امامى لا أجلب الشر في أيامه بل في أيام ابنه ... » (١ مل ٢١ : ٢٧ - ٢٩) .
- وقد تكلم الرب بلسان اشعيا القبي عن الصوم** المقبول وشروطه وبركاته . بل قال له « ناد بصوت عال . لا تمسك . ارمع صوتك كبوق واخبر شعبي بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم ... **أمثل هذا يكون صوم اختاره** » (اش ٥٨) . وواضح من كلام الرب انه يسر بالصوم ، وأن خطية بنى اسرائيل وتعديهم كانت لانهم لم يراعوا شروط الصوم ...
- اما عن الإصوام الجماعية** ، فلما لنا نموذج عجيب في صوم شعب مدينة **نينوى** (يونان ٣ : ١٠-٥) .. وصوم بنى اسرائيل في حربهم مع بنى بنيامين (قض ٢٠ : ٢٦) ... وصوم الشعب أيضا زمن **صموئيل القبي** (١ صم ١٠ : ٧) وقد نادى **يهوشافاط الملك** بصوم في كل يهوذا عندما قام عليه المؤابيون والعمونيون (٢ اى ٢٠ : ٣) وعزرا وهو في طريقه الى اورشليم نادى في كل الشعب الذى معه بصوم ، ويقول « وناديت هناك بصوم ... فخصنا وطلبنا ذلك من الهنا فاستجاب لنا » (عز ٨ : ٢١ ، ٢٣) (انظر أيضا يوثيل النبي) .

(ثانياً) في العهد الجديد :

لم يكن الصوم في العهد القديم رمزا لشيء في العهد الجديد كالذبائح الحيوانية مثلا ، لذلك لم يبطل في المسيحية ، بل أن الرب يسوع نفسه أظهر لزومه وفاعليته لحياة كل المؤمنين باسمه ، حينما صام أربعين يوما وأربعين ليلة ... قطعا لم يكن الرب في حاجة الى أن يصوم لكنه صام عن البشرية ، أو صامت البشرية فيه باعتباره آدم الثاني ... لقد قدم ذاته لنا مثلا في ذلك كما في أشياء أخرى كثيرة ، حتى ما يعلمنا طريق القلب والنصرة في حروبنا مع أعدائنا ... وقد تكلم عن الصوم كموضوع أساسي في عظته على الجبل التي هي دستور المسيحية (مت ٦ : ١٦ - ١٨) . وحينما سألته تلاميذ يوحنا « لماذا نصوم نحن وانفريسيون كثيرا وأما تلاميذك فلا يصومون » كان جوابه « هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم ، ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون » (مت ٩ : ١٤ ، ١٥) . ثم تكلم عنه في عبارة جامعة مانعة حينما قال « هذا الجنس (الشيطان) لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم » (مر ٩ : ٢٩) . أنها كلمات في غنى عن التعليل ... أنها تحوى سر النصر في جهادنا الروحي ، أوضحه لنا رب المجد « لا يمكن ... إلا بالصوم » .

ونرى أثر الصوم وممارسته واضحة في كنيسة العهد الجديد ، بعد أن حان الوقت الذي تنتم فيه قول سيدها ومعلمها « حين يرفع العريس (المسيح) حينئذ يصومون ... لقد تكلم كاتب سفر الأعمال عن صوم كنيسة أنطاكية (اع ١٣ : ٣) ... وعن صوم كان قد انقضى (اع ١٦ : ٢٧) ... وفي الطريق الى ايطاليا حينما كان القديس بولس مقتادا اليها ، وهاج البحر جدا حتى فقد من في السفينة رجاءهم في النجاة ، صار « صوم كثير » (اع ٢٧ : ٢١) ...

ولقد تكلم القديس بولس في أكثر من موضع في رسائله عن الصوم فيقول « في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير ، في شدائد ... في أسفار ، في أصوام » (٢ كو ٦ : ٥) ... ومرة أخرى يمدد اهتمامه فيقول « في أصوام مرارا كثيرة » (٢ كو ١١ : ٢٧) ... ويوجه كلامه الى الأزواج والزوجات ناصحا « لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة الى حين لكي تتفرغوا للصوم والصلاة » (١ كو ٧ : ٥) .

(ثالثا) في حياة آباء الكنيسة :

أهمية الصوم ومكانته واضحة في حياة وأقوال قديسي الكنيسة الجامعة شرقا وغربا سواء كانوا خداما أو نسكا . أن التاريخ مليء بنماذج جبارة لرجال الله الذين وصلوا الى درجات عالية في القداسة عن طريق الصوم ...

أن كافة القديسين بلا استثناء مارسوا الصوم وبرعوا فيه بعد أن أدركوا فوائده ، ودونوا لنا اختباراتهم عنه في كتاباتهم ... ودمى بعض هؤلاء القديسين — من فرط تعلقهم بالصوم « الصوماعين » ...

✦ **القديس باسيليوس الكبير** ، رئيس أساقفة قيصرية الذي قيل أن اللحم لم يطبخ في مطبخه طوال مدة رئاسته الدينية ، والذي كان يرتدى مسحاً من الشعر على جسده يخفيه تحت ملابسه الظاهرة يقول « لقد نفينا من الفردوس الأرضي لأننا لم نصم ، فيجب أن نصوم لنرجع إلى الفردوس السماوي . لأن الصوم يرد لنا الخسائر المسببة عن عدم صوم آدم ويصالحنا مع الله » . ويقول أيضاً « لقد ضبط الصوم قوة النار وسد أفواه الأسود » مشيراً إلى الثلاثة فتية في أتون بابل ، ودانيال في جب الأسود .

✦ **القديس يوحنا ذهبى الفم** ، بطريرك القسطنطينية الذي كان طعامه في مدة بطريركيته من الدشيشة (التمح المبلول) ، يحدثنا عن الصوم حديثاً رائعاً فيقول « أي برهان يدلنا على محبة الصوم لجنسنا ! كيف أنه يحارب عنا أعدائنا وينقذنا من أسرهم ، ويوصلنا إلى حريتنا الأصلية . أتساءل أن تعلم قدر زينة الصوم للناس وحفظه وثباته لهم ؟ تأمل المتوحدين والنسك ، كيف أنهم يفرون من الاضطرابات العالمية ويبادرون نحو قمم الجبال ، ويشيدون لهم هناك كهوماً في هدوء الصحارى كأنهم في الميناء الأمين ، يجعلون الصوم مقتناهم ومسكنهم وشريكاً لهم في جميع حياتهم ! وأما هو فيجعلهم ملائكة عوض بشر ، وكذلك كل من وجده محباً له في المدن والقرى يصعده إلى حدود علو الفلسفة . موسى وإيليا اللذان كنّا مقدّامين أنبياء العهد القديم ، والمشرقان بضياء الدالة البهية ، اللذان اقتربا إلى الله وخطباه ، بادرا أولاً بالصوم وصعدا على ساعديه نحو البارئ ... » .

✦ **القديس أمبروسيوس أسقف ميلان** يقول مشيراً إلى صوم الأربعين المقدسة « أن من كان بريئاً من كل خطية (السيد المسيح) صام أربعين يوماً ، وأنت أيها الخاطيء تكره هذا الصوم وتلباه ... ها هو ذا طوفان جديد يدوم مدة أربعين يوماً لا تزال السماء فيها هائلة علينا بأمواء النعم الإلهية وبه تفرق خطايانا ، وتحفظ في قلوبنا الفضائل والقداسة » .

✦ **القديس ايرونيμος (جيروم)** يقول « الرب نفسه قدس عماده بصوم لمدة أربعين يوماً . وعلمنا أن أقصى الشياطين لا تقهر إلا بالصلاة والصوم ... والرسول بولس بعد أن تكلم عن الجوع والعطش وأتعبه الأخرى والأخطار من اللصوص يعدد أصواماً كثيرة ... ويقول أيضاً في رسالة له إلى ديمترياس العذراء « ونستطيع أن نجبع من الكتاب المقدس

ما لا يحصى من الشهادات الالهية بخصوص البطنة وتفضيل المأكّل البسيط . . .
ان الانسان الأول اذ اطاع بطنه اكثر من الله طرد من الفردوس الى وادي
الدموع . وسترين ايضا لماذا جرب الشيطان ربنا نفسه بالجوع في البرية ،
ولماذا يصرخ الرسول الاطعمة للجوف والجوف للطعمة والله سيبيد هذه
وتلك . ولماذا يقول عن الفجار الذين اُتهم بطونهم . كل انسان يعبد. الذي
يحبه . لذلك فلتبذل كل اهتمامنا حتى يمكن للنفس ان يرجع الى الفردوس
اولئك الذين طردهم منه الاملاء » .

+ وما راسحق السرياني يقول «الصوم هو بدء طريق الله المقدس . هو
تفريم كل الفضائل ، بداية المعركة ، جمال البتولية ، حفظ العفة ، ابو الصلاة ،
نبع الهدوء ، معلم السكوت ، بشير الخيرات » . كما قال ايضا « هذا
السلاح (الصوم) قد صقله الله فمن ذا الذي يجرؤ على احتقاره ! ان كان
معطى الناموس قد صام بنفسه ، فكيف لا نصوم نحن الذين وضع الناموس
لاجناسنا ؟ !! » .

+ وقال القديس غريغوريوس رئيس متوحدى قبرص « الكبير البطن
احلامه الرديئة تكدر قلبه ، والذي ينقص من اكله يصير في كل وقت منتبها .
لان مثلما يظلم الجو من الضباب ، كذلك يظلم العقل اذا امتلأت البطن من
الملكولات » .

انقذار الصوم :

عرضنا ونحن نتحدث في النقطة السابقة عن مركز الصوم في الحياة
الروحية ، لأمثلة من الاصوام الفردية والجماعية ، وراينا كيف أن هذه
الاصوام كانت مقتدرة في فعلها . ولعل من أروع الامثلة وأعجبها صوم شعب
مدينة نينوى . فعلى الرغم من صدور امر الله بانقلاب المدينة بعد أربعين
يوما ، الا أنه لما رأى تذلّهم الشديد رجع عن حمو غضبه ورحمهم حتى
قيل « ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » (يونا ٣ : ١٠) .
والانسان يقف أمام هذا القول حائرا . ايمن ان الله يندم ؟!! ولكن هذا
ما يفعله الصوم . . . والحق ان تذل الشعب بلغ حدا مذهلا لقد صام الجميع
صفارا وكبارا ولبسوا مسوحا حتى الملك نفسه تذل أمام الرب وتغطى
بمسح وجلس على الرماد . . . وحتى البهائم صامت ووضعت عليها المسوح
بأمر الملك . . . وصرخ الجميع بشدة الى الله قرحهم .

+ ويعلق القديس يوحنا ذهبي الفم بأسلوبه الشيق على هذا الحادث
فيقول « لقد أكرم الله الصوم ، وأعطى لمن أكرمه النجاة من الموت ، لأن الله
منح الصوم قوة يظهرها عند فعله ، وأعطاه سلطة أنه بعد إبرام الحكم

والقضاء بالموت، يجتذب مغالية من وسط طريق الانتقام الى الحياة والنجاة . وهذا الامر لم يفعله الصوم مع اثنين أو ثلاثة أو عشرة أو عشرين بل مع اهل مدينة بجبلتها مثل نينوى ، التي امست ذليلة تحت قبول الرجز والسخط الذى أمر به العلى بفتة . وبعد ذلك نجت كأنها بقوة قادرة وافتتحتها من العلاء ، واختلستها من يد الشرطة ، وزجتها فى ميناء الحياة والنجاة » .

+ وبعد أن تكلم الرب الى اشعياء النبى عن جوهر الصوم وطريقته المثلّى ، تحدث اليه عن مركاته واقتداره والمواعيد المقترنة به ، قال « **حينئذ** **ينفجر مثل الصبح نورك** ، وتثبت صحتك سريعاً ويصير برك أمامك **ومجد الرب يجمع ساقتك** . **حينئذ تدعو فيجيب الرب** . تستفتي فيقول ها انا » (اش ٥٨ : ٩٤٨) . ما أجملها مواعيد ، تلك التى ادخرها لنسا الرب فى الصوم !! ان كل منها يحتاج الى وقفة تأملية طويلة ...

+ **والقديس ايرونيوموس (جيروم)** — بعد أن اورد مثل دانيال الذى بالصوم سد افواه الاسود فى الجب، قال « ما اعظمه شيء (الصوم) ذاك الذى يستعطف الله ، يجمل الاسود اليفة ويرعب الشياطين !! » ...

+ **أما القديس اغسطينوس** فيقول « اتريد أن تصعد صلاتك الى السماء ، فامنحها جناحين وهما الصوم والصدقة » ...

لِمَاذَا الصُومُ ؟

(١) كثرة المآكل تحرك الشهوات :

هناك علاقة وارتباط بين طاقة الانسان ، وما يصدر عنه من افعال . فالأقوياء الأتداء مثلاً أكثر استعداداً للغضب والقتل وربما الزنا من الضعفاء الهزيلين ، لأنهم يحتفظون فى جسامهم بطاقة أكبر مما يلزم لحاجتها الطبيعية . فهم أميل الى صرفها وإخراجها فى نشاط خارجي . ومعلوم أن طاقة الانسان ترتبط الى حد كبير بقدرة الغذاء الذى يتناوله ونوعه ...

وفكرة الصوم تقوم على هذا الأساس . فهى رياضة روحية ، قصد بها اذلال الجسم واخضاعه ، مضافاً الى الحد من تغذيته حتى لا تتوفر له من الغذاء طاقة كبيرة ، قد لا يقوى الانسان على حسن توجيهها . **يقول يوحنا كسيان فى حديثه عن روح النهم (البطنة)** « حينما تمتلئ المعدة بكل انواع الطعام ، فذلك يولد بذور الفسق . والمقل حينما يخفق بثقل الطعام لا يقدر

على توجيه الأفكار والسيطرة عليها . فليس السكر من الضر وحده هو الذى يذهب العقل ، لكن الاسراف فى كل أنواع المأكول يضمره ، ويجعله مترددا ويسلبه كل قوته فى التأمل النقي . أن علة خراب سدوم وفسقتها لم يكن السكر بالخمر بل الامتلاء (التسميع) من الخبز . أسبح الرب يوينخ أورشليم بالنبي القائل لانه كيف أخطأت أختك سدوم الا لانها شبعت من خبزها بكثرة (حز ١٦ : ٤٩) . ويسبب انشبع من الخبز انشغلوا بشهوة الجسد الجامحة ، فأحرقوا بمعدل الله بنار وكبريت من السماء . فان كانت زيادة الخبز وحده أدت الى مثل هذا السقوط السريع فى الخطية عن طريق رزيلة الشبع ، فمادا نقول عن أولئك الذين لهم أجسام قوية ، ويأكلون اللحم ويشربون الخمر بافراط ، غير مكثفين بما تتطلبه حاجة أجسادهم ، بل ما نعليه عليهم رغبة العقل الملحة . قال القديس فيلوكسينوس « نكل الأطمعة تظهر الأعضاء بالشهوات » .

(٢) الصوم لجام قوى للجسد :

معلوم أن الانسان يسكن فى جسد شهوانى مشاغف ، يشتهى كل ما هو مادي جسدى . هذا الجسد يجنب صاحبه جذبا عنيفا الى أسفل . بل انه يوقعه مرارا كثيرة فيما لا يبتغيه وما لا يريد أن يفعله ، لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون مالا تريدون » (غل ١٧: ٥) ... « لاني لست أفعل المصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده غياها أفعل ... فأتى أسر بناموس الله بحسب الانسان الباطن . ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسببني الى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى . ويحى أنا الانسان أنشقى ، من ينقذنى من جسد هذا الموت » (رو ٧ : ١٩ - ٢٤) .

والأمر يحتاج الى الجمة قوية تلجم هذا الجسد ، ووسائل مختلفة لتجمه . ولا جدال فى أن أعظم هذه الألجمة نعمنا للنفس هو الصوم . لقد اختبر آباؤنا القديسون هذا الأمر ، ومازالت أقوالهم حية تحبل لنا هذه الاختبارات . قال مار اسحق « كل جهاد ضد الخطية وشهوانها يجب أن يبتدىء بالصوم ، خصوصا اذا كان الجهاد بسبب خطية داخلية » . وقال القديس ايروسييموس فى حديث له عن العفة « ليس لأن الله الرب وخالقنا نكون نجد منعمة فى متعة أفعالنا وخلو ممدتنا والتهاب رثينا ، ولكن لأن هذه هى الوسيلة لحفظ العفة » !! والقديس العظيم يوحنا الأسىوطى يقول « الصوم بالنسبة للشهوات كالماء بالنسبة للثقل » ... قال أحد الآباء « تأكد تماما أن العدو يهاجم القلب عن طريق امتلاء البطن » .

(٣) الصوم هو بدء طريق الروح :

الانسان مكون من روح وجسد . ويقدر ما يخلب أحدهما على الآخر

بقدر ما يصبح روحانيا او جسديا ... فاذا اراد ان يكون روحانيا عليه ان يتبع جسده ويذله لكي يمهّد الطريق للروح ان تطلق وان تسود على الجسد . ومخلصنا يسوع المسيح اعطانا هذا المثال ، فبعد اعتياده في الاردن صام ، حتى ان كل الذين يريدون ان يسلكوا في جده الروح والحياة (رو ٦ : ٤) ، عليهم ان يبدأوا طريق الروح والحياة الجديدة بالصوم . ما اجمل ما قاله متى البشير بعد ان تحدث عن عباد الرب « ثم اصعد يسوع الى البرية من الروح » (مت ٤ : ١١) ، وهناك في البرية صام . ويؤكد مار اسحق هذا المعنى فيقول « مخلصنا الصالح حينما اظهر نفسه للعالم عند الاردن ابتدا من هذه النقطة . فحينما اعتمد قادة الروح الى البرية مباشرة وصام اربعين يوما واربعين ليلة . وكل الذين يريدون ان يتبعوا خطواته عليهم ان يضعوا اساس جهادهم على مثال عمله » .

وينكر يوحنا كسيان اختبارا رائعا عن ذلك فيقول « لا نستطيع ان ندخل في معركة مع انساننا الباطن ما لم نتحرر من رذيلة الشراهة (النهم او البطنة) . يجب اولا ان نثبت اننا قد تحررنا من الانقياد للجسد » لان ما انقلب منه احد فهو له مستعبد ايضا « (٢ بط ٢ : ١٩) ، « كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية » (يو ٨ : ٣٤) ... من المستحيل على المعدة الممتلئة (بالطعام) ان تدخل في محاولة للنضال مع الانسان الداخلي ، ومن يغلب في مناوشة تافهة ، لا يستاهل للدخول في جولات اعنف (روحيا) . اتريد ان تسمع عن مصارع مسيحي مجاهد (بولس الرسول) وفق قوانين المعركة ؟ قال « اذن انا اركض هكذا كانه ليس عن غير يقين . هكذا اضارب كاني لا اضرب الهواء . بل اقمع جسدي واستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا اصير انا نفسي مرغوضا » (١ كو ٩ : ٢٦ ، ٢٧) . ارأيت كيف جعل الجزء الاساسي من جهاده يتجه الى ذاته — اي الى جسده ، كما على اساس مكين ، وجعل نتيجة المعركة بكل بساطة في قمع اللحم واخضاع الجسد ؟ ان خشيئتنا ليست من عدو خارجي ، بل ان عدونا هو في داخلنا . ونحن نخطر كل يوم في حرب داخلية . واذا انتصرنا في هذه ، ستضعف امامنا كل الاشياء الخارجية ... سوف لا يكون هناك عدو خارجي نهاه ، اذا ما قهرنا الداخل واخضعناه لسلطان الروح » .

(٤) الصوم مهّد للفضائل والمواهب :

واذا كنا نقول ان الصوم هو بدء طريق الروح ، فهو بلا شك مهّد للفضيلة . انه يفتح الباب امام الفضائل لتدخل الى النفس وتزينها . يقول القديس مارغيلوكسينوس « بمقدار ما يتلطف الجسد بالنفس يكون له الشركة مع روحانيته . وحسبما يتقل بالاكل يجنب النفس الى ثقله ويربط اجنحة افكارها . اما ان تقص ثقله فانتهى خضع لارادة النفس بسهولة ، وتجنّب

النفس الى جميع ماتخاره » . وقال أيضا « حينما يبدأ الانسان يعمل فلاحه البر بذاته ، فلول عمل يعمل هو ان يصوم ، لانه بدون النفسك جميع فضائل فلاحه الذات مرتخية . فالفلاحه لاتكون نقيه ... والافكار لاتكون متقية ، والذهن لايصفو والانسان الخفي لايوجد » .

قديمًا كانت الكتب المقدسة تكتب على الرقوق ، وهي جلود الحيوانات لكن بعد تجريدتها من اللحم وتجفيفها ووصفها ... لابد وأن تجتاز جلود الحيوانات هذه المراحل والا فلا يسهل الكتابة عليها . هكذا النفس ، ان لم تكن قد تخلصت من العواطف اللحمية وصقلت بالصوم والنسك لاتكون مستعدة لان يكتب الله عليها كلماته ويطلع حكيمته السماوية ومواهبه الالهية ... قال اشعيا النبي « لمن يعلم معرفة ، لمن يفهم تعليم . المخطومين عن اللبن ، للمفصولين عن الثدي » (اش ٢٨ : ٩) . فمن هم المخطومون عن اللبن ، المفصولون عن الثدي ، الا الذين زهدوا محبة العالم ، وتركوا تنعم الجسد ، مخضعين اياه بالصوم والنسك ؟!

ان ريشة الطائر الملقاة على الارض ، اذا كانت غير ملتصقة بشيء ترفعها ادنى ريح عن وجه الارض . وبالعكس ذلك اذا كانت متصلة او ملتصقة بالقاذورات فان الريح لاتقدر على رفعها . هكذا الانسان المهيك في اللذات ، المرتبط بقيود وشهوات جسدية ، لا يستطيع أن يرتفع بروحه وافكاره الى السماويات فعمل تعزيات النعمة انى تفتقده من حين الى حين . من اجل هذا حذرنا ربنا يسوع قائلًا « فاحترزوا لانفسكم لئلا تنقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة » (لو ٢١ : ٣٤) .

نفس هذا الامر نلاحظه اذا القينا عودا اخضر في النار . ان النار لاتشتعل فيه للوقت بمجرد القائه . لكن الامر يتطلب بعض الوقت حتى تنتزع ائثار رطوبته ، فيتصاعد منه دخان كثير . وبعد ذلك تبدأ النار تشتعل فيه . لكن لو كان هذا الحود جافا ، لاشتعلت فيه النار حال القائه .. وهذا هو عين ما يحدث مع الانسان . فقد يكون مواظبا على كثير من الوسائل الروحية ومع ذلك يشكو من حالة جماف روى ويفتقد تعزيات الله فلا يجدها . ان نار الحب الالهى لاتستطيع أن تضرب قلبه مالم يتخلص أولا من ميول الجسد وطراوته بالصوم وأعمال النسك الاخرى .

(٥) الصوم مهذب للجسد ومزرب للحواس :

قال داود النبي « اذلت بالصوم نفسي » (مز ٣٥ : ١٣) ... اما انطدس بولس فيستعمل تعبيرًا آخر اكثر دلالة على عمل الصيام وفاعليته ، يقول « اقمع جسدى واستعبده » (١ كو ٩ : ٢٧) . ولفظ « اقمع » يستخدم عادة في حالة الثورات . فيقال مثلا « اقمعت الدولة الثورة » ... والجسد فيه ثورة فعلا ، وفيه تمرد نقوم به بعض الاعضاء المشاغبة ، ماذا تفعل الدولة لقمع اى ثورة ؟

أول شيء تفعله هو أن تضع يدها على عناصر الشغب وتزج بهم في السجون . وهذا ما نفعه في الصوم . اتنا نضيق على أجسادنا وحواسنا بأن نمنع عنها أشياء محببة إليها . وعلى هذا ، فالصوم يعتبر فرصة طيبة لتهديب الجسد عن طريق تدريب حواسه الثائرة بالتدريب الروحية وأنواع التمسك .

وإعلمنا نستطيع أن نفهم ذلك مما نشاهده أو نسمع به إبان الحروب ، فإن استطاعت إحدى الدول المتحاربة أن تضرب حول إقليم معين حصارا شديدا محكما بحيث تمنع عنه المؤن الغذائية ، فإن مصير هذا الإقليم هو التسليم لامحالة ... هكذا الجسد أيضا ، فإنه بالتضييق عليه ومنع الطعام والشراب عنه — بتعمل وحكمة — بواسطة الصوم ، لا يلبث أن يخضع لنا ويستسلم طائعا .

وبالجملة فإن الصوم — إلى جانب تهنئته للجسد وتدريبه للحواس — فإنه يوصل إلى نقاوة النفس . قال يوحنا كسينان « لقد جرب آباءنا الصوم كل يوم فوجدوه نافعا وموافقا لنقاوة النفس ، ونهونا عن امتلاء البطن من أي طعام كان ، حتى من الخبز البسيط أو من الماء أيضا » .

(٦) الصوم خير مقو للإرادة :

سبب سقوط الإنسان في الخطية هو ضعف إرادته إزاء الاغراءات الخارجية المختلفة ... أحيانا يسقط نتيجة انخداعه بهذه الاغراءات ، وأحيانا أخرى يسقط وهو يعلم مقدما أنه يستسلم للخطية والاثم ، لكنه لا يملك القدرة على مقاومة الاغراء ... إن إرادته تضعف ، بل تنهار أمام الشهوة . وهنا تبرز لنا أهمية الإرادة في حفظ الإنسان بلا دنس ...

ويلقى الصوم — خاصة الانقطاعي — في مقدمة الوسائل الفعالة لتقوية الإرادة البشرية . فالإنسان يصوم صوما انقطاعيا بإرادته . الفرصة متاحة أمامه أن يكل ويشرب ، وأن يتناول مالمذ وطاب من المأكول والمشرب ، لكنه يضبط نفسه ويقمع جسده ، ولا يخضع لشهوة بطنه ... ليس هذا تدريبا للإرادة ؟! إن الإنسان — بالصوم — يقاوم شهوة الطعام ، وهذا يقوده بالتدريج وبالضرورة إلى مقاومة الشهوة في كافة صورها ... وهكذا نرى أن الصوم يعتبر تدريبا هاما من تدريبات تقوية الإرادة ...

كيف صُوم ؟

(١) ضبط شهوات النفس :

تقوم فكرة الصوم على أنه في ذاته وسيلة وليس غاية . هو وسيلة لأخضاع الجسد وقهر ميوله المنحرفة وتدريب حواسه ... وبعبارة أخرى

هو الصوم عن الشر وضبط شهوات النفس ، حتى أن إحدى تعبيرات الصوم باللغة القبطية معناها « يربط الداخل » . ويتصد بالداخل هنا شهوات النفس ... وفي ذلك يقول يوحنا كسيان « يلزم أن نعطي عناية كافية للصوم كوسيلة نصل بها الى نقاوة القلب وليس كغاية » .

هذا هو الفهم الاصيل للصوم ، وهو واضح في كتابات الآباء . يقول القديس فيلو كسينوس « كل شيء يوضع على المائدة وقرى ان عينك تشتهي لاتكلمه . فاذا عودت بطنك على هذا ، فانها لاتطلب منك الا احتياجها فقط » . وقال ايضا « الاوفى لك ان تاكل اللحم بلا شهوة من ان تاكل عدسا بشهوة . اننا لانلام على الاطعمة ، ولكن اذا اكل الانسان بشهوة ، فسواء اكل لحما او بقلا بشهوة فهو يلام ، لان الشهوة هي التي اكلت كليهما » .

اما يوحنا كسيان فيدون لنا كلاما رائعا سواء من اختبراته او مما سمعه من الآباء القديسين المصريين الذين قضى بينهم زهاء عشر سنوات ، قال « ليتنا لانق أن الصوم الخارجى عن اطعمة منظورة يكفى وحده لنقاوة القلب وطهارة الجسد مالم يصاحبه صوم النفس . فالنفس هي الأخرى لها اطعمتها الضارة ، التي اذا اعتادت عليها ، تهوى الى هلاوة الفجور . النعمة احد اطعمتها المفضلة جدا ، وحدة الغضب والغير والחסد والبغضة ... هذه كلها اطعمة الشقاوة التي تورد النفس الى الهلاك . كذلك كل شهوة وطيشة منحرفة للقلب تعتبر طعاما للنفس يغذيها كما من لحم فسد ، ثم تتركها بعد ذلك بلا نصيب في الخبز السمائي . فاذا نحن — بكل قوتنا — امتنعنا عن هذه الاطعمة الضارة المحببة للنفس ، بصوم مقدس ، فمن صومنا الجسدى سيكون نافعاً ومثمراً . فان تعب الجسد اذا اقترن باتسحاق الروح يقدمان ذبيحة مقبولة جدا لدى الرب ، وينشأن خزانة للقداسة لها قيمتها في عمق أعماق مخادع القلب النقية الداخلية . اما اذا كنا نصوم بالنسبة للجسد فحسب ، ونحن مقيدون بخطايا وذنائب نفسية معينة ، فلن يفيدنا اخضاعنا للجسد شيئا ، طالما ان ائمن اجزاءنا متدنس . لذا يلزمنا كلما صام الانسان الخارجى أن نضبط الانسان الباطن من الاطعمة الضارة به . ذلك الانسان الباطن الذى يحثنا الرسول الطوباوى أن نقدمه — قبل كل شيء — طاهرا امام الرب حتى ما يستأهل لاستقبال المسيح في داخله قائلا « في الانسان الباطن ليحل المسيح بالايان في قلوبكم (١٦ : ٣) » .

ان اسهل انواع الصوم هو صومنا عن غذاء الجسد . وان كانت لهذا فوائد العديدة ، الا انه وسيلة للتمرن على انواع الصوم الأخرى . ما أسهل ان يمنع الانسان ذاته عن أصناف من الطعام الجسداني ، وما أصعب جدا

أن يمنع فكره عن الأغذية الكثيرة التي يأكل منها ، ذلك الفكر الطواف الذي يمر على مئات أو آلاف الموائد كل يوم ينتقل من واحدة الى أخرى بغير ضابط ، بغير صوم !! سهل هو أن تقدم لبطنك صنفا واحدا من الطعام ، تأخذه في قساعة وتكتفى به . ولكن ما أصعب أن تقدم لفكرك هذيلا واحدا يتغذى به ... سعيد هو الانسان الذي يصل الى « صوم النفس » و « صوم الفكر » وليأكل بعد ذلك مايشاء . هذا الانسان سيبتغى ولا شك بطعام روحاني ، بكل كلمة تخرج من فم الله « طعماني ان افعل مشيئة أبي » ...

(٢) التفتل :

قلنا ان الغرض من الصوم هو ضبط شهوات النفس وتهذيبها ، ولذا فهو يقترب دائما بالتوبة والتدم والحزن والتفتل . قال داود النبي والملك « اما انا غفي مرضهم كان لباسي مسحا . انكلت بالصوم نفسي » (مز ٣٥ : ١٣) . وقال القديس ايرونيموس « داود بعد أن أصبح ابنه في خطر — بعد خطية زناه — تاب جالسا في الرماد صائما . وقال لنا انه اكل الرماد مثل الخبز ، ومزج شرابه بالدموع (مز ١٠٢ : ٩) ، وان ركبتيه ارتعشتا من الصوم (مز ١٠٩ : ٢٤) ، على الرغم من انه كان قد سمع من ناثان النبي كلماته : الرب قد نقل عنك خطيتك (٢ صم ١٢ : ١٣) » .

وقد أوضح الرب ذلك في كلامه الى اشعيا النبي « يقولون لماذا صمنا ولم ننظر . فللنا انصنا ولم نلاحظ . ها انكم في يوم صومكم توجدون مسرة ، اشغالكم تسخرون . ها انكم للخصومة والفزع تصومون ولتضربوا بكلمة وبكل الشر . لستم تصومون كما اليوم لتسبغ صوتكم في العلاء . امثل هذا يكون صوم اختاره . يوما ينزل الانسان فيه نفسه ، يحض كالأسلة رأسه ، ويفرش نخته مسحا ورمادا . هل تسمى هذا صوما ويوما مقبولا للرب » (اش ٥٨ : ٣ - ٥) .

هكذا فهم رجال الله الصوم بمعناه الاصيل ، وعرفوا كيف يفوزون برحمة الرب . فاهل مدينة نينوى حينما تحركت قلوبهم للتوبة ببنادة يونان « نادوا بصوم ولبسوا مسوحا من كبيرهم الى صغيرهم . وبلغ الامر ملك نينوى فقام عن كرسيه وخلص رداءه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد ... » (يونان ٣ : ٥ - ٨) .

والله نفسه يسر بمثل هذا التفتل الصالح عن نفس تائبة منسحقة . وهذا ما نلاحظه في آخاب الملك الشرير ، فعالمنا اخبره ايليا بما سيحل به وببيته من مصائب « شق ثيابه وجعل مسحا على جسده وصام واضطجع بالمسح

ومشى بسكوت » . حتى أن الرب قال لايلىا « هل رأيت كيف انضغ
آخرب أمامى . فمن أجل أنه قد انضغ أمامى لا أجلب الشر فى إيامه بل فى
إيام ابنه ... » (١ مل ٢١ : ٢٧ - ٢٩) .

من أجل هذا نجد أن الصوم ، فضلا عن ممارسته فى الأوقات التى رسمتها
الكنيسة بأورشاد روح الله ، فإنه يباشر فى أوقات الضيقات والأزمات
والمصائب (انظر ٢ صم ١ : ١٢ ، دا ٦ : ١٨ ، ٢ صم ١٢ : ١٦ ، اس
١٦ : ٤) .

(٣) الصوم وفترة الانقطاع :

يجب أن يكون الصوم انقطاعيا ، ولا يوجد صوم بدون فترة انقطاع .
وجميع الأصوام يجب ممارستها بالانقطاع عن الطعام فترة معينة ، بعدها نتناول
أطعمة خالية من الدسم الحيوانى . وفترة الانقطاع هى المحور الذى يرتكز
عليه الصوم سواء فى معناه أو غرضه أو تدريبه أو نتائجه . ولا يمكننا أن
نعتبر صوما بدون فترة انقطاع . والمسيحى الذى يفطر فى مواعيد افطاره
العادية كل يوم ، وإنما على أطعمة خالية من الدسم الحيوانى (صيامى) ، قد
يظن أنه صائم ، ولكنه فى الحقيقة قد كسر ركنا من أركان الصوم
وهو « الانقطاع » .

فليس الصوم مجرد حرمان من أطعمة معينة وإنما فيه عنصر الجوع .
فرب المجد عندما صام ، يقول عنه الانجيل أنه « جاع اخيرا » (مت ٢ : ٤) .
وسفر أعمال الرسل يذكر عن بطرس الرسول أنه « ... جاع كثيرا
واشتهى أن يكلل » (أع ١٠ : ١٠) . وحتى فى العهد القديم نجد فترة
الانقطاع فى الصوم ظاهرة بوضوح . فموسى النبى عندما صام « لم ياكل
خبزا ولم يشرب ماء » (خر ٣٤ : ٢٨) .

وفى سفر القضاة نجد الانقطاع حتى المساء ، اذ يقول الكتاب عن
بنى اسرائيل أنهم « جاعوا الى بيت ايل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب ،
وصاموا ذلك اليوم الى المساء » (قض ٢٠ : ٢٦) . وعندما وصف الله
لحزقيال النبى كيف يصوم قال له « ... وطعامك الذى تأكله يكون بالوزن ...
من وقت الى وقت تأكله ... وتشرب الماء بالكيل ... من وقت الى
وقت تشربه » (حز ٤ : ١٠ ، ١١) . وفى صوم نينوى نجد أن الناس
لم ينوقوا شيئا (يون ٣ : ٧) .

(٤) الاعتدال فى الصوم :

تحدثنا فى النقطة السابقة عن فترة الانقطاع فى الصوم . ونود أن نقول
هنا أن هذا الكلام ليس ملزما للجميع . فالصوم فى المسيحية — شأنه شأن
الممارسات الروحية الأخرى — ليس فرضا ، لكننا نمارسه عن شعور

باحياج . والأمر ليس متروكا للمؤمن وحده . فلا يجوز له أن يحدد لنفسه فترة الصوم الانقطاعي . بل يتحدد بالاتفاق مع الأب الروحي . ونحن ننبه مشحدين الى أنه لايجوز اطلاقاً أن يسلك انسان في تريب الصوم الا باذن ومشورة أبيه الروحي . فتريب الصوم يعتبر من أخطر اعتدال التي يمكن أن تؤدي الى أوجم العواقب . والكلباء القديسين وصية مشهورة في ذلك يقولون فيها « لاتضعف جسدك بزيادة لئلا تضحك عليك أعدائك » ...

وبالجملة فإن جميع القديسين اوصوا بالاعتدال في الصوم . يقول القديس ايرونييموس في رسالة له الى ديمترياس العذراء « ومهما يكن من أمر فاني لا اضع عليك كفرض (كنوع من الالزام) أى أصوام أشد صرامة وامتناع غير مألوف عن الطعام . فان مثل هذه الممارسات سرعان ماتضعف بنية الجسم الضعيفة وتسبب امراضاً جسمية ، قبل أن تضع (هذه الممارسات) اساساً لحياة مقدسة. ومما يؤثر عن الفلاسفة ان الفضائل وسائط وان كل طرف هو من طبيعة الرذيلة ... عليك الا تواصلى الصوم الى أن يبدأ قلبك يشعر بالخفقان ، ويسقط تفنك ، وتشعرى بالحاجة الى أحد يساعدك أو آخرين يحملونك . لا ، فبينما تكبحين رغبات الجسد ، عليك أن تحتفظى بقدر كاف من القوة البدنية لقراءة الأسفار المقدسة ، لقرئيل الزامير والأسفار . فليس الصوم في ذاته فضيلة كاملة ، لكنه أساس يمكن أن تبنى عليه فضائل أخرى ... انه خطوة للطريق العالي ... » ويقول مار اسحق « أخذر لئلا تضعف جسدك بالتهادى في الصوم ، فيقوى عليك التراخى وتبرد نفسك . زن حياتك في كفة ميزان المعرفة » .

ليست كثرة المآكل وحدها هي التي تحرك شهوات الجسد ، وتجعل العقل غير قادر على ضبط الأفكار ، بل أيضاً السلوك في تريب الصوم بعنف وبدون عقل أو اغراز (تمييز) ، فضلاً عن اضعاف الجسد وتحطيمه ، يمكن أن يؤدي الى نفس النتيجة من جهة عجز العقل عن ضبط الأفكار . يقول يوحنا كسيان « في حالة الصوم لايمكن تطبيق قاعدة واحدة في يسر . فليس للجميع توقيتية متساوية . وليس الصوم كباقي الفضائل التي تقتضى بضبط العقل وحده . وعلى هذا ، فلكونه لايتوقف على ضبط العقل فحسب ، وجب أن يتمشى مع امكانيات الجسم ... يوجد اختلاف في المادة ، والكيفية ، ونوع الطعام ، والسن ، والجنس تبعاً لاختلاف حالة الجسم . ومع هذا فيجب أن يجمع هؤلاء جميعاً غرض واحد هو الزهد وتمتع الجسد بالقياس الى القامة الروحية وقدرة العقل على ضبط الشهوات » .

واذا كنا نتحدث عن الاعتدال في الصوم بالنسبة للقادرين ، فكم ينبغي أن يراعى ذلك بالنسبة للمرضى او من تحكمهم ظروف خاصة

كالمعاجز والمرضعات والحوامل . . . يجب أن يكون واضحا ومفهوما أن الصوم ليس هدفا في ذاته كما سبق القول . أن هؤلاء يستطيعون أن يصلوا — بضعف جسدهم — الى فضيلة مساوية لأولئك الذين يصومون بنسك شديد . يقول يوحنا كسيان « ضعف الجسد لا يعوق نقاوة القلب ، بشرط أن الطعام الكثير الذي يتناول يتطلبه ضعف الجسد ، ولا يكون للتنعم » .

لقد رتبّت الكنيسة فترات الصوم الانقطاعي ، لكن للكنيسة ايضا سلطان الحل الذي أعطى للأبء الكهنة من السيد المسيح ، ليحلوا انسانا من صوم معين أو يرتبوا صومه بطريقة معينة حسب قامته الروحية وقدرته الجسمية .

(٥) الصوم ونوع الطعام :

هناك صلة وثيقة بين طباع الانسان وصفاته ، ونوع الطعام الذي يتناوله . وهذا ما حدا بميلسوف الماتى الى أن يعرف الانسان بقوله « **الانسان هو ما يأكل** » . أى أننا نستطيع أن نعرف الانسان وطباعه ومسوله من طعامه . . . هذا ما حدا بالكنيسة الى تعليم أبنائها ضرورة تغيير نوع الطعام في مدة الصوم .

فالى جانب فترة الامتناع التى ينبغي على الصائم أن يمتنع فيها عن الطعام والشراب كله - فانه يجب عليه أن يمتنع في مدة الصوم عن أنواع خاصة من الأطعمة ، هى الأطعمة الحيوانية التى تتوالد بالشهوة ، وكل ما ينتج عنها . والكنيسة الى جانب التقليد الرسولى الذى تسلمته فانها تستند في ذلك الى قول الرب لحزقيال النبي « **وخذ أنت لنفسك قمحا وشعيرا وفولا وعدسا ودخنا وكروتنه وضعها في وعاء واحد ، واصنعها لنفسك خبزا كعدد الأيام التى تتكئ فيها على جنبك** » (حز ٤ : ٩) **يقول القديس ايرونيموس** في رسالة الى عذراء تدعى يوستوخيوم « في هرب ايليا من ايزابل ، عندما كان راقدا منعبا ووحيدا تحت شجرة بلوط ، أتى ملاك ميقظله وقال له قم وكل . فنظر واذا عند رأسه كمكة وكوز ماء . ألم يستطع الله أن يرسل له خبزا طيبا وأطعمة مطهية بالزيت ولحوما مشوية أن كان أراد ؟ . . . ودانيال ايضا كان يمكن أن تكون له أطعمة شهية مقدمة اليه من مائدة الملك . . . من أجل هذا دعى « رجل الرغبات » لأنه رفض أن يأكل خبز الرغبة أو يشرب خمر الشهوة » .

ان تغيير نوع الطعام في مدة الصوم يعتبر أمرا جوهريا ، يساعد على تهذيب النفس والحد من توقد شهواتها . ولا يمكن أن نصوم صوما انقطاعيا وبعد ذلك نتناول مالمذ وطاب من الأطعمة . أن ذلك يجعل الانسان أكثر شراهة للطعام ، وبسبب في هذه الحالة أشبه بالأسود التى كانوا يمهدون الى تجويعها

فترة . حتى تكون أكثر شراهة وانغماسا حينما يلتون اليها انسانا مطلوب اعدامه ، على نحو ماكانوا يعملون في العصور الاولى . على هذا الأساس يمنع الصائم عن تناول الأطعمة الحيوانية التي تتوالد بطريق الشهوة . اما السمك الذي يسمح بلكله في بعض الأصوام فهو من الحيوانات التي تتكاثر بدون شهوة ، اذ أن عملية الاخصاب تتم خارج جسم الأنثى .

(٦) الصوم ليس مضعفا للجسد :

لابد لنا ونحن نعالج هذه النقطة في موضوع الصوم ، ان نتحدث أيضا عن امر كثيرا مايشغل أذهان بعض المسيحيين ، وهو أن الأطعمة الصيامية تضعف الانسان جسديا . وتجعله بجوع بسرعة نتيجة ضعف قيمتها الغذائية . . . والحق أننا نجوع بسرعة لأننا جسدانيون . هوانا مركزه في أجسادنا . اذا ما فرغت بطوننا نحس بفراغها بسرعة ، لانه ليس لنا مايشغلنا عنها . اما الانسان المشغول بالالهيات ، فانه لا يحس بجوع الجسد سريعا ، لأن الجسد ليس هو موضع انتباهه واهتمامه . عندما تكون النفس شبعانة ، تستطيع ان تحمل الجسد معها . ما أكثر ما ننسى طعامنا عندما نكون مشغولين بموضوع مهم مركزة فيه عواطفنا واهتماماتنا ، دون ان نقصد صوما . . . (باسمك ارفع يدي فتشبع نفسي كما من شحم ودسم » . وليس الفرح بالله هو وحده الذي يشبع النفس ، ويلهى الجسد عن الطعام ، وانما الحزن أيضا على خطايا أو ما شابه ذلك . . .) (ملفوح كالعثبويابس قلبي ، حتى سهوت عن اكل خبزي) (مز ١٠٢ : ٤) .

النفس عندما تكون شبعانة بالله ترتفع عن الطعام . لماذا لا آتيا غير متفرغة لأعمال الجسد . ولأن الجسد كذلك غير متفرغ هو أيضا للطعام ، لأن الروح جذبتة الى العمل معها . ولأن الجسد يتهدب بالعمل الروحاني ويقتنى نوعا من الاستحياء ، فيخزي من شهواته ، وهكذا تبطل — الى حين — شهوة البطن عنده . وايضا لانهم يشبع من طعام الروح كانه «جسد روحاني» في تلك الفترة بالذات . قال سليمان الحكيم « النفس الشبعانة تدوس العسل وللنفس الجائعة كل مر حلو » (أم ٢٧ : ٧) . لاحظ انه قال « النفس الشبعانة » ولم يقل الجسد . . .

اذن فُشِّع النفس يشبع الجسد معها ، ويقتنيه الى نوع من الصوم الطبيعي الذي لا تنصب فيه ولا قسر ولا احساس بجوع . هو صوم عن الطعام الجسداني ، وليس صوما بالمعنى المطلق . لأن فيه النفس تتغذى ، والجسد يتغذى معها بنذاتها . ليس هذا عجبا ان تغذى الجسد الهولي بأشياء غير هولية ؟! ومع ذلك فهذه حقيقة يؤيدها الواقع ، ويؤيدها الكتاب المقدس أيضا . ألم يقل الحكيم « الخبر الطيب يسمن العظام » (أم ١٥ : ٣٠) ؟!

مسكين اذن هو الانسان الذى يصوم جسده ، وفي نفس الوقت لا يقدم للنفس غذاءها الالهى الذى يشاطرها الجسد اياه . هذا ينتهكه الصوم ويهده . انظر الى يوشيا يقول فى حكمة « قدسوا صوما ، نادوا باعتكاف » (يؤ ٢ : ١٥) . ومفروض أن الاعتكاف فرصة للصلاة ... الاثنان يتمثلان معا — الصوم والاعتكاف — ويحصلان بعضهما البعض فى طريق الملكوت . ومن اجل هذا تكرر الكنيسة فى صوم الاربعة المقدسة فى الحانها وفى قسمة القداس عبارة « الصوم والصلاة » .

عيننا فى تقليدنا للقديسين أننا لا نلخذ الحق الذى عاشوا فيه كاملا ، وانما نلخذ جزء منه ونترك الباقي . وانصاف الحقائق ليست كلها حقائق . انظر الى قديس كالاتيا بولا . كيف كان يتغذى بنصف خبزة فى اليوم ويستمر هكذا عشرات السنوات . ومع ذلك لا يقبض فى نصف ايامه ، وانما يرقد فى الرب وهو شيخ شبعان اياما !

والقديسون الذين كانوا يطوون الايام صوما ، كيف كانوا يحتفلون ذلك ؟ وكيف كانوا يجمعون بين الصوم والمطانيات (السجادات) العديدة جدا ؟ **الحق انهم كانوا مستنودين من الناحية الأخرى .** حقيقى أن النعمة كانت تعينهم ، ولكن هل كانت النعمة تسير جميع القديسين بالمعجزات ؟ كلا . وانما نقول ان نعمة الله وضمت معونة دائمة تكاد تكون معونة طبيعية وفى نفس الوقت معجزية !! وهى أن الجسد فى عمله الروحى يقتات هو أيضا من طعام الروح . وتستطيع الروح أن تحمله وترفعه معها وتعطيه قوة أخرى بدلا من قوة الطعام ... هذا هو عين ماحدث مع دانيال والفتية الثلاثة حننيا وعزريا وميشائيل . فعلى الرغم من امتناعهم عن التنجس بأطياب الملك وخمر مشروبه واصرارهم على اكل القطاني (البقول) ، فعنى نهاية المدة — « ظهرت مناظرهم أحسن وأسمن لحما من كل الفتيان الاكلين من أطياب الملك » (دا ١ : ٨ - ١٥) ... اذن فالامر يحتاج الى ايمان فى صدق مواعيد الله ، وعمل روحانى يستندنا فى جهادنا الجسدى .

(٧) الصوم والتدرب الروحية :

كون القديسون حياتهم الروحية عن طريق التدرب « لذلك أنا أيضا ادرب نفسى ليكون لى دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » (أع ٢٤ : ١٦) . ويعتبر الصوم خير مهده ومساعد للسلوك فى التدرب الروحية واتمامها بنجاح . فالهدف من التدرب الروحية هو تمويد النفس على غضائل معينة . لكن اذا كان الجسد مشاغبا ، فمن الصعب النجاح فى اتمال هذه التدرب . ومن هنا كان الصوم — الذى يتمتع الجسد ويخلله ويستعبده ويقتل من توقد

حركاته — تدريبا هاما ، بل ومهدا للنجاح في التداريب الأخرى . ويعتبر تدريب الصمت من خير التداريب التي يمكن أن يدرب الإنسان نفسه عليها في فترة الصوم ...

(٨) تلازم الصوم والصلاة :

قال رب المجد « هذا الجنس (الشيطان) لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم » (مر ٩ : ٢٩) . وفي هذا القول ما يفيد وجوب تلازم الصوم والصلاة . ونحن نلاحظ هذه الظاهرة واضحة في أكثر من موضع في الكتاب المقدس . قال كاتب سفر أعمال الرسل « وبينما هم يخدمون الرب ويصومون ، قال الروح القدس اغرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما اليه . فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهم الأيادي ثم أطلقوهما » (أع ١٣ : ٢ ، ٣) ... « وانتخبنا (بولس وبرنابا) لهم قسوسا في كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به » (أع ١٤ : ٢٣) . وقال القديس بولس موجهها كلامه للمتزوجين من الرجال والنساء « لا يسلب أحدكم الآخر إلى أن يكون على موافقة إلى حين ، لكي تتفرغوا للصوم والصلاة ... » (١ كو ٧ : ٥) .

لقد شبه الآباء القديسون الصوم بحصن والصلاة بسلاح يحارب به الإنسان من داخل الحصن . قال القديس اغسطينوس (كما أن الهيكل الذي بناه سليمان أقام فيه منبحين ، أحدهما من خارج حيث كانت تقدم عليه ذبائح المحرقة ، والآخر من داخل حيث القديس ، وهو منبج البخور ، هكذا يلزم الإنسان الذي هو هيكل للروح القدس ، أن يكون فيه منبجان . الواحد داخلي وهو القلب حيث يقدم عليه بخور الصلاة وعطرها كقوله تعالى إذا صليت فادخل مخدمك أي قلبك ، والذبج الآخر خارجي حيث يقدم عليه الجسد كنبيحة بواسطة الصوم وصنوف التقشف والنسك » . وفي نفس هذا المعنى يقول الرسول إلى أهل رومية « فاطلب اليكم أبها الأخوة برامة الله أن تقدموا أجسادكم نبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ... » (روم ١٢ : ١) .

قال صاحب نشيد الإنشيد « من هذه الطالعة من البرية ، كاعمدة من دخان ، معطرة بالمر واللبن ... » (نش ٣ : ٦) . أن هذه الطالعة من البرية هي النفس التي خرجت من برية هسذا العالم منتصرة مظفرة بنعمة الفادي الذي أحبته . أنها نفس معطرة بالمر اشسارة إلى الصوم ، واللبن اشسارة إلى الصلاة ... لكن هل المر عطر ، حتى أن السروح قال عن تلك النفس أنها معطرة بالمر ؟! نعم أن الصوم والنسك عطر جميل يزِيل عن النفس نتن الخطية ، ويكسبها رائحة المسيح الذكية . أن الصوم والصلاة في حياتنا الروحية صنوان لا يفرقان . فإذا شهننا الصوم بجمر النار ، فالصلاة

هى اللبان (البخور) . وكلاهما يكل عمل الآخر ، وينتج عن اتحادهما عبيق رائحة بخور طيبة ، يفوح ويمطر النفس ...

(٩) الصوم والصدقة :

أوضح رب الجسد فى عظله على الجبل . أركان العبادة المسيحية الثلاثة : الصلاة والصوم والصدقة . وكما يقترن الصوم بالصلاة ، كذلك يقترن بالصدقة حتى ما يكون مقبولا . وقد أوضح ذلك الرب نفسه فى حديثه الى اشعيا النبى عن الصوم المقبول بقوله « اليس هذا صوما اختاره ... ليس أن تكسر للحناء خبزك وأن تدخل المساكين الفائسين الى بيتك . اذا رايت عريانا أن تكسوه ، وأن تتفاضى عن لحبك » (اش ٥٨ : ٧٦) ...

وحينما تكلم الرب عن خطية سدوم . ذكر الى جانب الشبع من الخبز (اهمال الصوم ، أنها « لم تشدد يد الفقير والمساكين » (حر ٦١٦ : ٤٩) . وقد افردنا للصدقة موضوعا خاصا فى هذا الكتاب تحت اسم (العطاء) ...

(١٠) الصوم والمعاشرات الزوجية :

ان كان الصوم عاملا هاما لقمع حركات الجسد وكبح جماح شهواته . وبالمالى لاكنساب الطهارة ، فانه من ناحية أخرى يجب أن يكرم الصوم بالطهارة — طهارة الجسد . وفيما يختص بالمعاشرات الزوجية ، فالكنيسة فى مدة الاصوام تعتبرها فطرا ، والفطر يحل الصوم . واذا كان الصائم يمتنع عن الطعام ، وهو ضرورى لقيام الحياة ، ليحقق لنفسه فوائد الصوم الروحية ، فبالأولى يمتنع من هذه المعاشرة ، وهى غير ضرورية لقيام الحياة اذا قيسست بالطعام .

والامتناع عن الاتصالات الجنسية يتمشى مع منطق الصوم ، ويتطابق روح الرهد والتأمل اللائق به . ويساير كذلك حالة الصائم النفسية . وليس يفهم من ذلك أن المعاشرة الزوجية فعل نجس ، وانما هى فطر كما قلنا ، شأن الامتناع عنها شأن الامتناع عن الطعام . لا على أنه نجس بل تعففا ورهدا ... ويقول الوحي الالهى « اضربوا بالبوق فى صهيون ، قدسوا صوما ، نادوا باعتكاف ... ليخرج العريس من مخدعه ، والعروس من حجبتها » (يو ٢ : ١٥ ، ١٦) . وليس خفيا أن الامتناع عن المعاشرات الزوجية فى الاصوام ينبغى أن يكون بموافقة الزوجين لئلا ينحرف أحدهما فيسبب خطية نلأحر أو لنفسه . وهكذا نصيح الرسول بولس (١ كو ٧ : ٥) .

نصائح وإرشادات

(١) تدريب الصوم تدريب شيق ، لكننا نؤكد عليك أن تمارسه بمشورة أبك الروحي لكي يضع لك الحدود من ناحية فترة الانقطاع .

(٢) اعلم جيدا أننا لا نريد بالصوم ، أن نضعف الجسد بل أن ننقله . فالجسد وزنة يجب المحافظة عليها . واعلم أيضا أن العقل السليم في الجسم السليم .

إن الله يدعونا أن ننقل الجسد لا أن نقله ، ولذلك فالكنيسة تصرح بعدم الانقطاع في الصوم بالنسبة للمجانز والرضعان والمرضعات والحالي والمرأة النفس والمريض والضعفاء وصغار السن ، والذين لهم حالات خاصة تمنعهم ، فياكلون لا ترفعها ، ولكن عن ضرورة .

إن الجسد هو الدابة التي تعبر بك برية هذا العالم ، فلا نجعله دابة جموحة لئلا تتبعك وتطرحك أرضا ، ولا تقس عليه ، وتضعفه بزيادة لئلا تعجز عن أن تكمل معك الطريق « ليكن كل شيء بلياقته وبحسب ترتيب » (١ كو ١٤ : ٤٠) .

(٣) ماكتب عن الصوم في هذا الكتاب ، كتب للجميع . لأناس لهم قناعات روحية مختلفة . ولهم ظروف صحية متباينة . فلا تحاول أن تطبق كل ماقرانه تطبيقيا روحيا دون مراعاة ظروفك الصحية ، وقامتك الروحية والجهد الذي تبذله في عملك وتذكر كلمات الرسول « غاني أقول بالنعمة المعطاة لي من هو بيبكم لا يرتنى فوق ما ينبغى أن يرتنى . بل إلى التعقل كما قسم الله لكل واحد مقدار من الإيمان » (رو ١٢ : ٣) .

إن الحياة الروحية ليست مجرد محاكاة ، بل الأمر يحتاج إلى تدريب وطويل . حسنا أن نشاق إلى التمثل بالقدسين ، ولكن حسنا أيضا التمثل في كل شيء . لا ننظر إليهم في نهاية حياتهم أو بعد أن يكونوا قد قطعوا شوطا كبيرا في حياة الجهاد، بل ننظر إليهم في بدايه جهادهم ومائلهم .

(٤) أن المريض أو ضعيف الجسد له وضع خاص . فالقدس برصنوفوريوس يقول ردا على سؤال لتلميذ مريض من تلاميذه كان يقالم من

عدم قدرته على الصوم بحسب مفهومه النسكى « اعلم أن الصوم قد وضع
لاذلال الجسد فإذا كان الجسد مذلولا بمرض وصلنا الى الغاية التى لأجلها
نصوم ... »

(٥) لكن أياك أن تتماحك أو تتعال بعدم القدرة على الصوم . ولا تدع
جسدك ، وهو قوى ، يخدعك ويتظاهر بالضعف . ولا تمنع عن الصوم
خشية ضعف جسدك . فالعكس هو الصحيح . فالصوم يكسب الانسان
موة ونشاطا ويمنع أسبابا تقصر العمر ، فمظم النباتيين من المعمرين .
والقديس ايرونيموس يرد على من يحشى هزال الجسد بقوله « خير لك أن
تمرض معدتك ولا تمرض نفسك ، وأن ترتجف ركبتك ولا تتزعزع عفتك فاقمع
جسدك واستمده لئلا ترذل » . ويقول يوحنا كسيان « انه لأمر
عجيب حقا . فبينما نهتم بصحتنا ونكثر من اعتنائنا بأنفسنا ومن تفاسول
الطعام الشهى المفيد للصحة ، ونختار الشراب الصافى . ونتزده في الهواء
الطلق ، نجد أنفسنا فى النهاية معرضين للأمراض والأوجاع . مع أن القديسين
انذين احتقروا أجسادهم وأماتوها بالعمل والحلاة الدائبة أكثر صحة وسلامة
وبينا أجسادنا المعنى بها تفسد وتفتن وتبعث منها رائحة كريهة بعد
'وماه' . إذ بأجساد هؤلاء القديسين المهلهة عندهم والمزدرى بها جدا تنقى
عطره ونفوح منها روائح ذكية حتى بعد الأمانة » .

(٦) لا تشتهه أطعمة معينة أثناء الصوم . فهناك أطعمة كثيرة لذيدة
للطعم . لكن قيمتها الغذائية ضئيلة . وهناك أعذية عادية فى طعمها لكنها
مفيدة جدا . لاتسع الى اللذة فى المأكولات ، بل الى ما هو مفيد لبنان جسدك
والمحافظة عليه . كثيرون يستخدمون فى زمن الصوم أطعمة لاتقل فى لذة
طعمها ولا فى عددها عن أطعمة الفطر . يجب أن يكون فى الصوم تقشف ونسك
عامل جسدك معاملة الطبيب للمريض . لاتبع له مايؤنيه ولو ظننه بشدة
وقدم له مايمنعه ولو لم يرض به ...

(٧) اقرن صومك الجسدى عن الأطعمة بصوم آخر ، وذلك بأن تدرب
حواسك لتصوم عن الخطيئة والشر فى مواقف معينة كالغضب والإدانة والشهوة
... الخ .

(٨) اقرن الصوم بالتأمل متذكرا المناسبات التى تقترن بالصوم
نمثلا فى صوم الأربعين المقدسة ، تذكر سيدك فى صومه وهو القدوس البار
وفى صوم يوم الأربعاء تذكر تأمر وتشاور رؤساء الكهنة لكى يهلكوه ، وخيانة
يهوذا لسيده ، وحاسب ذاك هل أنت تخونه . وبكم تمسلمه ؟ أنك حينما
نفعل الخطيئة تخونه ، أنت الذى تقدست بدبه وقطعت معه العهود فتذكر
خيانتك وأعدل عنها وفى صوم يوم الجمعة تذكر آلام المخلص ، وتأكد أنها

لاجلك ... تأمل فيما سببه خطيتك لاهلك ومخلصك وغاديك من الام ،
واتركها ، وهكذا ...

(٩) اذا اردت أن يكون صومك مقبولا وفعالا ، يجب عليك أن تقدمه خالبا
من كل شر ومن كل رياء . فالكثرة والفريسيون كانوا يصومون ومع ذلك لم
يقبل الرب صومهم لريائهم (لو ١٨ : ١٤) . وقد أوضح الرب أن صوم
الاشرار مرموز لديه « هكذا قال الرب لهذا الشعب . هكذا احبوا أن
يجولوا . لم يبنعوا أرجلهم . ما رب لم يقبلهم . الآن يذكر انهم ، ويعاقب
خطاياهم ... حين يصومون لا سمع صراخهم ، وحين يسعدون محرقة
وتقدمه لا اقبلهم . بل بالسيف والجوع والوباء انا افضيهم » (ار ١٤ : ١٠ -
١٢) ... أن البخور الممزج بالأقدار تقول رائحته الذكية ، وتمزج بها
رائحة كربية . هكذا لايسر بصوم تتقدمه الخطيئة وترافقه !!

الأصوام في الكنيسة القبطية

(١) اقدم وأهم الأصوام في الكنيسة هي صوم الأربعين المقدسة
واسبوع الآلام والأربعاء والجمعة . وقد وردت في قوانين الرسل وقوانين
القدس باسيليوس الكبير ، وغيرها ... وقد كانت الكنيسة تتشدد كثيرا
في تنفيذ هذه الأصوام حتى أنها كانت تفرض عقوبات على من يفطر فيها
بدون عذر قبله . ونلاحظ أن هذه الأصوام الثلاثة تتعلق بمناسبات تختص
بالسيد المسيح ذاته : فصوم الأربعين تذكرا للأربعين يوما التي صامها
الرب يسوع عنا ، ويوم الأربعاء تذكرا للتأمر عليه ، ويوم الجمعة تذكرا
لصلبه . واسبوع الآلام (النصبة) تذكرا لآلامه ... كما نلاحظ أن الأربعين
المقدسة كانت مستقلة عن اسبوع النصبة

(٢) وصوم الرسل هو بلا شك نظير هذه الأصوام في الأقدمية اذ صامه
الرسل أنفسهم . وكان مختلفا عنه في أيامنا الحالية . فقد ورد في الدسقولية
أنهم يعمدون أسبوعا لحلول الروح القدس ثم يصومون بعد ذلك أسبوعا
لحلول الروح القدس ثم يصومون بعد ذلك أسبوعا أو أسبوعين ... أما
و أيامنا الحالية فصوم الرسل غير محدد بعدد أيام معينة لأن نهايته ثابتة
وهي يوم ه ابيب (تذكرا لاستشهاد الرسولين بطرس وبولس) ، أما بدايته
فهي غير محددة لارتباطها بيوم الخميس الذي قد يتقدم أو يتأخر في سنة
عن أخرى تبعا لموعد عيد القيامة . أما في أيام الرسل فلم يكن هذا الصوم
منهيا قطعا في ه أسب لأن الرسولين لم يكونا قد استشهدا بعد .

(٢) باقى اصوام الكنيسة هي :

ا - صوم الميلاد ومدته ٤٢ يوما يبدأ من ١٦ هاتور (٢٥ نوفمبر) وينتهى بعيد الميلاد في ٢٩ كيك (٧ يناير) .

ب - صوم نينوى (يونان) ومدته ثلاثة ايام . ويصام تذكارا لتوبه نينوى وهو يبدأ قبل الصوم الكبير بأسبوعين

ج - صوم السيدة العذراء ومدته خمسة عشر يوما تنتهى بعيد صعود جسد العذراء مريم في ١٦ مسرى .

د - برمون الميلاد وبرمون الفطاس . والبرمون هو اليوم السابق للعيد وكان يصام بدرجة تقشفية اكبر ، فيكون انقطاعيا طول اليوم استعدادا لتقبل النعمة التى ينالها المؤمنون في مناسبة العيدين المقدسين .

(٤) هذه الاصوام تختلف في طقسها وفي فترة الانقطاع وفي نوع الاطعمة التى تؤكل خلالها . فالصوم الكبير لا يؤكل فيه السمك ، وكذلك كان الحال في صوم يومى الاربعاء والجمعة . ويجرى في هذا المجرى ايضا صوم نينوى ويومى البرمون . اما في ايام البصخة (اسبوع الآلام) فطقس الكنيسة الاول هو الا يساول الصائم سوى الخبر والمح بعد فترة الانقطاع وبالنسبة للضعفاء الذين كان يصرح لهم بالطعام كانت تمنع عنهم الاطعمة الحلوة المذاق . اما باقى الاصوام فيصرح فيها باكل السمك .

(٥) اما فترة الانقطاع فلاصل فيها أن يكون الى الغروب بالمسه الى الصوم الكبير وما يجرى مجراه ، والى الساعة التاسعة (الثالثة) بعد انظهر في باقى الاصوام . ولكننا ننصح بأن يترك تحديد فترة الانقطاع الى مشورة اب الاعتراف ونوجيهه حسبما يراه من جهة صحة المعترف الجسدية وحياته الروحية ...

(٦) يتمتع عن الصوم الانقطاعى في يومى السبت والاحد على مدار السنة . ما عدا يوم سبت الفرح حيث كان السيد المسيح في القبر ويتمتع عن الصوم اطلاقا خلال الخمسين يوما المقدسة التى تعقب عيد القيامة وهذه هي الفترة الوحيدة التى يفطر فيها الاربعاء والجمعة . ولايكسر صوم الاربعاء والجمعة ايضا الا اذا اتفق مع ورود عيد سيدي كير كالميلاد والفطاس (نلاحظ أن غالبية الاعياد السيدية الكبرى لاتأتى في يومى الاربعاء والجمعة .)

(٧) نلاحظ أن المطانيات تتمشى مع الصوم جنباً الى جنب من حيث أن اليوم الذى لايجوز فيه الصوم ، لاتجوز فيه أيضاً المطانيات ، مثل الأعياد السيدية الكبرى والخمسين والسبوت والأحد . كما يجوز أيضاً ممارسته المطانيات فى باقى أيام السنة .



العطاء

« ملوحي أن يتعطف على المسكين والفقير »
في يوم الشرىنجيه الرب « (مز ٤١ : ١)

+ كلمة عامة عن العطاء

+ الله يلهو بالعطاء

+ كيف نقدم العطاء .

+ العشور .

+ بعض اعتراضات على العطاء .

+ أمثلة لنوى العطاء السخي .

كلمة عامة

المسيحية والعطاء قرينان ، وصنوان لايفترقان العطاء في شتى صورته ومختلف نواحيه ، مبتدا في عطاء المادة — وهو ادنى انواع العطاء — الى عطاء النفس ، وهو اسماها جميعا . . .

والعطاء (الصدقة) يؤلف مع الصلاة والصوم حبلا مثلوثا متينا لا ينقطع اذا ارتبطا به ، او ربطنا أنفسنا به ، ضمنا السلامة والنجاة ، كالحبل الذي يربط السفينة بمرسأها . ولا عجب في ذلك فالصلاة هي تعبدنا لله بأرواحنا ، والصوم هو تعبدنا له بأجسادنا ، والعطاء او الصدقة هو تعبدنا او اظهار حبنا له بهائنا

هذا ما فهمه المسيحيون الأول ، وما سارت عليه الكنيسة الاولى ولعلنا نجد هذا المبدأ واضحا في كلمات القديس بولس في حديثه الى قسوس أفسس حينما قال لهم « متذكرون كلمات الرب يسوع انه قال مغبوط هو العطاء اكثر من الأخذ » (أع ٢٠ : ٣٥) .

ونحن في هذا الموضوع لا نتحدث عن العطاء بمعناه العام ، لكن نقصر حديثنا عن العطاء المادى الى الصدقة ، وان كنا قد استحسننا التعبير الاول (العطاء) .

في هذا العصر المادى الذى نحيا فيه ، الذى يتكالب الناس فيه على كل ما هو مادى ، وعزفوا عن كل ما هو روحى فكري . وأصبحت المعايير المادية هي المعايير المتداولة . وهبط مستوى القيم الروحية في نظر الناس — في هذا العصر نرى الناس وقد شبع عطاؤهم او انعدم نتيجة فتور حماسهم للدين ، بعكس ما كان يحدث في فجر المسيحية وعصرها الرسولى حينما كان المؤمنون يبيعون ممتلكاتهم ويقدمونها للكنيسة لتتولى هي توزيعها على فقراء المؤمنين كل واحد كما يكون له احتياج .

اننا نعرف جيدا مدى الازهاق المادى الذى ينوء تحت وطأته متوسطو الدخل في هذه الأيام ، فكم بالفقراء والمعدمين ! لكننا وانقون الى جانب ذلك من البركات الكثيرة التى اعددها الرب للرحومين ، ليس في الدهر الاثني فحسب بل في هذا الدهر أيضا .

المال اله كبير من آلهة هذا الدهر ، يتعبد له كثيرون وقد اقاموا له
 تمثالا من ذهب في قلوبهم حيث يترفع على عروشها ... لقد أضل كثيرين
 وقسى قلوبهم وغشى عيونهم وسد آذانهم ، فلم يعودوا قادرين على الاحساس
 بالام الآخرين أو رؤية مفلتهم أو الاستماع الى انبيهم . وقد بلغ هذا الاله
 في جبروته حدا ، حتى انه اصبح في نظر البعض معادلا لله ... بل هو الههم
 الوحيد . **رب المجد العالم بلفكار قلوب البشر قال « لاتقربون ان تخدموا**
الله والمال » (لو ١٦ : ١٣) .. ولما قال للشباب الغنى الذى تقدم اليه
 في لهنة سائلا عما يفعله ليبرث الحياة الابدية « يعوزك شيء واحد . اذهب
 مع كل مالك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء » يقول الانجيلي
 « فاعلم على القول ومضى حريبا لانه كان ذا اموال كثيرة » وقد عقب السيد
 المسيح على هذا الحادث بقوله « يابنى ما اعسر دخول المتكئين على الاموال
 الى ملكوت الله . مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غنى الى
 ملكوت الله » (مر ١٠ : ١٧ - ٢٥) .. وقال الرب يسوع ايضا « انظروا
 وحفظوا من الطمع ، فانه متى كان لاحد كثير فليست حياته من امواله »
 (لو ١٢ : ١٥) ... « كل واحد منكم لايترك جميع امواله لايقدر ان يكون
 لى تلميذا » (لو ١٤ : ٣٣) .

وهكذا نرى ان المال ومحبهه والانتكال عليه والرغبة في جمعه وتكويمه والاحتفاظ
 به ، انما تؤلف مرضا روحيا خطيرا يبعدنا عن الرب وعن عشرته . والمال له
 منطلق يقنع به اتباعه ومريداه مثل « القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود
 ... اى آخر الكلام . ونحن الآن نريد ان نتف على رأى الكتاب المقدس
 في موضوع المال

قد يقول قائل ان رب المجد بكلامه لذلك الشاب الغنى ، « المتكئين على
 الاموال » ، ولم يقصد الاغنياء على الاطلاق - وهذا حق . فالرب هو
 مصدر الغنى ايضا « الرب يفقر ويغنى » (١ صم ٢٦ : ١٧) . ايضا كل
 انسان اعطاه الله غنى ومالا وسلطه عليه ... فهذا هو عطية الله «
 (جا ٥ : ١٩) .

ان الكتاب المقدس يحفظ اسماء بعض الاغنياء من القديسين . ومنهم
 ابراهيم الذى قيل عنه انه كان « غنيا جدا في المواشى والفضة والذهب »
 (تك ١٣ : ٢) . ولوط ، الذى ذكر عن املاكه انها كانت كثيرة جدا (تك
 ١٣ : ٥ ، ٦) . واسحق الذى بارك الرب زرعه حتى اصاب في احسدى
 السنوات مائة ضعف ، وقال عنه الكتاب انه « كان يتزايد في النعاطم حتى
 صار عظيما جدا » (تك ٢٦ : ١٣) . ويعوزنا الوقت ان نحدثنا عن يعقوب
 وابنه يوسف الذى باركه الرب واتججه حتى صار سيدا لكل بيت فرعون

ومتسلطا على كل أرض مصر (تك ٥ : ٨) ، وكذلك داود الذي شهد عنه الكتاب أنه « مات بشيئة صالحة وقد شبع أياما وغنى وكرامه » (١ اى ٢٩ : ٢٨) ، ويهو شافاط (٢ اى ١٧ : ٥) ، وخرقيا الذي نكر الكتاب أنه كان له « غنى وكرامة كثيرة جدا وعمل لنفسه خزائن للفضة والذهب والحجارة الكريمة والأطياب والأتراس وكل آتية ثمينة ... » (٢ اى ٣٢ : ٢٧) ، وإيوب الذى من كثرة مواشيه وغنمه ، كان اعظم كل بنى الشرق » (اى ١ : ٣) . وايضا يوسف الذى من الرامة الذى أخذ جسد الرب يسوع ولفه بكتان نقى (مت ٢٧ : ٥٧) ، وزكا (لو ١٩ : ٢٠) ...

نعود الى حديث الرب يسوع مع الشاب الغنى وتعبه بقوله « ما اعسر دخول المتكئين على الاموال الى ملكوت الله ... نريد ان نعرف ما معنى الاتكال على المال ، فهذا هو بيت القصيد .

الاتكال على المال :

هو الشعور بالطمعية والارتياح لوجود المال . والاحساس بلته قوة وقائية مدخرة للطوارئ والنوائب . ان الغنى — ولاشك — يعلم بحاجه الفقراء الى ما عنده من فائض عن حاجته . ولكن شعور الاطمئنان بالمال والاتكال عليه هو الذى يجعله يفضل الاحتفاظ به على اعطائه للمحتاجين اذن فكل غنى يجمع المال لذاته ، او يكثره سواء لرفاهيته او لاحتمالات الدهر حسب فكره ، ولا يحتسب نفسه مجرد أمين عليه لتوزيعه على الآخرين ، انما متكل على المال ، ويتم فيه قول الرب : ان دخوله الى الملكوت ما اعسره !!

ان المال لا يتدفق من السماء على الناس بغير حساب . انما يجمع الثروة من يحب المال ويهتم بجمعه . وان كنا قد ذكرنا بعض امثلة لاغنياء قديسين لكن مجرد الرغبة فى الغنى تعد من اخطر التجارب التى يتعرض لها المرء ، وهى كفيلة بهلاكه حسبما يقول الرسول « واما الذين يريدون ان يكونوا اغنياء ، فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غنية ومضرة تفرق الناس فى العطب والهلاك » (١ تى ٦ : ٩) ... « محبة المال اصل لكل الشرور ، الذى اذا ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان وطعنوا انفسهم بلوجاع كثيرة . اما انت يا انسان الله فاهرب من هذا ... » (١ تى ٦ : ١ ، ١١) . وقال الرب قديما لشعبه « احترز من ان تنسى الرب الهك ولا تحفظ وصاياه واحكامه وفرائضه التى انا اوصيك بها اليوم . فلما اذا اكلت وشبعيت وبنيت بيوتا جيدة وسكنت . وكثرت بقرك وغنمك وكثرت لك الفضة والذهب وكثر كل مالك . مرتفع قلبك وتنسى الرب الهك » (تث ٨ : ١١ — ١٤) ... هذا هو الانسان كما يعرفه خالقه ... لاجب اذن فى انحرافه وهلاك من يجرى وراء المادة . ويسمى لجمعها بكل الطرق . وقد سبق رب المجد وقال

« لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضا » (لو ١٢ : ٣٤) . بل انه في المعزة على الجبل سبق وقال « **لاتقربون أن تخدموا الله والمال** » (مت ٦ : ٢٤) . مهل بعد هذا نستمر في سعينا وكناخنا من أجل جمع المال ونقول في جراءة ردا على هذه الآية « لا ، اننا قادرون على خدمة الله والمال فلنحكم قواتنا . ولنحكم على انفسنا ، لاننا لو حكمنا على انفسنا لما حكم علينا . »

وحتى الذين جمعوا ثرواتهم بطريق مشروع دون محبة المال، فإن مجرد احتفاظهم بها لانفسهم دون أن يفكروا في أعواز الآخرين ، يتعارض مع ناموس المسيحية الملوكة — المحبة . مفروض في المسيحية المؤمن انه مات عن العالم ومحبه « لاننا لم ندخل العالم بشيء » ، وواضح أننا لانقدر أن نخرج منه بشيء فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما » (١ تي ٦ : ٧) وواضح أن الرسول كتب كلماته هذه لجميع المؤمنين ، وليس لطائفة بذاتها ، فلم يكن بينهم رهبان في تلك الأيام !! ومفروض في المسيحية أيضا ألا يعيش لذاته ، بل يحب قريبه كنفسه . فاذا وجد انسان يملك عشرات الاثواب يحفظها لنفسه وإلى جواره عديد من الرجال العرايا . وأغلق أحشاءه دونهم ، فإنه يتم فيه قول الرسول « وأما من كان له معيشة العالم . ونظر أخاه محتاجا ، وأغلق أحشاءه عنه ، فكيف شئت محبة الله فيه » (١ و ٣ : ١٧) ... « هلم الآن ايها الأغنياء انكوا مولولين على شقاوتكم القادمة » رنح ٥ : ١

قال القديس ابرونييموس (جيروم) في رسالة له الى عذراء من اشراف روما تدعى يوستخيوم « يجب أن تتجنس خطيئة حب المال ... يقول الرب أن لم تكونوا أمناء في ما هو للغير . فمن يعطيكم ما هو لكم . ذلك الذي هو لاغير . هو كتلة من الذهب أو الفضة . وما هو لكم هو الميراث الروحي الذي قيل عنه في موضع آخر : فدية حياة رجل هي غناؤه (أم ١٣ : ٨) ... ولكنك قد تقولين اذا ماشخت ومرضت فمن يعتني بي ؟ اسمي يسوع يقول، للرسول : لا تفكروا في ماذا تأكلون ، ولا لجسدكم في ماذا تلبسون . اليسيت الحياة افضل من الطعام والجسد افضل من اللباس . انظروا طيور السماء انها لا تبذر ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن . الا أن أياكم السماوى يقولونها مت ٦ : ٢٥ ، واذا لم تحدى ملسا . فليضمي الزنايق اياكم (مت ٦ : ٢٨) . اذا كنت جوعانة فستسمع من كم هم مضطرون الفقراء والجوع من بين الناس اجعلني دائما على شفقتك تلك الكلمات : عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا اعود الى هناك (اى ١ : ٢١) ... لا يمكن أن يترك الرب بارا يهتج جوعا يقول المرتل كنت صغيرا والآن شخت ، الا انني لم أجد بارا تخلصني عنه أو نسلا له يلتصق خزا (مز ٣٧ : ٢٥) . كان ايليا يقتات بواسطة غربان تخدمه . ارملة صرمة نفسها وابنها ، ذهبت جوعانة في تلك الليلة على وشك الموت لكي تطعم النبي . وأعجوبة ملء كوار الدقيق وهذا الذي أتى ليظلم زودها

باطعام ... اسمعى كلامي معقوب في صلاته : ان كان الرب معي ، وحفظني في هذا الطريق الذي انا سائر فيه واعطاني خبزا لاكل وثيابا لالبس يكون الرب لى الها » (تك ٢٨ : ٢٠) . لقد صلى من اجل الضروريات فقط على انه بعد ذلك بعشرين سنة ، رجع الى ارض كنعان غنيا في الممتلكات ، غنيا أكثر في النين . **لا تنهى الأمثلة التي يزودنا بها الكتاب المقدس لتعلمنا ان نحذر من حب المال** .

فضيلة الرحمة عامة :

حيما نتكلم عن العطاء أو الصدقة ، لابد لنا ان نتحدث عن فضيلة الرحمة بصفة عامة . **فالصدقة وحدها — وفي حد ذاتها — لا تهم الله الا من حيث الدافع لتقديمها** » ان اعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة ، تحتقر احتقارا » (نش ٨ : ٧) . فانه الذي خلق العالم وكل ما فيه . كان ولا شك — يستطيع ان يوغر الفنى والثراء لكل فرد من خليقته . كان ممكنا ان يكون الجميع اغنياء . **لكن الله لحكمة كبيرة سامية ، سمح ان تكون الفوارق بين الناس ، حيث تكون هناك فرص لعمل الخير ، واقتناء الفضائل مع ما يصحبها من بركات** . وسوف نرى ان كلا من الاغنياء والفقراء . محتاحون بمعصمه لبعضى سواء سواء .

كان الرب — منذ القديم — حريصا ان يلقن شعبه اصول الرحمة ، متمثلة في الرفق بالمساكين والفقراء والارامل واليتام . فامضى شعبه قائلا « لا تنظلم اجبرا مسكينا وفقيرا من اخوتك أو من الفقراء الذين في ارضك في ابوابك . في يومه تعطيه أجرته . ولا تغرب عليها الشمس لانه فقير ، واليهام حامل نفسه ، لنلايصرخ عليك الى الرب فتكون عليك خطية » (تث ٢٤ : ١٤ ، ١٥) . وقال ايضا « لا تعوج حكم الغريب واليتيم ، ولا تستترهن ثوب الارملة . واذكر انك كنت عبدا في مصر ، ففداك الرب الهك من هناك . لذلك انا اوصيك ان تعمل هذا الامر » (تث ٢٤ : ١٧ ، ١٨) . وقال بلسان اشعيا « انبى » تعلموا فعل اخير . اطلبوا الحق . انصفوا المظلوم . اتفضوا لليتيم . جاموا عن الارملة » (أش ١ : ١٧) . حتى ان داود النبي قال في أسلوب سبق « جميع عظامي تقول يارب من مظلك المنقذ المسكين ممن هو اقوى منه والفقير والذئس من سألته » (مز ٣٥ : ١٠) وقال بقم هوشع النبي « انى اريد رحمة لا فبيحة ، ومعرفة الله أكثر من محرقات » (هو ٦ : ٦) . وقال قديما لشعبه « ست سفين تزرع ارضك وتجمع غلتها ، وأما في السابعة تريحها وتتركها لياكل فقراء شعبك ، وفضلتهم تاكلها وحوش البرية . كذلك تفعل بكرمك وزيتونك » (خر ٢٣ : ١٠ ، ١١) ... أتري الى هذه انوصسية ، كيف ان الرب لا يهتم فقط بلولاده ، ولكن حتى بوحوش البرية !! .

وفي العهد الجديد نرى هذه الفضيلة بوضوح في شخصية رب المجد ،
 انذى دعانا أن ننشئه بأنبياء السماوى في رحمته « كونوا رحماء كما أن أباكم
 أيضا رحيم » (يو ٦ : ٣٦) . والذي قال لليهود « اذهبوا وتعلموا ما هو ،
 انى أريد رحمته لا ذبيحة » (مت ٩ : ١٣) . ولما جاع تلاميذه وابتدأوا
 يقطعون سنابل ويكفون في السبت . مدمر عليه العريسيون ، فدافع عنهم
 فساربا لهم المثل مداود الذي لما جاع دخل بيت الله واكل خبز التقدمة الذى
 لم يحل اكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط . ثم أردف قائلا « غلو عنتم
 ما هو ، انى أريد رحمة لا ذبيحة لما حكمتكم على الأبرياء » (مت ١٢ : ١-٧) . . .
 الى غير ذلك من اقواله وتعاليمه وأمثاله التى سوف نأتى عليها . وقد بين لنا
 بمقرب الرسول قدر الرحمة حينما قال « **لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل
 رحمة . والرحمة تفتخر على الحكم** » (يع ٢ : ١٣) .

وقد تحدث القديس يوحنا ذهبى الهم حديثا شيقا عن الرحمة قال « الرحمة
 نصعد الانسان الى علو سامح وسبب له دالة بليغة عند الله . فكما أن الملكة
 اذا أثرت الدحول الى الملك لا يجسر احد من الحجاب أن يمنعها أو يسألها
 عن المكان الذى تريد الذهاب اليه . بل كل رجال بلاط الملك يستقبلونها
 ببهتاج . هكذا من يعمل الرحمة والصدقة يمثل أمام الملك وهو على عرشه
 بدون عائق . تكون البارى يحب الرحمة حبا شديدا وهى تقف بالقرب منه . . .
 هذه الرحمة هى اننى اقنع البارى أن يصير انسانا لأجل خلاصنا ولهذا فإن
 الأب السماوى يؤهل الذين يعملون الرحمة الى نعمة العطاء » . وقال ايضا
 « **الرحمة تتقدم الفضائل ولها القوة المطلقة . لأنك اذا صمت مثلا وانت عديم
 الرحمة فلا يفيدك تعب صيامك شيئا . . . وما الى انكر الصوم ، بل أن حفظت
 الطهارة والبتولية التى لا يوازىها فى الشرف الباهر أعظم الفضائل الأخرى
 لأنك بها تشابه الملائكة . . . فسوف تقف خارج الخدر السماوى اذا لم تكن
 متحليا بالرحمة . أما ترى العذارى البتولات (الجاهلات) كيف انهن يطردن
 من حضرة الخن السماوى لعدم اقتنائهن الرحمة بسريرة نقية !! » وقال ايضا
 نرى من اين تعرف العذارى الحكيمات العاقلات ؟ يعرفن من كونهن جمعن بين
 ابتولية والرحمة . . . وفعلن لموت الخن السماوى القاتل انى أريد رحمته
 لا ذبيحة » .**

لن نقدم عطائنا :

لا يوجد وجه واحد للنوزيع نقدم اليه عطائنا ونفقد فيه صدقاتنا .
 لكنها لا تخرج في مجموعها عن دائرة الكنيسة وأعضائها . وقبل أن نحوض
 في هذه السئلة ، نرى من المفيد أن نناقش نقطة هامة ، لا شك انها تجول
 بخواطر الكثيرين ، ألا هى مدى وجوب فحص حالة طالب الصدقة قبل
 اعطائها .

وهنا يوجد وجهان لهذا الموضوع . وجه فردى خاص ، ووجه
كنسى عام .

بخصوص القاحية الفردية ، أوضح لنا السيد المسيح مبدءا هاما بقوله
« كل من سلك فاعطه » (لو ٦ : ٢٩ ، مت ٥ : ٤٢) . والأمـر صريح وواضح
اننا لسنا مسئولين عن فحص حالة من يسألنا (أى يطلب منا صدقة) . بل
الأجر سيعطى لنا كاملا بحسب النية في تقديم العطاء « من يقبل نبيـا باسم
نـبى ماجر سـخـذ . ومن يقبل بارا باسم بار فـجـر بار يأخذ . ومن سقى احد
هؤلاء الصغار كنس ماء بارد فقط باسم تلميذ . فالحق اقول لكم انه لا يضيع
اجره » (مت ١٠ : ٤١ - ٤٢) . والكلام واضح في ذاته ، وهو أنك اذا
صنعت احسانا الى انسان على انه نبي او بار او تلميذ للرب فستأخذ اجر
هذا العمل كاملا حتى لو كان اولهم نيا كذبا وثانيهما شريرا وثالثهما من
الاخوة الكذبة !! وحكمة السيد المسيح في ذلك ان لا نقيم من انفسنا قضاة
نفحص شئون الناس الداخلية بل عبادا . وحتى نكون ايضا متشبهين بابيـنا
السماوى « فانه يشرق شمسـه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار
والظالمين » . ومما يؤكد ذلك ان الرب يسوع يختم هذا الكلام بقوله
« فكونوا انتم كاملين كما ان اباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ :
٤٥ - ٤٨) .

حاء فى كتاب الراعى لهرماس (١) « اصنعوا الخير ، ومن نناج اعمالكم
— التى يعطيها الرب لكم — اعطوا جميع المحتاجين فى بساطة ، غير مترددين ان
تعطوا او لا تعطوا . اعطوا الجميع ، فانه يريد ان عطاياه توزع على الكل .
والذين يأخذون سيعطون حسابا لله ، لماذا ولاى سبب قد اخذوا . من
جهة المحتاجين الذين اخذوا سوف لا يدانون ، لكن اولئك السليين اخذوا
بتظاهر مزيف سيعاقبون . اذن فالذى يعطى غير مذب ، لانه كما اقبل
من الرب ، هكذا اتم خدمته فى بساطة غير متردد ان يحق العطاء ولن
لا يحق ... »

ويحفظ لنا كتاب بستان الرهبان قصة شقيقة عن ناسك تصدق بثوبه
لفقير . وعندما نزل الى الريف ليبيع عمل يديه رأى ذلك الثوب ترتديه
امراة زائنه ، فحزن جدا وبكى ... اراد الله ان يلقنه درسا ويريح انكاره ،
مظهر له ملاك الرب وقال له « لاتحزن ، فمن وقت ان تصدقت بثوبك لذلك
الفقير لبسه المسيح ، وانت غير مسئول عما حدث بعد ذلك ... »

(١) كتاب الراعى لهرماس كان احد الكتب الشائعة جدا ، ان لم يكن اكثرها
شيوعا فى الكنيسة المسيحية خلال القرون الثانى والثالث والرابع . وكان الراى
الارجح فى القرون الاولى ان هرماس كاتبه هو المذكور فى رسالة رومية . ومن
اصحاب هذا الراى اوريجاتوس واوسابيوس وايرونيـموس .

ما ذكرناه آنما يوجب على أن أعطي من يسألني دون فحص . ولكن ماذا يحدث لو أن انسانا تقدم الى طالبنا صدقة ، وانا اعرف أن ذلك الانسان محتال أو أنه سينفقها في أمر غير مشروع كالسكر مثلا ؟ في هذه الحالة اذا تأكد لي خداع ذلك الانسان بالصورة التي أوضحهاها ، فلي أن امتنع عن اعطائه . فلا يمكن أن يكون السيد المسيح قد تعدد بتلك الوصية « كل من سالك فأعطه » أن تساعد الناس على الشر !! .

ويجدر بنا الإشارة بقنا مطالبون بعمل الخير للجميع دون تفرق بين مؤمن وغير مؤمن . قال القديس بولس الرسول « فاذن حسبنا لنا فرصة ، لنتمتع بالخير للجميع ولا سيما لأهل الايمان » (غل ٦ : ١٠) . يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « لسنا ملزمين بالرحمة والاعتناء بالقربين منا والمشاركين لنا في الايمان فقط بل لغير المؤمنين ايضا ... واذا كان حسب امر الناموس اذا رأيت حمارا ساقطا تقيمه من دون أن تعرف صاحبه . فاذا كان هذا بالحيوان واجبا ، فكم بالحرى يجب أن تعنى بالانسان ولا تفحص عنه » . ان السيد المسيح حينما تبعته الجوع في البسريه اطعمهم جميعا . وهكذا ليس من شأن الرحمة أن تفحص عن المستحقين وحدهم . بل ان تعرض عجز المقلين وتسد حاجة المحتاجين .

اما من الناحية الثانية — الكنسية او العامة — فيلزمها التنظيم بما ينطوي عليه من فحص . ان النظام أمر ضروري . قال الرسول بولس لكنيسة كورنثوس « وأما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا انتم ايضا . في كل أول اسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازنا ما تيسر » (١ كو ١٦ : ١) . لاحظ ناحية التنظيم التي وضعها الرسول « في كل أول اسبوع » . فالمسيحية التي تحت على الرحمة تفرق بين المحتاج والكسول . وقد أوضح القديس بولس هذه الحقيقة في حديثه الى كنيسة تسالونيكي « وانتم تعرفون كف يجب أن يتمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم ، ولا اكلنا خبزا مجانا من أحد بل كنا نشغل بتعب وكد ليلا ونهارا لكي لا نثقل على أحد منكم . ليس لأن لا سلطان لنا ، بل لكي نحطيك أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا . فاننا ايضا حين كنا عندكم اوصيانكم بهذا انه ان كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل ايضا » (٢ تس ٣ : ٧ — ١٤) .

اما عن وجوه صرف الصدقة والجهات التي يمكن أن نقدم لها عطائنا ، فهي كثيرة بطبيعة الحال ، وليس من اليسير أن نحصيها . لكننا نستطيع أن نضعها تحت قسمين رئيسيين كبيرين : عطاء للخدمات الجسدية كاطعام جائع وكساء عريان أو الاتفاق على مريض معوز أو ايواء غريب أو فك ضيقة انسان ... الخ ، وعطاء للخدمات الروحية كخدمات التعليم الديني والوعظ في القرى المحرومة مثلا ، أو تعليم الناشئة في مدارس الأحد ، والاتفاق على كتب ومطبوعات توزع مجانا أو بقيمة تكاليفها رغبة في خلاص النفوس .

ان عطاء المال لله يعتبر في حد ذاته خدمة . فقد يعجز البعض عن خدمة الله بالقول لهم اى بالوعظ والتعليم ، لكنهم يستطيعون أن يخدموا الله بأموالهم . لقد ذكر الانجيل المقدس بعض النسوة اللاتي تبعن يسوع « وكن يخدمه من أموالهن » (لو ٨ : ٣) . وهكذا كل من يقدم عطاءه بقصد نشر الوعى الروحى .

ویدخل تحت القسم الثانى سبل يلقى في مقدمتها دون شك سد احتياجات الخدمة في الكنيسة كالتدقيق اللازم للقربان والخمر والزيت والبخور والتشمع والسنور وكتب القراءة واوانى المنبح ... الخ . وايضا العطايا التى يجب ان تقدم لخدام الدين خاصة في البلاد والقرى الفقيرة باعتبارهم ليس لهم مورد آخر للرزق ، لانهم ممنوعون من الاشتغال بهنة اخرى غير الخدمة ، حتى ان قوانين الرسل اوجبت القطع على كل اسقف او قس او شماس يتخذ لذاته عملا عالميا . لقد كان بنو اسرائيل مكلفين بلهر الرب بنفقة الخدمة في الهيكل ويتقدم عشورهم لللاويين ، وهكذا علم الرسل في المهد الجديد . والقديس بولس اوضح ذلك الى كنيسة كورنثوس « العلنا ليس لنسا سلطان ان نأكل ونشرب ... من تجند قط منفقة نفسه ، ومن يعمرس كرما ومن ثمره لا يأكل . او من يرمى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل . العلى نكلم بهذا كاتسان ، ام ليس الناموس ايضا يقول هذا . فانه مكتوب في ناموس موسى لا تكلم ثورا دارسا . العلى الله تهمة اثيران ام يقول مطلقا من أجلنا انه من أجلنا مكتوب لانه ينبغى للحراث ان يحراث على الرحاء وللدارس ان يدرس على الرجاء ان يكون شريكا في رجائه . ان كنا قد زرنا لكم الروحيات افعمظيم ان حصدنا منكم الجسديات ... الستم تعلمون ان الذين يعملون في الاشياء المقدسة من الهيكل ياتكون . الذين يلازمون المنبح يشاركون المنبح . هكذا ايضا امر الرب ان الذين ينادون بالانجيل من الانجيل يعيشون » (١ كو ٩ : ٤ - ١٤) .

عظيمة الصدقة :

عظيمة هي فضيلة الصدقة ومستحقة كل اكرام ، حتى ان الرب الهنا لما اراد ان يصر عن ذلك قال « من يرحم الفقير يقرض الرب وعنه معروفه يجازيه » (ام ١٩ : ١٧) . ارايت كيف ان الرب يظهر ذاته بمظهر المقرض وهو مالك كل شئ لكى يرينا عظم هذه الفضيلة ويطمئن قلوب الرحماء والمحسنين . وفي ذلك يقول ذهبى الفم « من يرحم مسكينا يقرض الله . فاذا اقترض البارئ تعالى منا يكون مديونا لنا . افما ترضى ان يكون الله مديونا لك لا دائنا وانت تعلم ان المديون يوقر من اقترضه والدائن لا يسسحى من المديون !! »

وهى تشفع ليس في المؤمنين وحدهم بل وحتى في غير المؤمنين - فتفتح لهم

باب الايمان وتدخلهم الى حظيرة الخراف . هذا ما فعلته مع كرنيليوس قائد **الملكة الوثني** ، الذي وصفه الكتاب بأنه كان « يصنع حسنات كثيرة للشعب » ، فرأى ملاك الرب في رؤيا وقال له « ياكرنيليوس ... صلواتك وصدقاتك صنعت تذكارا امام الله » وارشدته الى القديس بطرس الرسول حيث نال على يديه نعمة العباد (أع ١٠) .

لقد أدرك قديسو الله عظم هذه الفضيلة فقال ايوب « اب انا للفقراء » (اي ٢٩ : ١٦) . وقال سليمان الحكيم « من يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو ايضا يصرخ ولا يستجاب » (ام ٢١ : ١٣) . وقد أوضح السيد المسيح ذلك في مثل الغنى الذي استوفى خيراته في حياته ، ولم يلتفت الى لعازر الذي كان « يشتهى أن يشبع من الفئات الساقط من مائدة الغنى » . فالأول كان يتعذب والآخر كان يتعزى . وقد طأب الغنى من أليسا ابراهيم ان يرسل لعازر ليبل طرف اصبعه ماء ويبرد لسانه (لو ١٦) . فهل فكر ذلك الغنى — وهو بعد في الجسد — انه سيحتاج الى لعازر ؟! لقد انقلب الحال . وهذا ما سيحدث في الحياة الأخرى . ماذا كان عساه يفعل لو علم انه بماكل بسيط يستطيع أن يتمتع بالراحة في حضن ابراهيم !! لاشك ان ابرارا كثيرين كانوا في حضن ابراهيم ، لكن ذلك الغنى لم يطلب سوى لعازر البلاء ، ذلك المسكين الذي إحترقه ولم يلتفت الى صراخه !!

وهذا ما أوضحه السيد المسيح ايضا في مثل (الوكيل الظلم) الذي امتدح حكمته وأوصانا قائلا « أصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتي اذا غنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية » (لو ١٦ : ٩) . ان هؤلاء الأصدقاء هم الفقراء الذين نتودد اليهم بالصدقات من المال الفاني . **فما اعظم هذه الفضيلة التي تستطيع أن تشتري بها المظال الأبدية !!** والرب يسوع ايضا يعلمنا انه اذا صنعنا وليمة فلا ندعو أصدقاءنا ولا اخوتنا ولا اقربانا ولا الجيران الأغنياء ... « بل اذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، الجدد ، والعرج ، العمى ، فيكون لك الطوبى ... لانك تكافأ في قيامة الأبرار » (لو ١٤ : ١٢ — ١٤) .

وليس ادل على عظم هذه الفضيلة واحتياجنا الى التحلى بها مما اعلنا به رب المجد من أن أعمال الرحمة والصدقة من مؤهلات الدخول الى ملكوت السموات وذلك حينما صور المشهد الأخير يوم الدينونة الرهيب متحدثا الصديقين بقوله « تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ، لاني جعت فاطعمتوني . عطشت فسقيتوني . كنت غريبا فأويتموني عريانا فكسوتوني . مريضا فزرتوني . محبوسا فاتيتم الى ... الحق اقول لكم بما انكم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » (مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) . . . ارأيت يا أخانا كيف أن الصدقة حينها تكرم وتراعى تكون

شفيعا للانسان وسببا في تمتعه بالمجد الابدى ؟ ارايت كيف ان **رب المجد** يسمى **الفقراء** « **أخوته الأصاغر** » ويعتبر ان اى عمل يقدم لهم كأنه مقدم له شخصيا . ارايت سمو هذه الفضيلة . فاحترس ادس يا اخانا لئلا تكون مدققا في نواحي كثيرة في حياتك الروحية . ولكن متفانلا عن اعمال الرحمة والمطاء فتخسر الجمالة وتفقد المسيح . انظر يا اخى الى أخوتك الفقراء بنظرة مشبعة بالمحبة والرحمة وصدق مواعيد الله ، فترى المسيح فيهم ، ولا تشابه الاشرار ، فقد كان احتجاجهم عن تقصيرهم في عمل الرحمة ، انهم لم يروا يسوع المسيح جانبا ، او عطشان او غريبا او عريانا ... **قال القديس يوحنا ذهبى الفم** « **الفقر يمد يده متسولا ولكن الله هو الذى يقبل صدقتك** » .

لقد فهم القديسون سمو هذه الفضيلة واقتدارها ومن ثم توسلوا الى الآخرين بقبول عطائهم . هذا ما أورده معلمنا بولس في رسالته عن اهل كدونية القديسين بخصوص المطاء « **ملتسين منا بطلبة كثيرة ان نقبل النعمة وشركة الخدمة التى للقديسين** » (٢ كو ٨ : ٤) . انت تظن حينما تقدم شيئا للفقير انك تصنع معه احسانا ، لكن الواقع انه يتيح لك فرصة نوال بركة عظيمة . هذا ما فعله المكثونيون مع بولس حينما التمسوا منه بطلبة كثيرة ان يقبل عطائهم ، لانهم تيقنوا من البركة العظيمة التى تنتظرهم .

الا فلتعلم يا اخانا ان غنى هذا العالم وثروته وعملته المتداولة لا تصلح للتعامل بها فى السماء الا بتحويلها عن طريق الفقراء . والمظالم الابدية التى سوف نستريح بها انما تقام بايدى المساكين والموزين ...

اما آباء الكنيسة وقديسوها ، الذين وقفوا على سمو هذه الفضيلة واقتدارها ، فقد ترنموا بعظمتها وفاعليتها :

قال القديس كبريانوس الاسقف والشهيد من آباء القرن الثالث الميلادى « **يتكلم الروح القدس فى الاسفار المقدسة قائلا بالصدقة والايمان تتطهر الذنوب** (أم ١٦ : ٦) ... وبالإضافة الى ذلك يقول ثانية كما ان الماء تطفىء النار ، كذلك الصدقة تخدم الذنوب (سيراخ ٣ : ٣٠) . وهنا أيضا يظهر الأمر ويتضح . فكما ان بماء جرن النجاة (المعمودية) تطفأ نار جهنم ، كذلك بالصدقات وأعمال البر يخمد لهيب الذنوب . ولانه فى المعمودية يوهب محو الذنوب مرة واحدة للجميع ، فان العمل المستمر الذى بلا انقطاع — تابعا مثال المعمودية — يهب رحمة الله مرة أخرى . والرب يعلم ذلك فى الانجيل . لانه حينما أظهر التلاميذ على انهم يملكون بدون غسل أيديهم أولا ، اجاب قائلا: الذى صنع الخارج صنع الداخل أيضا . بل اعطوا ما عندكم صدقة وهو ذا

كل شيء يكون نقيًا لكم (لو ١١ : ٤٠ ، ٤١) ... وروغائيل الملاك يشهد بذلك ويحث على أن الصدقة يجب أن تعطى باختيار وبسخاء قائلا : الصلاة جيدة مع الصوم والصدقة ، لأن الصدقة تنجي من الموت وتطهر من الذنوب (طوبيا ١٢ : ٨ ، ٩) . أنه يشير إلى أن صلواتنا وأصوامنا هما أقل نفعا مما لم يعانا بالصدقة ... وبعد أن قلق الملك نبوخذ نصر بحلم مزعج أعطاه دانيال — لينجو من القُرور — علاجًا به يفوز بالمعونة الإلهية قائلا : فارق خطاياك بالبر وأتاكم بالرحمة للمساكين لعله يطال أطمئنانك (دا ٤ : ٢٧) .

ويقول القديس باسيليوس الكبير « من أجل أنك لم تُرحم الآخرين فلا يصنع بك رحمة أيضا . ولأنك أغلقت باب بيتك إزاء المساكين فلا يفتح لك الله باب مأكوته ، وكما أنك أمسكت بالخيز عن البائسين حينما كانوا يطلبونه منك هكذا يمسك الله عنك الحياة الأبدية التي تطيبها . أنكم ستحصدون ما قد زرعتم . فإن كنتم قد زرعتم المرارة فستحصدون المرارة . وإن زرعتم القساوة فلا تحصدون سوى الاتعاب القاسية والعذابات الهائلة . وإن كنتم هربتم من الرحمة فالرحمة تهرب منكم . وإن رذلتم الفقراء فبرئكم ذاك الذي صار فقيرا حبا بكم ... » .

أما القديس يوحنا ذهبى الهم فيقول « ليتنا لا نطفيء مصابيحنا بل نحفظ بها مضاءة بأعمال الصدقة لأنه هكذا يحفظ ضوء هذه النار . ليتنا نجعل الزيت في آتيتنا ونحن بعد في هذا العالم لأننا لا يمكننا أن نشتريه بعد رحيلنا إلى ذلك المكان الآخر . ولا يمكننا أن نحصل عليه في أى مكان سوى أيدي المساكين . لنجعله بكثرة هنا إن رغبنا في الدخول إلى مكان العرس ، وإذا لم نفعل علينا أن نبقى خارجه . لأنه من المستحيل ، من المستحيل ، حتى أن أتمننا عشرة آلاف من الأعمال الحميدة أن ندخل إلى الملكوت بدون فعل الصدقة » ... ويقول أيضا معلقا على قول الرب أنى أريد رحمة لا ذبيحة « الرب يفضل الرحمة على الذبيحة لسبب معقول . فإن ذاك مذبح مائت وكل ما يوضع عليه سيصبح مأكلا للنار وينتهى إلى رماد ويختلط دخانه بالهواء . أما هنا (الرحمة) فلا يوجد شيء مثل ذلك لأن الآثار التي تحملها تختلف . إن كلمات الرسول بولس توضح كنوز الرحمة للمساكين فيما كتب للكورنثيين ... هلم بنا يا أحبائي اذن نقدم ذبائح يومية على هذا المذبح ، لأن هذه الذبيحة (الصدقة) لهى أعظم من الصلاة والصوم وأمر كثيرة غيرها ... » .

أما القديس أغسطينوس فيقول « يجب ألا نكتفى بالصلاة بل نقدم صدقات أيضا ... اكسر خبزك للجوعان وادخل المساكين ومن لا ماوى لهم إلى بيتك ، وإذا رأيت عريانا اكسه ... فإتاك بذلك تقدم صلاتك في ثقة

وتجعل لها جناحين ... » . أما القديس يوحنا التبائسي (الاسيوطي) فيقول « محب الفقراء يكون كمن له شفع في بيت الحاكم . ومن يفتح بابه للمعوزين يمسك في يده مفتاح باب الله » .

بعض بركات العطساء :

إذا كانت فضيلة الصدقة عظيمة كالنحو الذي فكرناه ، فلا شك أن بركات الرب لمقدميها عظيمة للغاية .

+ رأينا فمضى كيف أن عمل الرحمة والصدقة يورث غناؤه السماء (١) .
قال المرتل « مضبوط هو الرجل السذى يتراف ويقرض ويدبر أموره بالحق .
لأنه لا يتزعزع الى الدهر ... فرقى اعطى المساكين بره يدوم الى الابد قرنه ينتصب بالمجد » (مز ١١٢ : ٥ - ٩ ، ٢ كو ٩ : ٩) . قال القديس يوحنا الاسيوطي « محب الفقراء يكون كمن له شفع في بيت الحاكم . ومن يفتح بابه للمعوزين يمسك في يده مفتاح باب الله » .

+ والامر ليس متعلقا بالحياة الأخرى وحدها ، ولكنه متعلق بحياتنا في هذا الدهر أيضا . فنحن نعلم من الكتاب المقدس ومن خبراتنا الخاصة والعامة أن من عمل الصدقة لن يسقط أبدا حتى لو مرت السنون والأعوام . بل أنه يتقدم الانسان ليكون له عضدا ونصيرا في أوقات الشدة . وهكذا يقول سليمان الحكيم « أرم خبزك على وجه المياه فانك تجده بعد أيام كثيرة » (جا ١١ : ١) .

+ والصدقة تنجي وتخلص من الشرور والأمراض . وما أروع ما قاله داود النبي في هذا الصدد « طوبى لمن يتعطف على المسكين والفقير ، في يوم الشر ينجيه الرب . الرب يحفظه ويحييه ، ويجعله في الأرض مضبوطا ، ولا يسلمه الى أيدي أعدائه الرب يعينه على سير وجهه . رتبت مضجعه كله في مرضه » (مز ١٠٤ : ١ - ٣) .

+ وهي تنجي من الضيقات بل وترد غضب الله . فقد ورد في كتاب بستان الرهبان قصة عن أحد الإباء ، أنه في زمان مجاعة تصدق بثلاث خبزات ، كانت كل ما عنده . وكان يتوقع أن يموت جوعا بعد أن تصدق

(١) هذا الكلام بالنسبة للمؤمنين . أما بالنسبة للانسان الذي لم يدخل من باب الايمان ، فحتى لو قدم كل ثروته فانه لا يستطيع أن يشتري بها الملكوت . لكننا نتكلم عن المؤمنين الذين يقدمون أعمالا حسنة مكمين ايمانهم الحى ، ومظهرين حسم للرب .

بها . ولكنه مع ذلك أتم الوصية بشجاعة . فجاء صوت من السماء يعلن له انه لا يكون في مده حياته غلاء من أجل صدقته .

+ **وهي تنجي من الخطية** . يقول يشوع بن سيراخ « النار الملتهبة يطفئها الماء ، وكذلك الصدقة تخدم الذنوب » (١) « (س١ : ٣ : ٣٠) .
قال دانيال النبي للملك نبوخذ نصر « فارق خطاياك بالبر وأتاك بالرحمة »
(دا ٤ : ٢٧) . ويقول القديس يوحنا ذهبى الهم « متى داهمتك خسارة أم أصابك حزن أم مرض أم سرقة أم ظلم أم مصيبة من المصائب الداهية ، فاعط عنها صدقة واشكر الله الذى امتحنك بهذه التجربة ، وستعابن بنىص النعمة التى تتقاطر عليك من لدن البارى » . **قال القديس اغسطينوس (الومع أن جميع آثامنا قد غفرت فى جرن التجديد (المعمودية) ، غاننا مستنقع فى ضيقات هائلة ... الصدقات والصلوات تطهر من الذنوب » .**

+ **وهي تنجي حتى من الموت** كما قال طوبيت البار فى وصيته الى طوبيا ابنه (طوبيت ٤ : ١١) . ويحفظ لنا التاريخ المعاصر قصة عجيبة . فقد كان فى جبلنا هذا احد الصيارف بمدينة ادنو بصعيد مصر محسنا جدا ، وكان يحيا حياة تقوية مقدسة ، وقد بارك الرب كل ما عنده نتيجة ذلك . كان ينفق على اربعمائة عائلة ويقدم لها المساعدات . ومن مظاهر تقواه انه — لما تقدمت به السن وانحنى ظهره — كان يرغب الذهب الى بيت الله راكبا عربته الخاصة . وكان يقول « كيف اذهب الى بيت الله راكبا ؟ » وهكذا كان يذهب ماشيا على قدميه على الرغم من بعد المسافة بين منزله والكنيسة . مرض هذا الانسان مرض الموت وهو فى سن التسعين ، وعاده اطباء كثيرون ، فكان تقريرهم انه يعانى من مرض الشيخوخة — ولا فائدة . سحب لون وجهه ، ولم يعد فيه ما يدل على الحياة سوى نسبات خافتة تتردد فى صدره . وقد أبلغ الأطباء ابنه الأكبر — وكان آنذاك شيخا فى الخامسة والسبعين من عمره — بأنه لا فائدة . بل حددوا موعد وفاته . بل أكثر من هذا ، لقد أقدم أحدهم وحرر شهادة الوفاة . وهكذا رقت الأسرة لجنازته وأعدوا كل شيء . حضر الممزون وتجمع الأقارب ، والكل يتوقع انتقال الرجل بعد دقائق . وبينما الناس فى قياساتهم المسلية — اذا بمعجزة قد حدثت . فقد ظهر ملاك الرب للرجل البار وقال له « من أجل قلبك الرحيم والعائلات التى تعملها ، قال الرب انه منك خمس عشرة سنة كلاسنيين التى منحها الرب لحزقيا ملك يهوذا » . ولما دخل ابنه الأكبر اليه وجده جالسا

(١) رحمة الفقراء تساعد على استجلاب رحمة الله ، طبقا لقوله « طوبى للرحماء فانهم يرحمون » . ولكن لا مغفرة طبعيا بدون توبة . فالذى يرحم غيره يرحمه الله بنعمة تساعد على التوبة لينال مغفرة لخطايه .

معاق وقد استحال وجهه الشاحب الى وجه يجرى فيه الدم والحياة .
وهكذا مجد الجميع الرب وعظموا عمل الرحمة . وفعلوا عاش ذلك الرجل
خمس عشرة سنة بعد ذلك الحادث . . . قال القديس يوحنا ذهبى الفم
« الانسان المحكوم عليه بالموت الا يدفع كل امواله لينجو ؟ وانت الا تدفع
شيئا لتنجو من الموت الابدى ؟! » .

+ ومن يعطى المسكين ويرحمه لا يحتاج هو ولا ذريته كما قال داود في
المزمور « الشرير يقترض ولا ينقذ ، اما الصديق فيتراف ويعطى . . . كنت
غنى والآن تسخت ولم ار صديقا تخلصني عنه ولا ذرية له تلمس خبزاً . اليوم
كله يتراف ويقرض ونسله للبركة » (مز ٣٧ : ٢١ - ٢٦) . وقال الحكيم
« من يعطى الفتير لا يحتاج ، ولن يحجب عنه عينيه لعنات كثيرة »
(ام ٢٨ : ٢٧) .

+ ومن بركات العطاء بركة الفنى المادى . قال الحكيم « اكرم الرب من
مالك ومن كل باكورات غلاتك فتعطى خزائنك شبعاً وتفيض معاصرك
مسطراً » (ام ٣ : ٩ ، ١٠) . وقال « الصالح العين هو يبارك لانه يعطى
من خبزه للفقير » (ام ٢٢ : ٩) (انظر ملا ٣ : ١٠ ، ١١) . . . والواقع ان
الكفاية من جنس العمل « اعطوا تعطوا » . كيلا جيداً ملبداً مهزوزاً فانضاً
يعطون فى احضانكم . لانه بنفس الكيل السذى به تكيلون يكال لكم »
(لو ٦ : ٣٨) . وليس ادل على ذلك من ارملة صيدا التى آوت ايليا فى
زمن القحط . فقد استفادت تلك الاملة استفادة كبيرة باطعام رجل الله ، اذ
ظلت البركة فى بيتها الى ان اعطى الرب مطراً على الارض ، بل فوق كل
هذا اعاد النبى الحياة الى ابنها (١ مل ١٧) . ويشبه القديس اغسطينوس
يد الفقير بارض جيدة تلتى بلثمار كثيرة . ويقول القديس باسيليوس الكبير
« ان الخير الذى يفعل بالقرب يرتد الى فاعله . . . ان الامر يحدث فى خيرات
الارض ، كما يحدث فى مياه الابار التى تزداد نقاوة وغزارة بمقدار ما يؤخذ
منها . اما اذا لم يؤخذ منها فانها تفسد » .

+ ويكفى شعور المعطى بالسعادة الداخلية ، انه اسعف ملهوها او اغاث
منكوبا او اراح انسانا بائسا او كان سببا فى اطعام نفس جائعة او ادخال
السرور الى قلب كسير . . . كل هذا يضى على الانسان سعادة مجيدة ويشيع
فى قلبه بهجة وغبطة . قال الفيلسوف سنيكا « لا يمكن ان تعيش سعيداً اذا
عشت لنفسك فقط » .

+ ومن الناحية العملية فان من يفك ضيقة انسان متضايق لا يعدم انسانا
يفك ضيقته فى ساعة شدة وضيق . ومن اسعف محتاجاً او نظر الى بائس
فسوف يسخر له الله انسانا يرحمونه دون ان يدري .

+ وهناك بركات كثيرة نكرها الرب لحافظى وصاياه ومنها فضيلة
الصدقة (انظر لا ٢٦ : ٣ - ١٣ ، تث ٢٨ : ١٠ - ١٤) .

الذمائم بالعطاء

في المهد القديم :

منذ أن كانت هناك شريعة مكتوبة ، والله قد أعطى وصايا صريحة بالعطاء للفقراء والمحتاجين . قال شعبه بلسان موسى النبي «ست سنين تزرع أرضك ، وتجيع غلتها ، وأما السابعة فتريحها وتركها ليلكل فقراء شعبك ، وفضلتهم تأكلها وحوش البرية كذلك تفعل بكرمك وزيتونك » (خر ٢٣ : ١٠ ، ١١) . وقال أيضا « إذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده » (لا ٢٥ : ٣٥) . وجاء في سفر التثنية « أن كان خيك فقير أحد من أخوتك في أحد أنوابك ، في أرضك التي يعطيك الرب الهك ، فلا تقس قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير ، بل افتح يدك له ... أعطه ولا يسوء قلبك عندما تعطيه ، لأنه بسبب هذا الأمر يباركك الرب الهك . لذلك أنا أوصيك قائلا : « افتح يديك لأخيك المسكين والفقير في أرضك » (تث ١٥ : ٧ - ١١) . وجاء أيضا في نفس هذا السفر « إذا حصدت حصيدك في حقك ونسيت حزمة في الحقل فلا ترجع لتأخذها . للغريب واليتيم والأرملة تكون ، لكي يبارك الرب الهك في كل عمل يديك . وإذا خبطت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك . للغريب واليتيم والأرملة يكون . إذا قطفت كرمك فلا تعلقه وراءك . للغريب واليتيم والأرملة يكون » (تث ٢٤ : ١٩ - ٢١) .

وتكلم الرب بلسان أشعيا النبي عن الصوم المقبول لديه تعالى قال « أن تكسر للجائع خبزك ، وأن تدخل المساكين القاهنين إلى بيتك . إذا رايت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضي عن لحمك . حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتثبت صحتك سريعا وبصير برك أمامك ، ومجد الرب يجمع ساقتك . حينئذ تدمو فيجيب الرب . تستغيث فيقول هانذا » (اش ٥٨ : ٧ - ٩) . وقد أوصى طوبيت ابنه طوبيا قائلا « تصدق من مالك ولا تحول وجهك عن الفقير فيكون أن الله لا يصرف وجهه عنك . كن رحوما حسبما تستطيع ... فإنه يكون لك كنز احسان ليوم الاحتياج ، لأن الصدقات تنجي من الخطيئة والموت ، وتنقذ النفس من الذهاب إلى الظلمة . الصدقة تكون لصانها هدبة مقبولة عند الله العلي » (طوبيت ٤ : ٧ - ١٢) .

ولم يكتف الرب باعطاء هذه الوصايا لشعبه ليعتنوا بالفقراء ، بل توعد من يغفل عنهم أو يظلمهم بعقوبات صارمة . ويكفي أن نعرف من ضمن الأمور التي استوجبت سدوم بسببها الحرق بنار وكبريت ، أنها لم تشدد يد الفقير

والمسكين (حز ١٦ : ٤٩) . وقال بلسان موسى النبي « لا تظلم أجيرا مسكينا وفقيرا من أخوتك أو من الغرباء الذين في أرضك في أبوابك . في يومه تعطيه أجرته ، ولا تغرب عليه الشمس لانه فقير واليه حامل نفسه . **قللا يصرخ عليك الى الرب فتكون عليك خطية** » (تث ٢٤ : ١٤ ، ١٥) . وقد لاحظ ذلك داود النبي فقال « قد علمت أن الرب يجرى حكما للمساكين وحقا للبتائسين » (مز ١٤٠ : ١٢) . كما قال أيضا « التفت (الرب) الى صلاة المضطر ولم يرذل دعاءهم » (مز ١٠٢ : ١٧) .

بل أكثر من هذا نجد أن الرب من عطفه على الفقراء ، أقام نفسه أبا لليتامى وقاضيا للأرامل ، يعنى بهم ويقضى حوائجهم ويقتص من ظالمهم اذ ليس لهم انسان يعنى بهم . قال داود النبي « **أبو اليتامى وقاضى الأرامل الله في مسكن نفسه** » (مز ٦٨ : ٥) . وقال أيضا « الرب يحفظ الغرباء ، يعضد اليتيم والأرملة » (مز ١٤٦ : ٩) . كما قال « تميل أذنك لحق اليتيم والمنسحق لكى لا يعود أيضا يربعبهم انسان من الأرض » (مز ١٠ : ١٧ ، ١٨) . وقد اكد يشوع ابن سيراخ نفس هذا المعنى فقال « **كن لليتامى كلب ولأمهم ككلك رجلها ، فتكون كابن العلى ، وهو يحبك أكثر مما تحبك أمك** » (سيراخ ٤ : ١٠) . ولما وبخ أعظم مواليد النساء الجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه وحثهم على أن يصنعوا اثارا تليق بالتوبة ، سألوه عن كنه هذه الثمار وما يفعلونه فكان جوابه عليهم « من له ثوبان فليعط من لبس له ، ومن له طعام فليعمل هكذا (لو ٣ : ٧ - ١١) .

في المهد الجديد :

ما أكثر ماقاله رب المجد خاصا بالصدقة والحب على الفقراء : « **بيعوا مالككم واعطوا صدقة** . اعملوا لكم أكياسا لا تنفنى . وكثرا لا ينفذ في السموات حيث لا يقرب سارق ولا يبلى سوس . لانه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضا » (لو ١٢ : ٣٣ ، ٣٤) . . . « **اعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شيء يكون نقيا لكم** » (لو ١١ : ٤١) . . . « **أحبوا أعداءكم واحسنوا واقترضوا وانتم لا ترجون شيئا فيكون أجركم عظيما وتكونوا بنى العلى** . مانه منعم على غير الشاكرين والأشرار . فتكونوا رحماء كما أن أباكم أيضا رحيم » (لو ٦ : ٣٥ ، ٣٦) . وبعد أن أورد مثل الفنى الذى اخسبت كورته ، الذى نعتة الله بالفباء ، قال « **وهكذا الذى يكثر لنفسه وليس هو غنيا لله** » (لو ١٢ : ١٦ ، ١٦ - ٢١) . . . وفي مثل الفنى ولعازر - وقد اشرنا اليه قبل - أوضح الرب أن خطية ذلك الفنى كانت أنه « **يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفها** » ، بينما تغافل عن لعازر المسكين الذى « **طرح عند بابيه مضروبا بالقروح ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الفنى** » (لو ١٦ : ١٩ - ٣١) . . . والقديس لوقا الذى أورد هذا المثل في

انجيله مهد له بقوله « وكان الفريسيون ايضا يسمعون هذا كله وهم محبون للمال فاستهزأوا به فقال لهم ... » (لو ١٦ : ١٤) .

وقد انعكست تعاليم الرب يسوع عن الصفة على رسلا وتلاميذه ، فوضح ذلك في كتاباتهم . فقال القديس بولس الرسول في خطبة وداعية الى قسوس انفس « متذكرون كلمات الرب يسوع انه قال مقبوط هو السخط اكثر من الاخذ » (ا ع ٢٠ : ٣٥) . وكتبه الى تيموثاوس في الرسالة قائلا له « اوص الاغنياء في الدهر الحاضر ... لن يكونوا اسخياء في السخط كرماء في التوزيع ، مخبرين لانفسهم اسخياء حسنا للمستقبل ، لكن يمسكوا بالحياة الابدية » (١ تي ٦ : ١٧ - ١٩) . وفي ختمة رسالته الى المبرانيين قال لهم « لتثبت المحبة الاخوية . لا تسوا اضافة الغراء لان بها افسد لكس ملائكة وهم لا يدرون . افكروا المقيدون كلكم مقيدون معهم ، والمذلون كلكنم ايضا في اجسد ... ولا شك ان المحبة الاخوية لا تظهر الا بالأعمال الايجابية ، ومنها أعمال الرحمة التي فكر من بينها الرسول اضافة الغراء . وقد حث المؤمنين على مشاركة المتضيقين والمظلولين لاساسهم . وبما يوضح ان فرض الرسول كان حث المؤمنين على أعمال الرحمة ، ما فكره بعد ذلك مباشرة « فتكن سيرتكم خالية من محبة المال » (عب ١٣ : ١ - ٥) .

لما يعقوب الرسول فقد تحدث طويلا ، وفي روعته ، عن أعمال الرحمة ، وقد لخص ذلك في قوله « اللبقة الطاهرة النقية عند الله الاب هي هذه ، اغتقاد الينامى والارامل في شيعتهم ، وحفظ الاتساع نفسه بلا دنس من العالم » (يع ١ : ٢٧) ... لاحظ انه قدم عمل الرحمة على حفظ الاتساع نفسه بلا دنس !! ونفس هذا الرسول حمل على أولئك الذين كتب اليهم رسالته لانهم اهانوا الفقير (يع ٢ : ٦) .

المعطاء في الكنيسة الأولى :

ان الايمان بيسوع المسيح ربنا والامتلاء من روحه القدوس جعل المؤمنين يشعرون ان لهم « قلبا واحدا ونفسا واحدا » (ا ع ٤ : ٣٢) . وانهم اعضاء معا في اخوية مختارة ، بل اعضاء في جسد واحد . لذلك لم يكن امرا غريبا ان يحسوا باحساس بعضهم ، ولم يكن سوى العذل لافضلة البعض يجب ان تنتقل لتخفف احتياجات الآخرين « هكذا لم يكن لحد نقول ان شيئا من امواله له بل كان عندهم كل شيء مشفركا » (ع ٤ : ٣٢) .

ويصف كاتب سفر الأعمال ملكات عليه الكنيسة فيقول « ونعمة عظيمة كانت على جميعهم اذ لم يكن فيهم احد محتاجا ، لان كل الذين كانوا اصحاب حقول او بيوت كانوا يبيعونها ويأخذون بقران الخبثات

ويضعونها عند أرجل الرسل . فكان يوزع على كل واحد كما يكون له .
« (أع : ٤ : ٣٣ - ٣٥) ، (انظر أيضا أع : ٤٤ : ٤٥) .

ولما كثر عدد المؤمنين وكثرت معه الهبات والتبرعات ، وجد الرسل انه ليس حسنا أن يتركوا كلمة الله ويخدموا موائد .. وهكذا اقاموا طبقة خاصة من الخدام (الشمامسة) ليقوموا بهذه المهمة حتى لايففل عن أحد في الخدمة اليومية . (أع ٦ : ١ - ٨) . هكذا كان العطاء ظاهرا في كنيسة المسيح منذ تأسيسها ككلر أسكسى في خدمتهم . ولا يمكن أن يجهل كل دارس لتاريخ الكنيسة مدى تأثير العطاء في تاريخها المبكر .

وقد اهتم القديس بولس الرسول في رحلاته الكرازية بخدمة الفقراء وقال في رسالته الى أهل غلاطية عن ذلك « وهذا عينه كنت اعتنيت أن افعله » (غل ٢ : ١٠) . وفي مدينة قيصرية - حيث كان القديس بولس مقبوضا عليه - وقف يدافع عن نفسه امام الوالى قائلا « وبعد سنين كثيرة جئت اصنع صدقات لأمتى وقرايين » (أع ٢٤ : ١٧) . وفي رسالته الى العبرانيين ، بعد أن حدثهم عن الصلاة والتسبيح ، استذكر مذكرا اياهم بأعمال الرحمة بقوله « ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأن بذباتك مثل هذه يسر الله » (عب ١٣ : ١٦) (انظر في ٤ : ١٧ - ١٩) .

من هم المطالبون بالعطاء :

ليس الأغنياء وحدهم هم المطالبون بالعطاء ، بل الجميع دون تمييز حتى رجال الدين الذين يقبلون العطاء من الناس . يقول الرسول « فاذن حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير » (غل ٦ : ١٠) . ويقول في موضع ثان عن المسيحيين في مكدونية « ثم نعرفكم ايها الاخوة نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية ، انه في اختبار ضيقة شديدة فاض وغور فرحهم وفقرهم العميق لغنى سخائهم ، لانهم اعطوا حسب الطاقة ، أنا اشهد وفوق الطاقة » (٢ كو ٨ : ١ - ٣) . فعلى الرغم من أن فقرهم كان عميقا لكن سخاءهم كان وافرا .

ومن خير الأمثلة التي أوردها الكتاب مثل الارملة التي دفعت الفلسطينيين - كل معيشتها - ومدحها الرب ، وقال انها دفعت أكثر من الأغنياء لانها دفعت من أعوازاها . يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « أن الكلام عن الصدقة ايها الاخوة لا يشمل الأغنياء والعظماء فقط ، بل الفقراء والمساكين ايضا ، لأن فيه نفعا عظيماً وخالصا للجميع . ولو كان أحد يعتمد في معيسته على التسول فاليه ينتهى الخطاب عن الصدقة ، ويكون موافقا له جدا . وذلك يعلمنا بأنه لا يوجد أحد محتاجا وفقيرا بهذا المقدار حتى أنه لا يوجد لديه من حطام الدنيا ما يساوى فلسين !! » .

كيف نقدم العطاء؟

حيثما جلس السيد المسيح امام خزانة العطاء في الهيكل ، كان ينظر
« كيف يلقى الجميع نحاسا في الخزانة » (مر ١٢ : ٤١) . فآله لايهمه مقدار
ما نقدمه او نوعه ، لكن يهتم أكثر ما يهتم مشاعرنا ونحن نقدم تقدماتنا
ونعطي عطائنا . لقد قدم كل من قايين وهابيل قربانا لله لكن الرب
نظر الى هابيل وقربانه . ولكن الى قايين وقربانه لم ينظر « (تك ٤ :
١ ، ٥) . وهكذا يظهر بوضوح ان الله نظر الى المعطي قبلما ينظر الى العطيّة
ذاتها !!

لقد تكلمنا عن هذه النقطة بأسهاب في موضوع « كيف »
في هذا الكتاب ... والآن نعود ونسأل أنفسنا ، كيف نقدم عطائنا ؟

(١) وفاء لدين :

حينما نقدم عطائنا لله يجب الا نشعر اننا متفضلون ، بل نشعر اننا
نقدم لله جزءا مما اعطاه آياتنا . قال داود بعد ان جمع الكثير من الذهب
والفضة لبناء بيت الله « (لأن منك الجميع ومن يدك اعطيناك » (١ اي
٢٩ : ١٤) . لنذكر اننا نسدد ديننا في أعناقنا للرب — جزءا يسيرا من هذا
الدين . **لقد اعطانا الله الكل فهل لا نعطيهِ جزءا من هذا الكل ؟** ... ان
عطية الله لنا ليست قاصرة على النواحي المادية فحسب ، بل تمتد الى ما هو
اسمى من ذلك بكثير — الفداء العظيم ، الذي صنعه لنا ابن الله الوحيد ، حينما
قدم ذاته ذبيحة كفارة عنا « عالمين انكم افديتم لا بأشياء تفنى بفضة او ذهب
من سهرتكم الباطنة التي تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلاعيب
ولا دنس دم المسيح » (١ بط ١ : ١٨ ، ١٩) . وعندما تكلم بولس الرسول
عن عطاء المكذوبين ، لفت النظر ووجه الأنظار الى عطية الله العظمى —
الى تنازل المسيح الفائق والى سخائه الذي أمامه يتضائل عطاء المكذوبين
« فانكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح انه من اجلكم افترق وهو غنى
لكي تستغنوا أنتم بفقره » (٢ كو ٨ : ٩) ... انه لا يجب علينا فقط ان
نقدم عطايانا لله بل ان نصلى الى الله كي يقبل تقدماتنا . **انه متى قبل الفقير
صدقتك فقد صنع معك احسانا** . وقد عبر معلمنا بولس عن ذلك بقوله « (لأن
اهل مكذوبة واخائية استحسنا ان يصنعوا توزيعا لفقراء القديسين الذين
في اورشليم ... فاطلب اليكم ايها الاخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح
ان تجاهدوا معي في الصلوات من اجل الى الله ... لكي تكون خدمتي
لاجل اورشليم مقبولة عند القديسين » (رو ١٥ : ٢٧ — ٣١) .

(٢) بروح المحبة :

المحبة في كل امر وكل فضيلة وكل ممارسة هي بمثابة الروح للجسد .
اذا غارت الروح الجسد يصير لتوه جثة هامدة ، سرعان ما تصبح جيفة نتنه . هكذا كل فضيلة تخلو من روح المحبة هي مرفوضة لدى الله . ان المسيحية تسمو بمشاعرنا لكي نحس بالام الآخرين « فرحا مع الفرحين وبكاء مع الباكين » . لقد قيل عن الرب انه « يرى لشعفاتنا » (عب ٤ : ١٥) . **والمؤمن الذي تخلو حياته من المحبة الاخوية يبرهن على انه ليس تلميذا للرب الذي قال « بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي ان كان لكم حب بعضا لبعضى » (يو ١٣ : ٣٥) .** ولا تعتبر محبة ان ترى اخاك محتاجا وتغلق احشائك دونك « **واما من كان له معيشة العالم ونظر اخاه محتاجا واغلق احشائه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه . يا اولادى لانحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق » (١ يو ٣ : ١٧ ، ١٨) . . .** عينا ان ننشبه بابينا السماوى الذى صنع قديما لوالدينا الاولين اتمصه والبسهما بعد ان تعريا من ثوب النعمة (تك ٣ : ٢١) . يؤيد هذا قول معلمنا بولس الرسول « **ان اطعمت اموالى واسلمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئا »** (١ كو ١٣ : ٣) .

وكما قدمنا ، ان الرب لحكمة سامية مقدمة سمح بانفوارق الماديه بين الناس حتى يعطى للبشر فرصة للتدريب على الفضائل واكتسابها . ولا شك ان المحبة ناتى في مقدمة الفضائل التى يريدها الرب ان نغتنبها ونرتبط بها . وحينما ننظر فى حب الى اخوتى المساكين اتحرك بالشفقة نحوهم لان فى هذه الحالة انظر اليهم لا كمساكين بل كاخوة بل تربطنا مساويا المحبة التى يدعوها الرسول « رباط الكمال » . اما من جهة العطاء الذى نقدمه للرب فواضح انه ان لم يكن صادرا عن قلب مغمم بالحب فهو مرفوض بلا شك « **ان اعطى الانسان كل ثروة بينه بدل المحبة تحتقر احتقارا »** (نش ٨ : ٧) .

(٣) باختصار :

يجب الا يكون العطاء بسبب الخجل او بدافع الالاح ، او من اجل شخص ، بل باختيار . . . « **ليس عن حزن او اضطراب »** (٢ كو ٩ : ٧) . وقد ذكر الرسول بولس عن المكدونيين انهم اعطوا « **من تلقاء انفسهم »** (٢ كو ٨ : ١٣) .

(٤) فى انكار ذات :

وثمة نقطة اخرى حمل السيد المسيح عليها لانبا كانت آفقه اليهود فى عصره ، تلك هى حب الظهور والمجد العالى ومديح الآخرين . ومبدأ انكار

الدات (١) من المبادئ الهامة التي اهتم رب المجد ان يعلمنا اياها ، ويسير عليه المسيحيون الاصليون ، حتى ان معلمنا بولس يثبت هذا المبدأ في اذهان الكولوسيين فيقول لهم « وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس . عالمين انكم من الرب ستتلخون جزاء الميراث » (كو ٣ : ٢٣ ، ٢٤) . هذا من الناحية العامة .

أما بخصوص العطاء والصدقة فقد قال الرب يسوع « احترزوا من ان تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم ، والا فليس لكم اجر عند ابيكم الذي في السموات . فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجمع وفي الأزقة لكي يجدوا من الناس . الحق اقول لكم انهم تد اشنوفوا اجرهم . وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شماك ما تفعله يمينك ، لكي تكون صدقتك في الخفاء . فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ١ - ٤) . ووصية السيد بان « لاتعرف شماك ما تفعله يمينك » كتابه عن رغبة الرب في شدة انكارنا لخواتنا . انه لا يقصد الا يرانا أحد . فحتى لو رأنا كل اناس ونحس لا نقصد الى حب الظهور ومديح الآخرين ، فان ذلك لا يؤثر في قبول الرب لعطايانا . يقول القديس يوحنا ذهبي الفم « متى صنعت صدقة ولم ترد اظهارها للناس فلا تخف . انه لن يبصرك مبصر ولو رفعك العالم بأسره ، لأنك لم تفعل ذلك رغبة في مدح باطل . لأن السيد المخلص لم يقل لا تفعلوا صدقتكم امام الناس فقط ، بل الا تتظاهروا بها أمامهم » .

(٥) بسخاء ويقدر الطاقة :

ان كنا أولاد الله ، فعلياً ان نتشبه بابينا السماوي الذي قيل عنه انه « يعطي الجميع بسخاء ولا يعير » (يع ١ : ٥) . ومنذ القديم أوصى الرب شعبه بذلك « وتعمل عيد أسابيع للرب الهك ، على قدر ما تسمح يدك ان تعطى كما يباركك الرب الهك » (تث ١٦ : ١٠) . وقد تحدث القديس بولس مراراً عن هذه الناحية . فقال في وصية الى تلميذه تيموثاوس « أوصي الاغنياء في الدهر الحاضر . . . ان يصنعوا صلاحاً وان يكونوا اغنياء في أعمال صالحة ، وان يكونوا اسخياء في العطاء كرماء في التوزيع » (١ تي ٦ : ١٧ ، ١٨) . واوصى أهل رومية قائلاً « المعطي فسخاء » (رو ١٢ : ٨) . ثم تحدث الى الكورنثيين عن مؤمى مكدونية فقال « ثم نعرفكم ايها الاخوة نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية ، انه في اختبار ضيقة شديدة فاض وغور فرحهم وفقرهم العميق لغنى سخائهم . لانهم اعطوا حسب الطاقة . انا أشهد وفوق الطاقة من تلقاء انفسهم . ملتهمين منا بطلبة كثيرة ان

(١) تناولنا هذا الموضوع بأسهاب في الجزء الأول من الكتاب .

نقبل النعمة وشركة الخدمة التي للقديسين . وليس كما رجونا بل أعطوا
أنفسهم أولا للرب ولنا بمشيئة الله » (٢ كو ٨ : ١ - ٥) .

وبالإضافة إلى عبارات الرسول التي وردت في هذه الآيات عن السخاء ،
فإن الرسول قد كشف سر هذا السخاء في عبارته « بل أعطوا أنفسهم
أولا للرب » . هذا هو سر السخاء . فالإنسان الذي أعطى ذاته كلها لله ،
هل يضمن بأشياء مادية نافهة . . . وهل يتعذر ويعسر ويصعب على من أعطى
الكل - أى ذاته - أن يعطى الجزء ، أى المادة ؟! اننا نلاحظ هذه
الظاهرة واضحة في حياة الكنيسة والمؤمنين . فالإنسان الذي أعطى ذاته
بالفعل للرب - ولا أقصد التكريس الاسمى - لا يضمن عليه بهمال أو بوقت
أو بجهد أو بولد . . . الخ . يوجد قوم يعطون في الظاهر أشياء كثيرة
نسبياً - لغرض أو لآخر - لكن القلب من الداخل لا يكون مستقيماً
أو مكرساً . ومن أمثلة هؤلاء حناينا وسفيره اللذان ورد ذكرهما في سفر
الأعمال (ا ع ٥) .

نعود إلى السخاء في العطاء فنقول انه كان شيمة المؤمنين الحقيقيين في
الكنيسة الأولى . فبعد أن أورد الرسول بولس عبارته السابقة يقول
« من يزرع بالثمن يثمر أيضاً يحصد » ، ومن يزرع بالبركات فبالبركات
أيضاً يحصد » (٢ كو ٩ : ٦) . والقديس كبريانوس الأسقف والشهيد بعدما
استعرض قصة الأرملة التي ألقت الطلسين في الخزانة ومدحها الرب ، يقول
« مغبوبة جداً ومكرمة المرأة التي استحققت - حتى قبل يوم الدينونة -
أن تمدح بصوت القاضي ! فليخجل الأغنياء لشحهم وعدم إيمانهم . الأرملة
المحتاجة في دخلها ، وجدت غنية في أعمالها . وعلى الرغم من أن كل شيء
يقدم ، يوزع على الأرمال واليتامى ، فمع ذلك أعطت الذى منه ينبغى
أن تأخذ . . . » .

(٦) بفروح وسرور :

بذل السرور على صدق النية وحسن الطوية ، وعلى ما يكنه القلب من
مودة أخوية يشجع بها المحتاج لأن يأخذ . وهكذا يقول الرسول « كل
واحد كما ينوى بقلبه ، ليس عن حزن أو اضطراب ، لأن المعطى السرور
يحبه الله » (٢ كو ٩ : ٧) . والقديس يوحنا ذهبى الفم بعد أن استعرض
قصة اضافة ابينا ابراهيم للثلاثة رجال يقول « لنعجب من فعل أبى الآباء
ابراهيم الذى كان في داره ثلثمائة وثمانية عشر مولى ، ولم يأمر أحدا منهم
أن يذهب إلى القطيع ، بل هو بنفسه عانى أمر خدمتهم ، إذ كان هرما
حيفاً ، لكنه أسرع عاجلاً نحو المائسية وأخذ العجل . فانظر ولا تخجل
مستحياً أن تخدم المسكين بيدك وانت رجل معتبر . وإذا كان السيد المسيح
خالقك لا يستحي من أن يمد يده ويتناول الصدقة المعطاة للمساكين ، فكيف

لنت أيتها الحيوان الناطق تسبحى أن تمد يدك وتعطيه جزءا يسيرا من
الفضة أو كسرة من الزاد ... الأولى بنا إلا نلتف من خدمة المساكين
واراحتهم لأن أيدينا تتقدس بواسطة خدمتهم . وإذا رغبناها وقت الصلاة
بنظرها البارى مباركة ، فيتحنن علينا ويعطينا سؤلنا تاما » .

ونود أن نشير هنا الى نوع من الناس يعنفون السائل أو الفقير بعد أن
يعطونه صدقة . ان يعقوب الرسول يقول لمثل هؤلاء « أما انتم فاهنتم
الفقير » (يع ٢ : ٦) . يقول القديس يوحنا ذهبى النعم « ان الرحم هو
الانسان العظيم والرجل الكريم ، الفاعل الخير ببشاشة واشتياق من غير
تقطيب ولا حزن ... ولا يحصل له الارتياح في العطشاء ، الا اذا
ظن في فكه الصالح انه لا يعطى بل يلخذ ، وقاس في عقله انه هو
اكتاسب ارباح . وانه هو المحسن اليه ولا بعد ما يعطيه خسارة وذهب
سدى » .

(٧) من ربح حلال :

نصت قوانين الكنيسة — كما جاء في الباب الخامس عشر من النسخولية —
الا نقبل تقدمات الأشرار وغير المؤمنين ، واذا اضطرت الكنيسة الى
قبولها فلتشتري بها خشبا أو حطباً للحريق كناية عن انها تستحق الحرق .
انها اهانة كبيرة لله ان نقدم له تقدمات من ربح غير مشروع أو نتيجة فعل
الشر كأموال الزناة مثلا . واذا كان داود النبی قال « زيت الخاطئ لا يدهن
راسي » ، فكيف ينبغى ان يكون الوضع بالنسبة لله !!

قال الرب قديما بلسان ملاخي النبي « تقولون بم احتقرنا اسمك ...
ان قربنم الأعمى ذبيحة افليس ذلك شرا . وان قربنم الأعرج والسقيم افليس
ذلك شرا . قربه لواليك افيرضى عليك أو يرفع وجهك ... ليست لى مبرة
كم قال رب الجنود ولا اقبل تقدمة من يدهم » (ملا ١ : ٦ — ١٠) .

والقديس يوحنا ذهبى النعم ، بعد أن تحدث عن الصدقة ، وأظهر انها
أعظم من الصلاة والصوم وأمور كثيرة غيرها ، قال « بشرط أن تكون
من ربح حلال وأنما حقيقىة . وتكون خالية من الطمع والاعتصاب
والعنف ... ان التقدّمات غير الطاهرة تغضب الله أكثر مما تسره .
لذا علينا أن نحترس كل الاحتراس لنلا عوض ان نخدمه نهينه ... واذا
كان قايين — لأنه لم يقدم أحسن ما عنده من اتقدمات نال عقابا كبيرا جدا ،
فماذا عساه يصيبنا أن نحن قدّمنا شيئا حصلنا عليه باغتصاب وطمع ... !! »
... ويقول القديس اغسطينوس فى تعليقه على قول الرب اقتنوا لكم
أصدقاء بمال الظلم « أعطوا صدقات من أعمالكم الصالحة . أعطوا مما تملكونه
بالبر لأنكم لا تستطيعون ان تقدموا رشوة للمسيح قاضيك ، حتى لا يستمع
اليكم معا مع الفقراء الذين أوتمنتم عليهم من قبله ... »

العِشُورُ

عصر ما قبل الشريعة :

موضوع العِشُور موضوع قديم ، لا نستطيع أن نحدد مبداه . كان يمارسه رجال الله حتى قبل عهد الناموس . فنحن نقرأ عن إبراهيم — الذي عاش قبل موسى — أنه وهو راجع من كسرة الملوك أعطى العِشُور من كل شيء إلى ملكي صادق كاهن الله العلي الذي منه اقتبل بركة (تك ١٤ : ٢٠) . وجدير بالملاحظة أن إبراهيم قدم العِشُور للملكي صادق باعتباره كاهن الله العلي ، وليس باعتباره صديقا . وقد أشار القديس بولس إلى هذا الحادث في رسالته إلى العبرانيين ، وكان قصده إثبات أفضلية الكهنوت الماسكي صادق عن الكهنوت اللاوي « هنأ أناس مائتون (يقصد اللاويين) ماخذون عشرا ، وأما هناك فالملشهود له بأنه حي (أى المسيح) » (انظر عب ١٠ : ١٧ — ١٠) .

ويعقوب أب الآباء أيضا — الذي عاش قبل موسى — بعد الرؤيا التي رآها (السلم المصوب إلى السماء) ، وبعد أن باركه الرب وأزال خوفه ، نذر نذرا قائلا « أن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه . . . وكل ما تعطيني فأني أعشره لك » (تك ٢٨ : ٢٠ — ٢٢) .

عصر الشريعة :

ولما أقبل عصر الشريعة ، ظهرت العِشُور بصورة الوصية في ناموس موسى . لقد كان أمر الرب إلى شعبه أن يعشروا كل مصادر دخلهم « تعشيرا تعشر كل محصول زرعك الذي يخرج من الحقل سنة بسنة . . . عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك لكي تتعلم أن تتقى الرب الهك كل الأيام » (تث ١٤ : ٢٢ ، ٢٣) . . . وكانت العِشُور بهذه الصورة نوعا من تكريم الرب ، وأشعارا لبني إسرائيل بأن الله هو مالك الأرض ، ومعطي كل ثمارها وخيراتنا ، أما هم فلم يكونوا سوى زراعتها ومستأجرها . من أجل هذا كان إلزاما عليهم أن يقدموا له الشكر والاكرام من أجل كثرة خيراته . قال الحكيم « أكرم الرب من مأك ومن كل باكورات غلتك ، فتهلئ خزانك شبعاً وتقبض معاصرك مسطارا » (أم ٣ : ٩ ، ١٠) . ونحن نقرأ في العهد القديم عن أكثر من نوع من العِشُور :

(١) العِشُور الأول الذي كانت تطلبه الشريعة من اليهود هو لله « قدس للرب » (لا ٢٧ : ٣٠) . وهذا العِشُور لا يفك ولا يندى ولا يبدل . وإن فكه إنسان يزيد عليه خمسة ، وإن أبدله يكون هو وبديله قدسا لايفك (لا ٢٧ :

٣١ - ٣٣) . وهو بذلك لا يجوز استخدامه في أى شيء لأنه موقوف للرب .
ويبدو أن الشريعة كانت تنص على أن هذا العشر الذى هو خاص بالله ،
يكون من نصيب اللاويين (حدام الله) الذين لا نصيب لهم مع سائر أخوتهم
(عد ١٨ : ٢٠ ، ٢١) . قال الرب لهارون « لاتنال نصيباً في أرضهم ،
ولا يكون لك قسم في وسطهم . أنا قسمك ونصيبك في وسط بنى اسرائيل .
وأما بنو لاوى فإني قد أعطيتهم كل عشر في اسرائيل ميراثاً عوض خدمتهم
التي يخدمونها ، خدمة خيمة الاجتماع . . . ان عشور بنى اسرائيل التي يرغمونها
للرب رغبة قد أعطيتها لللاويين نصيباً ، لذلك قلت لهم في وسط بنى اسرائيل
لا ينالون نصيباً » (عد ١٨ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤) .

(ب) وقد ذكر عشر للاحتفال بالمواسم والأعياد يمكن أن يندى أو يفك
(تث ١٤ : ٢٢ - ٢٧) .
(ج) وفكر عشر للفقراء والمساكين والغرباء مرة كل ثلاث سنين
(تث ١٤ : ٢٨ ، ٢٩) .

(د) وفكر عشر لبيت الله (انظر تث ١٢ : ٥ ، ٦ ، ١١ ونح ١٠ :
٢٥ ، ٣٧ ، ٢٨ و ١٢ : ١١ ، ١٢ وما ٤ : ٤ وملا ٣ : ١٠) . اذ لما أقام
الله عبادة منظمة بين اليهود . تطلبت تلك العبادة نفقات كانت تسد من العشور
أذلك غال في (ملا ٣ : ١٠) « هاتوا جميع العشور الى الخزانة (أى خزنة
بيت الرب) ليكون في بيتي طعام » أى طعام للكهنة واللاويين وخدام بيت
الله ، ومن يلجأ في طلب الحاجة الى بيت الله . ونقرأ عن نصيبا انه طالب
باحضار العشور والتقدمات والنذور وغيرها الى بيت الرب عندما أهبات من
الشعب . لذا يقول « فخاصمت الولاة وقلت لماذا ترك بيت الله » (نح
١٣ : ١١) .

والى جانب وصايا الرب بتقديم العشور ، نقرأ عن مواعيده وبركاته
لقدميها . والحق أن في كل مواعيد الله بالبركات لبني البشر ، قد لا نجد في
الكتاب المقدس أقوى من الوعد ببركات دفع العشور . في هذه الوصية يضع
الله نفسه تحت التجربة والاختبار « هاتوا جميع العشور . . . وجربوني بهذا
قال رب الجنود . ان كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم
بركة حتى لا توسع » (ملا ٣ : ١٠) ، ومع انه مكتوب « لاتجرب السرب
الهلك (تث ٦ : ١٦ ومت ٤ : ٧) ، لكن الله يقول في هذا الموضع
« جربوني » . وهل بعد هذا نشك في أمانة الله ، وهل الأمر يحتاج أن نضعه
تحت الاختبار والتجربة . ولا شك أن القصد من هذه التجربة ، ليس اثبات
أمانة الله ، بل تثبيت ثقتنا نحن في صدق مواعيده . . . « أفيض عليكم بركة
حتى لا توسع » أى لا تجدون مكانا يسمعها . « أفتح لكم كوى السموات » .
وماذا عن كوى السموات التي فتحها الله قديما زمان نوح فأغرق العالم .
نكم يكون الموقف اذا فتحت كوى السموات ، لكن للخير والبركة !!

وبعد ذلك يتابع الرب مواعيده بسبب وماء العشور فيقول « وانتهر من لجلكم الأكل فلا يفسد لكم ثمر الأرض . ولا يعقر لكم الكرم في الحقل قال رب الجنود . ويطوبكم كل الأمم لاسمكم تكونون أرض مسرة قال رب الجنود » (ملا ٣ : ١١ ، ١٢) ... انها بركات عميقة تحتاج الى وقفات تأملية طويلة ...

والامر ليس قاصرا على الناحية الايجابية ، ناحية البركة ... بل هناك لعنة على الممتنعين عن دفع العشور ، الذين يدعوهم الرب سالبين . والرب في تعجب ، يقول « يسلب الانسان الله . فانكم سلبتوني . فقلتم بم سلبناك في العشور والتقدمة . قد لعنتم لعنا واياى انتم سالبون ... » (ملا ٣ : ٨ ، ٩) .

المهد الجديد :

لقد اعلن السيد المسيح انه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمله (مت ٥ : ١٧) . وصية العشور من الوصايا التي لم تبطل بالمهد الجديد ، من حيث انها لم تكن رمزا لشيء من اشياء العهد الجديد . نهى — كما ذكرنا — لشكر الله واكرامه ، وهى بذلك امر يجب ان يبقى ويستمر ، بل يظهر في صورة أسبى واروع في ظل بركات المهد الجديد ، وبنوية الروح ... وفي حديث السيد المسيح عن العشور ما يفيد انه يؤيده ، قال « ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون ، لانكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتهم اتقل الناموس الحق والرحمة والايمان . كان ينبغي ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك » (مت ٢٣ : ٢٣ ، لو ١١ : ٣٢) .

هذا عن العشور عامة . لكن السيد المسيح اعلن انه « ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ٥ : ٢٠) ... ومعلوم ان العشور كانت من ضمن بر هؤلاء الكتبة والفريسيين التى يتباهون بها بدليل ما أورده الرب يسوع عن الفريسي الذى صعد الى الهيكل ليصلى ، وأخذ يعدد نواحي بره أمام الله « اصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما اقتنيه » (لو ١٨ : ١٢) ... ولقد تقدم لوقا الانجيلي الذى أورد هذا المثل بقوله « وقال (يسوع) لقوم واثقين بأنفسهم انهم أبرار » . فالعشور كنتمن ضمن بر هؤلاء الكتبة والفريسيين ... وبهذا أوضح الرب يسوع مبدأ العطاء في المهد الجديد ... وهو مبدأ تجاوز العشور كحد أدنى الى حد بيع كل شيء واعطائه صدقة « بيعوا مالككم واعطوا صدقة » (لو ١٢ : ٣٣) ... « اعطوا ما عندكم صدقة ، فهو ذا كل شيء يكون نقيبا لكم » (لو ١١ : ٤١) ...

وقد اشار رسل ربنا يسوع المسيح في الدسقولية ، الى ما مرضته

شريعة العهد القديم بخصوص العطاء ؛ وثبوتوه وجعلوه واجبا على المسيحيين بقولهم « كل ما قيل أولا ، سموه الآن أيضا : العشور والبكور وعشور الخلاص تقرر منذ القدم ليسوع المسيح — رئيس الكهنة الحقيقي — ذاك الذى أول اسمه هو العشرة (١) ، ولخدايه » . وقد اثيرت قوانين الرسل الى العشور . ففى الكتاب الثانى فصل ٢٥ نقرا عن (التقدمات العشور وباكورات الثمار التى تقدم كأمر الله ليتصرف فيها الأسقف باعتباره رجل الله « (انظر الكتاب السابع فصل ٣٠ والكتاب الثامن فصل ٣٠ التى تنظم صرف العشور) . وهكذا حفظت كنيسة العهد الجديد نظام العشور كحد فنى ...

حقيقة اننا لا نقرا عن نظام ثابت للعطاء فى كتب العهد الجديد .
 وكان العطاء حرا واختياريا ، ولم تحدد قيم معينة لدفعها للكنيسة . ولم يحدد قدر معين من الدخل كما كانت العشور فى العهد القديم . ويتضح ذلك من قصة حنانيا « أليس وهو باق كان يبقى لك . ولما بيع ألم يكن فى سلطائك » (أع ٥ : ٤) . بدون أى اجبار أو الزام ، لكنه الإلزام نتيجة الإحساس الداخلى . وحينما تكلم معلمنا بولس الى كنيسة كورنثوس أن يشاركوا فى احتياجات قديسى اورشليم ، كان حريصا أن يستحثهم خلال ضائرتهم . ليس على سبيل الأمر بل ببساطة كعانة ، لكى يرهنوا على اخلاص حبهم (١ كو ١٦ : ١ — ٣) . هكذا سارت الكنيسة الاولى على هذا لبدا « مغبوط هو العطاء اكثر من الاخذ » (١ ع ٢٠ : ٣٥) .

وهانحن نعرض لأقوال بعض آباء الكنيسة فى عصورها الاولى عن العطاء والعشور :

فى القرن الأول : لسنا نعرف شهادة واحدة عن دفع العشور . لكن كان يوجد بيع المتطلبات كلها وتقديمها للرسل لتوزيعها على المحتاجين « وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن أحد يقول ان شيئا من امواله له . بل كان عندهم كل شيء مشتركا ... لم يكن فيهم أحد محتاجا لأن كل الذين كانوا اصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بثمن المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل ، فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج » (١ ع ٤ : ٣٢ — ٣٥) ... وحينما حدث جمع فى انطاكية لفقراء اليهودية . دفع كل انسان « حسبما تيسر » (١ ع ١١ : ٢٩) .

وفى كنيسة غلاطية وكورنثوس اوصى الرسول بولس أن يدفع كل واحد « ماتيسر » (١ كو ١٦ : ٢٠) . وفى الرسالتين الى تيموثاوس حيث تناول

(١) اشارة الى ان أول اسم يسوع باليونانية هو حرف « يونا » ويساوى عشرة .

بولس الرسول معالجة موضوع ماله الكنيسة ، لا يوجد اشاره للعشور او أى نسبة محددة تدفع ...

في القرن الثاني : استمرت فورة الايمان والحب ، واستمر معها السخاء والعطاء . وكان المؤمنون يشعرون أن في ربط نسبة معينة للعطاء ، تقييد لروح المحبة المسيحية الحرة . والقديس ايريناوس — من آباء هذا القرن — يقول « ان ربنا أتى لكي يمد ويوسع الناموس ، وعوض الأوامر القاطعة بعمل المبادئ ، ولذلك قبل لا تزن أوصى الناس ألا يشتهوا ، وبدل لا تقتل ، لان غضب وبدل دفع العشور ، ان يوزع الانسان كل أمواله على الفقراء . وهكذا ازاح المسيح قيود العبودية » . ويعود القديس ايريناوس ويقابل بين عبودية الناموس الموسوي وبين حرية بنوية المسيحيين فيقول « ولهذا السبب ، بينما كانوا (اليهود) يعتبرون عشور ممتلكاتهم أمراً مخصصاً لله ، فعلى عكس ذلك ، أولئك الذين نالوا الحرية جعلوا في خدمة الله كل ماله ، بفرح وحرية ، معطين ليس أقل ، بل بقدر ما كان لهم رجاء عظيم » .

في القرن الثالث : العلامة أوريجانوس في دفاعه عن تقييم باكورة الثمار ، يذكر العشور أيضاً ، ليس كواجب على المسيحيين ، بل كحد أدنى سيزيد عنه المسيحيون . وبعد أن أورد ما جاء في (مت ٢٣ : ٢٣) « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل اناموس الحق والرحمة والايمان . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك » . قال « ولكن ان قلتم ان السيد المسيح كان يقول هذا للفريسيين وليس للتلاميذ ، اسمعوه ثانية يقول للتلاميذ ، ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ٥ : ٢٠) . إذن فما أراد أن يعمل الفريسيون أراد أن يتهمه التلاميذ أكثر كثراً ، وبوفرة أكثر . وما لم يرغب أن يعمل التلاميذ ، لم يوص ولا الفريسيين أن يعملوه . كيف إذن يزيد برنا عن سر الكتبة والفريسيين ، اذا كانوا لا يجرؤون على أن يذوقوا ثمار ارضهم قبل أن يقدموا أوائلها للكهنة ، وأن يفصلوا عشورهم لللاويين . أما أنا فبينما لا أفعل شيئاً من هذه أسوء استعمال ثمار الأرض هكذا ، حتى أن الكهنة لا يعرفون شيئاً عنها ، واللاويون يجهلونهم . والمنبح المقدس لم يرها : في عقلته الحادية عشر على سفر العدد) .

والقديس كبريانوس ناح على الاقتال من تقديم الصدقات ، قال « إذن لقد كانوا يبيعون بيوتاً وممتلكات ، لكننا الآن لا ندفع من ميراثنا حتى العشور . وحينما يأمرنا الرب أن نضع ، نشترى بالأحرى ونقتوسع » .

في القرن الرابع : يقول القديس امبروسيوس في العظة ٣٤ « لقد احتفظ الله بالعشر لنفسه ، وليس من حق أى انسان أن يستبقى ما احتفظ به الرب

لعمسه . لقد أعطاك تسعة أجزاء واستبقى لذاته الجزء العاشر . وإذا كنت سوف لا تعطى الله الجزء العاشر ، فسوف يأخذ منك التسعة أجزاء » . ويقول في عظة يوم عيد الصعود « المسيح الصالح يدفع العشور سنويا حتى تعطى للمساكين » .

والقديس يوحنا ذهبى الفم : في العظة الرابعة على أفسس (الإصحاح الثانى) يقول « أن اليهود دفعوا عشرين بينها الآن ، لفت أدهم نظره في دهشة ، فلان وفلان يدفعان العشور ! اليس هذا مخجلا ؟ ! إذا كان من الخطر أن تهمل العشور في ظل الناموس ، فكيف يكون الخطر الآن ! » .

في القرن الخامس : يقول القديس ايرونيوس في شرحه (ملاخى ٣) « ما قلناه عن العشور وبكورات الثمار التى منذ القديم كانت تعطى من الشعب للكهنة واللاويين ، هذا سارت عليه شعوب الكنيسة الذين أوصوا أن يبيعوا كل ما لهم ويعطوا المساكين ويتبعوا الرب المخلص . . ان كنا غير مستعدين لأن نفعل ذلك ، فلا أقل من أن نشابه تعليم اليهود الأول بأن نعطي جزءا من الكل للفقير ، ونعطى الكهنة واللاويين الاكرام الواجب . وإذا لم يقبل أى واحد ذلك ، فإنه يكون مجرما بسلب الله وخداعه » .

والقديس اغسطينوس في تفسيره للزمور ١٤٦ يقول « لذلك انصنوا شيئا أولا وخصصوا نسبة معينة . . . خصصوا جزءا كبيرا من دخلكم . هل تدفعون العشور ؟ اغسلوا العشور ولو أنها ضئيلة جدا . . . » . وفي العظة ٤٨ بعد أن ذكر أن الضرائب المتزايدة في عصره فرضت عليهم لانهم لا يعطون « الأشياء التى له ، قال « أن أسلافنا زادت ثروتهم من كل نوع لنفس هذا السبب لقد اعتادوا أن يدفعوا العشور وأن يدفعوا الضريبة لقيصر . أما الآن نجد عكس ذلك فلأن التكريس لله قد توقف ، فإن بالوعة الصرف قد اتسعت . لم تكن على استعداد للمساهمة في العشور مع الله ، والآن كل شيء قد سلب ، يجب أن تؤدى الصدقات تبعا للقياس والكمية كما ورد في (طوبيت ٤ : ٨) . فإن كان مالك كثيرا فليكن ما تعطى كثيرا . أو قليلا فقليلا عن طيب قلب » .

والآن بعد أن عرضنا لأقوال بعض آباء الكنيسة في القرون الخمسة الأولى للمسيحية ، نقول ان السيد المسيح يعلمنا بأنه يجب علينا أن نعطي أكثر من العشور ، التى هى الحد المعين في شريعة العهد القديم . . . مفروض في عهد النعمة أن يزيد برنا عن الكتبة والفريسيين . المسيحية التى تقدم لنا المحبة في أروع صورها ، تطالبنا بالمعطاء بقدر الطاقة فهو مظهر من مظاهر الحب . . . ولكن بسبب قلة المحبة وضعف الايمان لا مناص من أن نتمسك بالعشور كحد أدنى لا يجوز الاقتال عنه . . .

بعض اعتراضات على العطاء

قد يحجم البعض عن تقديم عشور دخولهم للرب — على الرغم من انهسا الحد الأدنى للعطاء — بحجة كثرة مصروفاته واعبائه المالية وتمشيا مع الحكمة الشيطانية القائلة « ما يحتاجه البيت يحرم على الكنيسة » . . . وقد يحجم فريق ثان عن العطاء بقصد الادخار للمستقبل لان ظروف الحياة تتطلب ذلك فضلا عن ان الدهر لا يؤمن . . . وهناك فريق ثالث لا يرغبون في العطاء اصلا ، وان اعطوا ، يقدمون شيئا تافها لا يتناسب مع دخلهم . كان يكتفى انسان بالقروش المعدودة التي يضعها في صندوق او طبق الكنيسة ، على الرغم من ان عشور دخله تربو على ذلك كثيرا . وحجة هذا الفريق اعتراضات يسوقونها ضد بعض رجال الدين ومسلكتهم ازاء المادة . وان هو سئل : « ولماذا لا تعطى الفقراء ؟ » فيجيب بان جلهم ، ان لم يكونوا جميعا ، ادياء فقر ومحترفين . . . ! وقس على ذلك باقى الاعتراضات المسروقة . . .

الاعتراض الاول :

وهو الخاص بكثرة اعباء الحياة . . . وهو مردود عليه بعود الله الكثيرة والمعجبة التي نكرناها قبلا لنفوى العطاء السخى . واذا كان الله قد وعد بان كاس المساء البارد لا يضيع اجره ، فكم يكون اجر من يطعم الرب ويكسوه في شخص الجائع والعرى !! ان مشكلة عصرنا الحالى هو مشكلة الايمان . فالتاس يحبون بمقولهم فقط ، دون ان يتحوا للايمان فرصة ان يعمل فيهم . انسان دخله الشهري اربعون جنيا مثلا ، يجس ويحسب مصروفاته بالارقام والاعداد . . . وتكون النتيجة ان الرب لا يتبقى له شيء . وهذا خطأ شنيع يتبع فيه كثيرون . ان عطاءهم يكون مما يفضل عنهم ، وليس من اعوازمهم . ان سر امتداد السرب يسوع للارملة التي دفعت الفلسين « ان الجميع من فضلتهم اتوا . واما هذه فمن اعوازمها آلت . . . » (مر ١٢ : ٤٤) . نحن نتعلم ان الرب يسوع هو الالف والياء ، البداية والنهاية . . . وعلى هذا النحو يجب ان نمصرف ، فنجعل الرب الاول في عطائنا وفي كل شيء . . .

ما احرانا — في هذا المقام — ان نتذكر كلمات رجل الله ايليا لارملة صرفة صيداء حينما اعتذرت ان تقدم له كسرة خبز ، وقالت انها لا تملك سوى ملء كف من الدقيق وقليل من الزيت ستعملها كعكة تاكل منها هي وابنها ثم يموتان . لقد كان جواب رجل الله على كلامها « لا تخافى . ادخلى واعملى كقولك . ولكن اعملى لى منها كعكة صغيرة اولاً . . . ثم اعملى لك ولايتك اخيراً » (١ مل ١٧ : ١١ — ١٢) . ايايا رجل الله اولاً ، ثم هي وابنها اخيراً . . . الرب اولاً وانت واولادك اخيراً . هذا هو سر البركة ، ان يكون الله اولاً . وهذا هو عين ما حدث . . . لم يمرغ ملء كف الدقيق ، ولم ينقص قليل الزيت حتى اعطى الرب مطرا على الارض . . . لم يكن رجل الله ايليا اثنائا حين طُلب لذاته اولاً ،

لكنه كان موقنا من مركات الرب التى ستحل بتلك الارملة نتيجة عملها هذا .
ويجب الا تغيب عن بالنا ان اكرام الارملة لايليا واستضافتها له ، لم يكن أمرا
متعلقا به ، بقدرما كان موجها للرب ذاته ، باعتبار ايليا خادمه « من يكرمكم
بكرمنى » ...

الاعتراض الثانى (الادخار) :

قلنا ان فريقا من المؤمنين يقبضون ايديهم عن العطاء بقصد الادخار
لمواجهة ظروف الحياة وطوارئها . **وبهنا ان نبين الراى السليم فى موضوع
الادخار ...** ولكى يتضح لنا الامر فى هذا المقام يحسن ان نقسم الادخار الى
نوعين رئيسيين :

(ا) **ادخار مجرد كثر المال** بحيث يدخر الانسان ما يفيض عن حاجته
دون ان تقابل هذا الادخار اية فكرة عن موضوع صرف معين لازم واساسى .
وهذا الامر تنهى عنه المسيحية وتعتبره محبة المال ، وينطبق عليه قول الرب
« لا تكثروا لكم كنوزا على الارض » .

(ب) **وهناك نوع آخر نطلق عليه اسم الادخار تجوزا** . وهو جمع قدر
معين من المال لصرفه دفعة واحدة فى موضوع اساسى وهام ولازم ، لن يتمكن
من الحصول عليه دفعة واحدة . فمن الناحية الشكلية ، مثل هذا الشخص
يعتبر انه يدخر مالا . ومن الناحية العملية الحقيقية ، هذا المال ليس مكنوزا ،
وانما هو مصروف قبل ان يجمع اى تقابله ناحية صرف معين تنتظره حتى يكمل .
ومثل هذا النوع يمكن ان تجيزه المسيحية ، لانه ليس محبة للمال او كنز له .
مثال ذلك ، الاب الذى له ابناء وبنات يتلقون العلم فى المهاد . هذا لا يعبر
كانزا للمال اذا جمع المصروفات التى يلزم دفعها فى اول العام الدراسى لكى
لايتمطل اولاده عن الدراسة . ومثال ذلك ايضا الذى يدخر جزءا من المال
لحساب زواج ابنته . فهو ليس كانزا للمال لانه فى غالبية الاحوال يصرف هذا
المال المدخر ويستدين فوقه ليكمل المصروفات المستحقة ... من اجل هذا
لا يخطئ المسيحي ان هو عد العدة للضروريات **وادخر لها** ، بشرط الا يكون
ذلك بصورة خالية من الايمان والانتكال على الرب ، وبشرط الا يكون ادخاره
مما يتنافى مع الحب المسيحى الذى يوجب عليه عدم اغفال مشاعر اخوته
واعوازمهم ، وبشرط ان يكون امينا فى تقديم عطائه لله ، وهو العشور كحد
ادنى كما فكرنا ...

نخلص من ذلك ، انه ليس هناك مانع من مثل هذا الادخار بشرط
الا يكون ذلك من اجل حب المال ذاته ، بل من اجل مقابلة مصروفات ضرورية
وبشرط الا يكون ادخارا من اجل الكماليات ، وبشرط الا يكون ذلك على حساب
واجبنا نحو الله ... وبشرط الا يتنافى مع ايماننا بالله وعنايته بنا وباولادنا
خصوصا وان الرب يسوع اوصانا قائلا « لا تهتموا للغد ، لان الغد يهتم بما

لنفسه » (مت ٦ : ٣٤) . **قال القديس كيريلانوس الأسقف** وأنشيد « تنازل للرب عن ثرويك التي تحفظها لورثتك . اجعله الوصي على أطفالك . اجعله ربهم وحاميهم بجلاله الأقدس ضد كل أضرار العالم ... » .
أما الاعتراض الثالث ، فهذا ما تناولناه ، حينما تحدثنا عن نقدم لهم عطاء ...

أُمثلة لزوى العطاء والسخى

أورد لنا الكتاب المقدس أمثلة عديدة لكثير من رجال الله الذين أحسوا الرب فأحبوا الرحمة . **ومن هؤلاء أيوب الصديق** الذى كان « أعظم كل بنى المشرق » (أى ١ : ٣) ورغم ثرائه ، فقد كان رحوما . نلص ذلك من أقواله « لأنى أنقذت المسكين المستغيث واليتيم ولا معين له . مركة الهالك حلت على ، وجعلت قلب الأرملة يسر ... كنت عيونا للعمى وأرجلا للمرح اب انا للفقراء ... » (أى ٢٩ : ١٢ - ١٦) ... « ان كنت منعت المساكين عن مرادهم ، أو أغفيت عيني الأرملة أو أكلت لقمتى وحدى فما أكل منها اليتيم . ان كنت رأيت هالكا لعدم اللبس أو فقيرا بلا كسوة ... فلتسقط عضدى من كفتى ، ولتتكسر فراعى من قصبتها » (أى ٣١ : ١٦ - ٢٢) ...

وثمة شخصية أخرى من العصر الرسولى ، هى طابيثا التى شهد عنها الكتاب المقدس انها « كانت ممتلئة أعمالا صالحة واحسانات كانت تعملها » وقد شفعت لها أعمال الرحمة التى كانت تعملها . فاقامها القديس بطرس الرسول بعد موتها (اع ٩ : ٣٦ - ٤١) ...

وتاريخ الكنيسة مليء بشخصيات الرحومين . الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة ... **لكننا نتحدث عن ثلاث شخصيات من رجال الدين والعلمانيين :**

القديس بطرس الصابد :

بدأ حياته عشارا قاسيا فى معاملته . شديدا فى شحه وبخله . حتى لقبوه بالذى لا رحمة فيه . قصده فقير ذات يوم يسأل صدقة ، فلم يجبه الى طلبه . لكن السائل استمر فى الحاجة . واتفق أن وصل غلامه يحمل خزا . فأخذ خبزة وألقاها فى وجه الفقير ، مريدا ضربه وليس بقصد الرحمة ... لكن ذلك الفقير انحنى نحو الخبزة وأخذها وانصرف ... أراد الرب أن يعير قذ ذلك الرجل ، ويحطم تمثال الذهب الذى نصبه فى شحه . فرأى بطرس هذا فى تلك الليلة حلمًا ، وكأنه فى يوم الدينونة واقف للمحاكمة أمام الملائكة . ولم توجد له حسنات سوى تلك الخبزة التى قد ضرب بها ذلك الرجل الفقير ... استيقظ من نومه مذعورا مرتجفا . وأخذ يفكر فى ذلك الحلم ومعه أخذ يلوم نفسه على عدم رحمتها ... وكان ذلك سببا فى أن تحول شحه وبخله

الى رحمة بالفة . حتى أنه بعد توزيع ثروته على الفقراء لم يجد شيئا يتصدق به الا ثوبه الذى يرتديه فباعه وتصدق بثمنه ... وقيل انه لما لم يبق له شيء ترك بلده ومضى فباع نفسه عبدا وتصدق بالثمن على الفقراء . ولما اشتهر امره وذاعت فضيلته قصد برية شبيهة وامضى بقية حياته فى عبادة ونسك أهله فى النهاية الى أن يعرف ساعة انتقاله من العالم ... وتعيد له كنيسة بنزكار نياحته فى الخامس والعشرين من شهر طوبة من كل عام ...

الأرخن المعلم ابراهيم الجوهري :

رغم انه بلغ أعلى المراتب — رئاسة الدواوين — فى حكومة الاثراك والماليك ، غير انه كان متواضعا للغاية ، محبا ... ومن أهم الفضائل التى تميز بها الرحمة والاحسان . وذكر انه كان يقسم دخله الى ثلاثة اقسام ، ثلثاها للفقراء والانفاق على الكتب ونسخها ووقفها ، وترميم ما تهدم من الكنائس والاديرة . وابتاع املاكا كثيرة ووقفها على هذه الأماكن المقدسة . وكان يرسل التقدمة سنويا الى الاديرة ...

من جهة رحمته وحبه للاحسان ، فانه كان ينهم وصية سيده « كل من سالك فاعطه » (لو ٦ : ٣٠) ، وخصوصا من كان يسأله على اسم المسيح ، وكان فى احسانه وحسن معاملته لا يفرق بين مسيحي وغير مسيحي ...

حدث مرة أن فقيرا أراد اختبار سخائه المفرط الذى سمع عنه ، فتعته به ذات صباح وهو فى طريقة الى عمله يطلب منه احسانا على اسم المسيح ، فكان يعطيه . ثم كان هذا الفقير — بعد ان يأخذ منه — يذهب الى شارع آخر ويعترض طريقه مظهرا نفسه لكى يعرفه انه هو الذى اخذ أولا ، لكنه حينما كان يطلب كان يعطيه . وهكذا حتى بلغت عدد المرات التى سألها فيها هذا الفقير ثمانى عشرة مرة ، وكان فى كل مرة يعطيه . ولم يحدث أن تضايق ابراهيم الجوهري من كثرة السؤال . بل ما حدث هو العكس ، اذ ان الرجل السائل — من فرط دهشته — صاح قائلا له « طوباك يا جوهري الرب معك » . فاجابه فى وداعه « لا تتعجب . انت تطلبنى بالمسأل المودع عندي . اننى امين عليه والامين ينبغى الا يحزن » !!

وكان يعمل الولايم للفقراء بالكنائس . منى يوم كان فى كنيسة المسست بربرة بصير القديمة ولاحظ ان الخدم قد قصروا فى خدمة الفقراء ، فوبخهم جدا قائلا « لا تكسروا قلب الفقراء الضعفاء ، بل طيبوا خاطرهم . فالمسيح امرنا ان نضعف من لا يستطيع أن يكافئنا » .

وبلغ من احسان هذا الرجل وتعلقه بفضيلة الرحمة ، انه يصدق وهو فى قبره !! حدث ان جاء أحد الفقراء يبحث عن المعلم ابراهيم فى منزله بعد ان نوى . ولم يكن قد سمع نبأ وفاته . فلما أعلموه بوفاته ودلوه على مكان قبره . توجه الرجل الى القبر وجلس هناك وسار يبكي حتى نام ، فرأى المعلم ابراهيم

الجوهري في حلم يقول له « لا تبك . أنا لى في ذمة فلان الفلانى الزيات في بولاق عشرة بدقى (عملة في ذلك الوقت) ، فاذهب وسلم عليه من قسلى وأطلبها منه » . وتكرر ظهور الحلم ثلاث مرات . تعجب الرجل ، لكنه ازاء هذا التاكيد ، قام وذهب في خجل . ووقف أمام الدكان يقدم رجلا ويؤخر أخرى . فلما رآه الزيات متحيرا ، سألته عن غرضه ، فقص عليه القصة ، فاعترف الرجل بالمبلغ وسلمه لذلك الفقير الذى مجد الله .

وحدث بعد وفاة ابراهيم الجوهري أن بعض الأشرار وشوا بابتنه المدعوة دميانة للوالى بأنها تحفظ أموال أبيها . . . ولما كانت الحالة في البلاد سيئة للغاية ، استدعاها والى واستفسر منها عن الأمر . ثم تعارض دميانة ، بل سكنت وطلبت مهلة لأحضار متعلقات أبيها . ثم ذهبت وأحضرت معها ما أمكنها أن تعرفهم من الفقراء والمساكين الذين كان يتصدق عليهم والدها ، وإذا بهم يؤلفون جيشا كبيرا !! أخذتهم وقصدت والى وقالت له « ان أموال أبى مودعة في بطون هؤلاء » وأشارت الى الفقراء . فلما عرف والى الحقيقة صرغها وذكر والدها المحسن بالخير .

هذا طرف من حياة رجل البر والاحسان الأرخب ابراهيم الجوهري الذى رقد في الرب في سنة ١٧٩٥ (وفي رواية أخرى سنة ١٧٩٦) ، ورثاه الأنبا يوساب أسقف جرجا رثاء مؤثرا جاء فيه « . . . اجتمعوا ونوحوا أيها الكهنة خدام الرب ، والبسوا مسوحا على الذى كان دائما يفتقد الكنائس بالحرقات والقرايين . . . » .

الأنبا إبرام أسقف الفيوم :

الرجل الذائع الصيت ، قديس القرن العشرين ، الراعى الصالح . صاحب المعجزات . . . ذلك الرجل ، وأن كانت شخصيته متعددة الجوانب ، لكن من أهم ما اشتهر به فرط إحسانه . كان الرجل رجوما محسنا ، تميز بالرحمة الفائقة في كل مركز شغله . عين وكيلا لمطرانية النياح حول دار المطرانية الى ماوى للفقراء وملجأ للأيتام والمساكين . . . اسندت اليه رئاسة الدير المحرق ففتح باب الدير على محراغيه للفقراء والمعوزين والأرامل . غير أن عدو الخير أثار الرهبان ضده فصاحوا بالصيحة القديمة التى صاحها يهوذا « ما هذا الانلاف ؟ ! » واتهموه بتسديد أموال الدير !! ومازالوا في صخبهم حتى عزلوه عن الرئاسة وطردهوا الفقراء الذين كان يعولهم ويمطف عليهم . . .

وبرسامته اسقفا على الفيوم سنة ١٨٨١ تنهاى في عمل الرحمة حتى انه كان يعطى كل ما يملك . . . ذهب اليه ذات مرة فقير معدم يشكو اليه ضيق ذات اليد في ظرف هو في حاجة شديدة الى المال لينفق على زوجته التى وضعت حديثا ، فأعطاه جنيتها هو كل ما كان يملكه في ذلك الوقت . ولما خرج الرجل الفقير قابله الوكيل ورأى أن معه جنيتها . فأخذه منه واستبدله بريال . فرجع

المسكين للقديس واعلمه بالخبر . فاستدعى الوكيل ووبخه على تساوة قلبه وعدم ايمانه ، وامره برد الجنيه للرجل وان لا يأخذ منه الريال ويعطيه أيضا لحاما لأن الوقت كان شتاء . احتج الوكيل بحاجة الاسقفية الى هذا المبلغ . فأجاب رجل الله « الرب يرسل » . فعلا ، بعد خروج الرجل بقليل استلم القديس خطابا من أحد المؤمنين به حوالة بمبلغ عشرة جنيهات وحافضة سكة حديد بعشرة أرادب قمح .

وجاءته ذات مرة امرأة فقيرة ، ولم يكن عنده نقود . ولكن أحدهم قد اعطاه شالا لم يستعمله . فتأسف لعدم وجود نقود معه وقال للمرأة « خذي هذا الشال وبيعيه واقضي حاجتك » . فأخذته وذهبت الى السوق لتبيعه ، فراها الرجل صاحب الشال فاشتراه منها ورده للأسقف . ولكن قبل ان يظهره ، سأل « لماذا لم تنفق بالشال يا ابنا والدنيا برد » أجابه « الشال فوق ياولدى » ويقصد به أنه عند يسوع . وعندئذ أظهر الرجل الشال ودفعه اليه . فقال له الأسقف « ربما تكون ظلمتها يا ابني . . » فأجابته « لا يا أبى بل أعطيتها ثمنه » .

وما اكثر ما كتب . وما نسمعه حتى الآن عن ذلك القديس الذى ضرب المثل عاليا في حياة النسك والتجرد ومحبة المقراء . . . الرب يعطينا أن نتشبه به ، وينفعنا بمقبول شفاعته وصلواته عنا .



رجل العطاء والبر « الأنبا ابرآم »

القراءات الروحية

- + مادة هذه القراءات
- + هدف القراءة
- + فوائد القراءة الروحية
- + كيف نقرا
- + وقت القراءة وكميتها

هناك أنواع كثيرة من القراءات الدينية . ولكننا نخص هنا نوعا معينا منها هو القراءات الروحية ، أى القراءات التى تهدف الى الهاب الروح بمحبة الله ، والى تقويم الشخصية وتنقية النفس والجسد من دنسهما .

مادة هذه القراءات

توجد ثلاثة مصادر أساسية للقراءات الروحية وهى :

(ا) الكتاب المقدس بمهديه ، وما يلحق به من كتب تفسير وتأملات ووعظ وسير قديسى الكتاب .

(ب) اقوال الآباء ، والكتب النسكية ، ونظائرها الخاصة بالفضائل وسيرة الروح . ويستحسن ان تقرأ بنظام . اعنى ان يقدم منها لكل حالة الدسم الذى يناسبها .

(ج) سير القديسين: سواء اكانوا قديسى البرية او العالم ، الشهداء او المتوحدين او الخدام او ابطال الايمان او قادة الفكر المسيحى ... الخ . وهذا النوع يعطى امثلة حية للفضائل المسيحية فى أعلى صورها . وفيه قال ماراسحق « شهية جدا هى اخبار القديسين فى مسامع الودعاء ، كشرب الماء للفروس الجسد » .

هدف القراءة

ينبغى للانسان ان يعرف هدفه من القراءة ويتذكره باستمرار ، حتى لا ينحرف عنه الى غاية اخرى . فمثلا قراءة الكتاب المقدس لها صور شتى تنوع من شخص الى آخر : هناك قراءة هدفها الايمان بالكتاب ومعرفته محتوياته وقصصه واخباره ووصاياه وشخصياته ... وهناك قراءة اخرى للتلهم ، حيث يقف الانسان عند آية معينة او خبر ما متخذا ذلك مادة لتأمله الخاص واتساع روحه ، وما يسع ذلك من تطبيق على حالته الخاصة والخروج بغائدة روحية ما .

وهذان النوعان من القراءة يدخلان فى موضوعنا . وهما يختلفان عن النوع الثالث المميز من القراءة ، وهو قراءة الكتاب المقدس لدراسته والتعمق فى معرفته . وهى قراءة فيها ايمان للفكر وتدقيق فى المعلومات . لا تتف عند مجرد المعلومات العامة ، وانما تبحث بحثا عميقا قد يتطرق الى التدقيق

الشديد في معرفة معنى كلمة معينة بالذات بالاستعانة بالقواميس المختلفة أو الرجوع الى الترجمات القديمة ومقارنتها ببعضها البعض واستخلاص نتائج من ذلك . كما تعنى هذه الدراسة بمقدمات الأسفار ، وجغرافية الكتاب المقدس ، وما في الكتاب من رموز ونبوءات وما وراء ذلك من دلالات . وتعنى أيضا بالتعرض لتفسير الآيات العسرة الفهم ، وحل مشاكل الكتاب وخاصة ما يبدو من تناقض بين آيات وآيات أخرى ، أو ما يبدو من تناقض بين بعض الآيات وعلوم البشر من فلسفة وطبيعة وغلك وتاريخ وجولوجيا وانثروبولوجي ... الخ .

وكل هذا نافع ومفيد ولازم ، ولكنه ليس موضوعنا الذي نعرض له الآن . لأننا بصدد تأمل الروح لا نشاط العقل .

فوائد القراءات الروحية

(١ ، ب) القراءة بوجه عام تجمع العقل من تشتته ، ونقاده من طيائسه في افكار وموضوعات كثيرة الى التركيز في موضوع القراءة . وحسبما يتغير موضوع القراءة يتغير تبعاً له نوع الافكار التي تتركز في العقل . ولذلك يقول ماراسحق « ان كان ذكر الفضلاء يجدد فينا شهوة الفضيلة اذا ما تفاوضنا معهم بأفكارنا ، فهكذا أيضا ذكر الفسقة يجدد في صيرنا الشهوة السمجة اذا ما ذكرناهم ، لأن ذكر كل واحد من هذين يرسم في عقلنا افراز اعمالهم » . وهكذا فان القراءة الروحية لا تكتفى فقط بأن تجمع العقل من جولانه في الماديات والعالميات ، وانما أيضا ترفعه الى عالم الروح ، وتفتح امامه ابواب الالهيات ليلذوق ما اطيّب الرب .

فهي بهذا ذات غائتين احدهما سلبية والاخرى ايجابية :

(ا) فالسلبية هي منع افكار معينة عن العقل ، سواء الافكار الشريرة او الافكار الزائلة الباطلة . ولذا تستخدم القراءة الروحية أحيانا كسلاح للشفة وطرده الافكار النجسة ، وكسلاح لطرده افكار الغضبوتسكين النفس ...

(ب) اما الفائدة الايجابية فهي السمو بالفكر الى الالهيات . ولهذا الامر تدرجاته الروحية العديدة التي تصل بالانسان الى حالات سامية جدا بدوام ارتباط فكره بالله ...

(ج) والقراءة الروحية هي باب يدخل منه الانسان الى حرارة النفس . فالنفس التي بردت حرارتها الروحية لانشغالها بالماديات ، أو لاحتكاكها بالخطية وتأثرها بأوساط شريرة ، أو لتفكيرها غيبا لا يليق ، أو لتغريبها من

الروحيات مدة طويلة ، هذه النفس تعود اليها حرارتها تدريجياً بالقراءة الروحية التي تنتشلها من عالمها المادي الى حيث ذكر الله وقديسيه . فتعود النفس وتذكر طبيعتها النقية ، وتشتاق الى هذا السمو ، وتشعلها الحرارة بحب الله وقديسيه والرغبة في محاكاة ما تقرأ من سير جميلة ومضائل عالية في الكتاب المقدس أو أخبار القديسين .

ومن طبيعة الحرارة التي تتولد في النفس من القراءة ، انها تقتل كل ما يحارب النفس في ذلك الوقت من ملل أو ضجر أو توان أو كسل ، وجعل الفضائل سهلة وخفيفة في عيني القارئ ، وتوجد في قلبه استعداداً لها ، وتخضع حائته اياه على البدء بالعمل . فيجد الانسان قلبه كما لو كان في نار متقدة يريد أن يضم الفضائل كلها الى حضنه . ووقتيئذ تتضاءل الشهوات العالية امام عينيه ويشعر باحتقار لها أو اشمزاز منها أو تختفى كلية من ذاكرته .

(د) هذه القراءة المولدة للحرارة فالتشوق فالرغبة في المحاكاة ، هي بهذا الوضع مادة للتدريبات الروحية . فكلما قرأ الانسان عن فضيلة ما — سواء أكانت هذه القراءة من فلسفة الفضيلة أو خواصها أو سموها أو درجاتها أو مظاهرها في سير القديسين — فان رغبته في محاكاتها تجعله يبدأ بتدريب نفسه عليها . وهكذا تنتقل الفضيلة — بالقراءة — من الكتاب الذي تحدث عنها الى كراسة التدريبات الخاصة بالقارئ ، وتتحول منها الى جزء من حياته . وهكذا قيل أن من يتقدم الى باب القراءة الروحية تفتح أمامه ابواب الفضائل .

(هـ) والذي يقرأ عن وصايا الله وشرائعه وعن الفضائل في تنوع صورها ، يجد في القراءة مرآة سليمة ينظر فيها الى نفسه ، أو يجد فيها ميزاناً يزن به شخصيته وأعماله . وبهذا تكون القراءة مادة لحاسبة النفس وما يبسمها من اعمال التوبة ، اد يحاسب الانسان نفسه منتشاً فيها ليرى هل توجد فيها تلك الفضائل التي قرأ عنها أم هي محرومة منها بعيدة عنها .

و) وكلما يقرأ الانسان سير الانبياء والرسل والقديسين ، وكلما ينظر الى المستويات العالية التي ارتقوا اليها في تمع وجهاد ومثابرة وصبر ، وكلما يصنع هذه المستويات في كفة ميزان ونفسه في الكفة الأخرى ، حينئذ يشعر بصغر قيمته وضآلة شأنه ، ويرى مهما كان في حاله روحه نشطة — انه محروم مبتدئ في الطريق لم يخط فيه بعد أية خطوة ذات قيمة . وهكذا تقتاده القراءة الى التواضع الحقيقي المبني على معرفة سليمة للنفس وما هو مطلوب منها الوصول اليه . وكلما تزداد قراءته يزداد انتضاعه ، لانه يتذكر قول الرب أن « الذي يعرف أكثر يطالب بكثر » .

(ز) والقراءة الروحية هي أيضا مادة للصلاة . ويختلف نوع الصلاة باختلاف نوع القراءة . فهناك قراءة تشعر الإنسان بخطاياها وتقائصه ، فيحسني هامته في استحياء وانسحاق وندم ، معترفا أمام الله بذنوبه وآثامه الكثيرة طالبا منه الرحمة والمغفرة . وقراءة أخرى تبسط أمليه الفضائل في جمالها وسموها ، فيصلى في لاجاة والحاح طالبا من الله عوناً ونعمة ليستطيع أن يسير في طريق الآباء ويقوى على محاسنهم . وثمة قراءة ثالثة تحرك في القارئ محبة الآخرين فيرفع يديه الى فوق طالبا من أجلهم . وهناك قراءة تعرض أمام الإنسان صفات الله الجميلة وعظمته التي لا تحد ، فيسجد في خشوع مجداً لله ومباركا إياه من أجل هذه الصفات التي لا ينطق بها ، شاعرا بعدم استحقاقه للتحدث مع اله على هذه الدرجة من المجد وهناك قراءة أخرى تلهب القلب بمحبة الله ، فيلهج باسم الله وهو لا يدري ماذا يقول ، وبين الحين والآخر تخرج — لا من فيه فقط بل من كل جوارحه — عبارات الشكر والاعتراف بالجميل وهكذا دواليك

وكما أن القراءة تكون دافعا للصلاة ، كذلك تكون أيضا مادة للصلاة . وفي ذلك قال ماراسحق « أن النفس تمان من القراءة إذا ما مثلت في الصلاة وتستثير في الصلاة من القراءة » . وفسر ذلك بقوله في موضع آخر « عندما يدنو الإنسان الى الصلاة ، فإن تذكارات القراءة يلهبه بأنهم الكلام الصحيح الذي قيل عن الله تعالى فيما كان يتلوه (يقرأ) قبل » .

(ح) وكما أن القراءة مادة للصلاة ، فهي أيضا مادة للتأمل . فانت قد تقرأ آية أو فصلا من الكتاب المقدس لتتخذ ذلك موضوعا لتأملك أو هنيئك الشخصي . أو أنت قد تقرأ قصة من قصص الآباء وتتأمل مقدار النعمة التي أعطاها الله لهذا الأب ، أو تتأمل مظاهر الحب الذي ربط بين هذا المخلوق وخالقه ، أو يسبح عقلك في سلم الفضائل الذي صعد به القديس درجه مدرجه الى الله

أوقد تقرأ فصلا من الكتاب وتختزنه في عقلك ليغيدك في تأمل مقبل . وكما أن الإنسان الفاسد من كنز قلبه الشرير يخرج الشرور ، مستعيدا الى ذاكرته ما قد سبق فارتكز في عقله من قراءات لمجلات فاسدة أو قصص مثيرة أو موضوعات نجسة ، ويتأمل في ذلك كله لتلتذ حواسه الجسدية بهلاذ شهوانية ترضيه ، كذلك أيضا الإنسان القديس يقرأ الموضوعات الروحية السامية ويكتنزها في عقله ، ثم يعود فيجتريها وتفتدى بها روحه ، ويجد فيها مادة للتأمل في خلواته وفي صلواته ، تقيض على أفكاره ينبوعا عذبا من الروحانيات السامية .

(ط) والقراءة الروحية هي مرشد في الطريق الى الله : تعرف الإنسان

مهيئة الله وتكشف ارادته المقدسة وتثير سبله . لذلك قال المرنم « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلي » (مز ١١٨) . يقرأ الانسان كلام الله وسير الآباء الذين امتلأوا من روحه القدوس ، فيكتسب جانبا كبيرا من المعرفة السلمية النافعة ، وتكشف امامه طرق الحياة الطاهرة والسلوك السليم والتصرفات الحسنة ، وتعطيه القراءة نوعا من الانغراز والتمييز والحكمة ، وان كان ذلك يكمل بالخبرة والممارسة .

(ي) وللقراءة فوائد أخرى تتنوع بتنوع المناسبات والاسباب الداعية اليها . فهناك انسان حزين النفس مر القلب متعب بالتجارب والضيقات ، يلجأ الى القراءة منتقيا فصولا معينة منها لتعزيه وتقويه ، وتمرض امامه معونة الله في ظروف مماثلة ، أو تصرفات الآباء في حالات أشد ، أو تشرح له حكمة الله في السماح بالتجارب ، فتفرح نفسه وتزول كآبتها . أو هنسك انسان اخطأ الى الله خطية شنيعة ، غازمجه الشيطان وقربه الى اليأس ، يقرأ عن التوبة والتائبين وقبول الله لهم ، فيدخل الرجاء الى قلبه ويتشدد ويعود فيقترب الى الله في غير قنوط . أو شخص ثالث صلى كثيرا من أجل موضوع خاص ولم ير لصلاته أثرا ، فظن أن الله قد رفض طلبه ، أو رفضه هو شخصيا ولم يعد يسمع له ، يقرأ هذا كتابا روحيا أو فصلا من الكتاب المقدس يتصل بهذا الموضوع ، فيطيب قلبه ويتأكد أن الله قد سمع وقد استجاب ، ولكنه سيرسل حله النافع في الوقت المناسب المفيد وبطريقته الخاصة الصالحة ... الخ

(ك) والقراءة الروحية بالاضافة الى كل هذا — هي مقوية للذهن ومنشطة للفكر ، لأن الفكرة تلد فكرة أو افكارا كما هو معروف . والذي يقرأ كثيرا بنأمل ، ما يلبث أن تتمرن حواسه الروحية على التفكير الروحي ، حتى أنه يستطيع فيما بعد أن يجد مجالا للتأمل الروحي في غير ما ذكرنا أولا من مواد القراءات . غاي كتاب يتناوله طالما كان موضوعه مهذبا — أيا كان نوعه — ، يمكنه — إذا قرأه بطريقة روحية — أن يخرج منه بفائدة . وقد يجد أيضا مجالا للتأمل في كل شيء يقع تحت حواسه ، لأنه قد تدرب بالقراءة الروحية .

(ل) وأخيرا ، فإن القراءة الروحية هي وسيلة نافعة لقضاء الوقت وشغل الذهن بما هو مفيد . هي معينة على الوحدة ، تقتل الضجر وتبعد الفكر الشرير ، وهي معينة على السهر ومشجعة عليه .

كيف نقرأ؟

(أ) **ابدا القراءة بالصلاة :** حتى لا تكون معتمدا على فهمك البشرى الذى يخطئ ، بل بالحرى اطلب تدخل روح الله لارشادك . صل ان استطعت صلاة طويلة قبل أن تقرأ شيئا روحيا . اشرح لله ضعفك وقصور فهمك وعجز عقلك البشرى المحدود عن الوصول الى اعماق الكلمات الالهية التى قال عنها داود النبى « لكل كمال رايت منتهى ، واما وصاياك فواسعة جدا » (مز ١١٨) . واطلب من الله أن يفتح عقلك لتفهم ، ويفتح قلبك لتقبل ما تفهمه ، ويكسر أغلال ارادتك لتتوى على تنفيذ ما تقبله . لذلك قال مارأسحق محفرا « لا تدن من أقوال الأسرار الموجودة في الكتب خلوا من الصلاة والناس معونة الله تعالى . وقل : جد على باحساس القوة الموجودة فيها » . واعتقد ان الصلاة هي مفتاح الانهام الحقيقية الموجودة في الكتب الالهية .

(ب) **ادخل نفسك في موضوع القراءة واعتبره درسا خاصا موجها لك :** والذى تقدر على عمله اعمله بشورة وانراز . والذى لا تقدر عليه ، احزن من أجله في قلبك ، وارث لضعفك ، واتخذة وسيلة للاتضاع ، واعرض اشتياقك اليه على الله ، واطلب شفاعة القديسين الذين نبغوا فيه ، واحفظه في زاوية أمينة في ذاكرتك فربما تحتاج اليه فيما بعد في ملء الزمان عندما بهبك الله ظروفا أخرى مناسبة ومقدرات أخرى مساعدة .

(ج) **في أثناء التأمل تجنب قراءات المشاكل والتعقيد الفكرى .** اعبر عليها في هدوء . ليس هذا هو وقتها .

(د) **بالنسبة للمبتدئين ليست كل أسفار الكتاب المقدس تصلح مادة للتأمل . بل ابدا تأملك أولا في الأسفار التاريخية .** واقرا فيها عن صفات الله الجميلة ، واختيار الله لقديسيه ومعاملته لهم ، وتصرفات القديسين مع الله ، وتصرفاتهم مع غيرهم من الناس . . . ثم بعد ذلك يأتى دور الأسفار التعليمية . . .

(هـ) **اعرف أن القراءة هي مجرد وسيلة الى غاية ، وليست غاية في حد ذاتها .** فإذا ما أوصلتك القراءة الى هدفك ، اتركها واتشغل بهذا الهدف الذى من أجله قرأت . القراءة هي مجرد عود ثقاب يشعل النفس فتلتهب بحب الله . فإذا ما التهبت النفس لا تشغل بعد بمود الثقاب ، وانما أوقد سراجك من هذه النار المقدسة واخرج به مع المذارى الحكيمات للقاء العريس . اترك القراءة الى حين واعمل عمل الروح الذى أثارته فيك سواء اكان تأملا أو صلاة أو محاسبة للنفس أو بكاء على خطاياك أو تفكيراً في تدريب روحى . . . ويايك أن تهمل هذه الحرارة وتستمر في القراءة ، لئلا تبرد منك وتطلبها فلا تجدوها . . .

وقت القراءة وكثيرها

✽ يحتاج الإنسان بلا شك الى قراءة التأمل لأنها العنصر الاساسى الذى ينشط القلب والفكر وينمى فى النعمة . ولكن هذه القراءة التأملية التى قد تركز فى بضع آيات قليلة ، لا يمكن أن يكتفى بها الإنسان ، والا فان عشرات السنوات ستمر عليه دون أن يكمل قراءة الكتاب المقدس . بينما هو محتاج ايضا ولا شك الى معرفة والمأم بالكتاب لاسباب روحية كثيرة منها أن هذه المعرفة تساعد ايضا على تقوية التأمل . لأنه اذ يربط آيات تأمله الحاضر بآيات أخرى يذكرها من قراءات سابقة ، فإنه يحصل على طريق هذا الترابط على فوائد أكبر تلقى نورا أكثر على الموضوع ، وتتمى موهبة التأمل .

لماذا يفعل ؟ وأى القراءتين يختار ؟ وإذا كانت هناك قراءة ثالثة هدفها الدراسة والتعمق والبحث ، والوقت لا يكتفى لجمع هذا كله معا ، فماذا يكون الحل ؟

✽ الحل بسيط وهو احدى الطرق الآتية :

(أ) اما أن يجمع القارئ معا : فيقرأ بضعة اصحاحات بالتتابع ، ولكنه لا يجعلها موضوعا لتأمله ، لأن وقته — كشخص منشغل — لا يكتفى طبعاً للتأمل فى هذا كله . وانما يكتفى للتأمل بضع آيات منها فقط أو فكرة عامة واحدة . ومثل هذا الشخص المنشغل ليس بكثير عليه أن يخصص لهذا الأمر فى الابتداء مقدار نصف ساعة يوميا أو أكثر من هذا بقليل ، منها ثلاث ساعة للقراءة وعشر دقائق للتأمل . ثم يترن على ازادة هذا الوقت حسب طاقته واحتياجه . . .

(ب) واما أن توزع انواع القراءات على الايام المختلفة ، ويحاسب القارئ نفسه بجدول اسبوعى وليس بجدول يومى ، وانما يكتفى أن يسجل كل يوم ما حصله فيه . وهذا الجدول الاسبوعى أكثر فائدة ، لأنه يسمح للقارئ بقدر أوفر من الحرية ، على أن تكون النتيجة الختامية جامعة ليس فيها اهمال لأحد العناصر .

(ج) واما أن تكون قراءة التأمل ثابتة لكل ايام الأسبوع ، تأخذ الوقت المخصص كله . واما قراءة المعرفة فتضاف فى بعض ايام الأسبوع حسبما يسمح الله بوقت ، على أن يراعى أن تكون كميتها الأسبوعية كافية .

(د) وعلى الشخص أن ينتهز الفرص . فاذا وجد لديه وقتا متسما فى أى يوم ، أو كانت لديه عطلة طويلة فى فترة من السنة ، ينتهز ذلك ويقرأ

مدون تحديد للكمية على قدر ما يستطيع في الكتاب المقدس ويدرسه أيضا .
ويجمل هذه بالنسبة اليه فترات تخزين وتعويض ، تنفعه عندما تضغط عليه
المشغوليات في اوقات أخرى .

✳ وعلى أية الحالات يجب أن تختار للقراءة الوقت المناسب ، فلا تعط
الله نفاية وقتك ، الوقت الذي تكون فيه متعبا أو ملولا أو متضايقا
أو مشغولا ، والا فأنك تعرض نفسك لعدم الاستفادة من القراءة
كما يجب ، أو تعرض نفسك للاحساس بأن هذه القراءة الروحية حمل ثقل
عليك ...



الكتاب المقدس

« فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة ، القادرة أن
تخلص نفوسكم » (يع ١ : ٢١)

- + كتاب الله
- + بركات الكتاب
- + الكلمة في حياة رجال الله
- + مركز الكتاب المقدس بين قراءنا
- + لماذا ندرس الكتاب المقدس
- + كيف ندرس كلمة الله
- + طرق لدراسة الكتاب
- + الكنيسة القبطية والكتاب

كتاب الله

على الرغم من ترايد المطبوعات والكتب التى تصدر كل يوم ، وتقدم المعرفة الانسانية ، فالكتاب المقدس مايزال الكتاب الاول بينها على الاطلاق ، فهو بحق كتاب الله وكتاب الكتب ...

وتسميته « بالكتاب المقدس » ليست من وضع البشر ، بل هى تسمية الروح القدس كاتب الكتاب « انك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة ان تحبك للخلاص بالايمان الذى فى المسيح يسوع » (٢ تى ١٥:٣) ... « اجعل الله الذى سبق فوعده به بأنبيائه فى الكتب المقدسة » (رو ١ : ٢ ، ٢) ... وهذه التسمية تفرق — ولا شك — بين رسالة الله « الكتاب المقدس » وبين الكتب الأخرى التى يؤلفها الانسان فى شتى فروع المعرفة ...

الكتاب المقدس هو كتاب الله من أوله الى آخره . فهو وان كان يضم بين دفتيه أسفاراً (كتباً) كثيرة ، بعضها ينسب الى كتاب معينين كجوسى وداود وسليمان ومتى ولوقا وبولس ، لكنها ليست من كتاباتهم الخاصة ... **ان كاتب الكتاب من أوله الى آخره هو الروح القدس — روح الله « عالمين هذا أولا ان كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ٢١) ... ويقول بولس الرسول « كل الكتاب هو موحى به من الله » (٢ تى ٣ : ١٦) ... وكل الذين كرسوا جهودهم لمقاومة الكتاب ، وأخذوا يدرسونه بغية الوصول الى وسيلة للنيل منه ، اما أنه جذبهم بشباكه ، واما أنه حطهم !!**

والكتاب المقدس عهدان : العهد القديم والعهد الجديد . وكلمة عهد معناها ميثاق بين الله والناس ... وسميها أيضا عهدا لان كلا منهما ختم بالدم . العهد القديم بدم الذبائح الحيوانية ، والعهد الجديد بدم المسيح .

وحدة الكتاب وهدفه :

الكتاب المقدس كتاب عجيب حقا ... انه يحوى ٧٣ سفرا (٤٦) تألف العهد القديم ، ٢٧ تألف العهد الجديد) ، استغرقت كتابتها نحو ١٥٠٠ سنة ، واشترك فى هذا العمل نحو أربعين كاتباً متباينين فى الثقافة ... فمنهم الملك كداود وسليمان ، وراعى الغنم كعاموس ، والكاهن كزكريا ، والنبي كصموئيل

واشعيا ، والمشرع كهوسى ، والقائد كيشوع ، وصياد السمك كبطرس ويوحنا ، والفيلسوف كبولس ، والطبيب كلوقا ... وكتب فى أماكن متفرقة: بركة سيناء ، بركة اليهودية ، مغارة عدلام ، سجن روما ، جزيرة بطمس ، تصور جبل صهيون ، ضفاف أنهار بابل ، اورشليم بعد إعادة بنائها ... ومع كل هذا التباين فى شخصيات الكتاب وأماكن وأزمنة كتابتهم ، فإن أسفاره الثلاثة والسبعين تؤلف كتابا واحدا ... واحدا فى الروح والموضوع والهدف ... ولا عجب فى ذلك :

(١) فالمحور الذى يدور عليه الكتاب من أوله الى آخره هو « يسوع المسيح ابن الله » . ففى مدأة الكتاب المقدس نجده معلنا أنه هو الذى يسحق رأس الحية « ابليس » (تك ٣ : ١٥) ... وفى نهاية الكتاب (سفر الرؤيا) نقرأ منه أنه آت سريعا وأجرته معه ليجازى كل واحد كما يكون عمله (رؤ ٢٢ : ١٢) . وقد أكد الرب يسوع هذه الحقيقة حينما قال لليهود عن كتبهم المقدسة « وهى التى تشهد لى » (يو ٥ : ٣٩) ... وفى مساء يوم قيامته لمصر لتلهذى عمواس الأمور المختصة به فى « كتب موسى والأنبياء » (لو ٢٤ : ٢٧) . وعاد وأكد هذه الحقيقة لتلاميذه مجتمعين قبيل صعوده بقوله « هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم ، أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير » (لو ٢٤ : ٤٤) .

(٢) أما لب الكتاب فهو طريقة الله مع الناس ... اقترابه منهم بمقتضى نعمته المجانية وحياء رجائهم فيه ... ان قصة الله فى كل الكتاب هى الاقتراب من الانسان المخبئ حيث هو ليعلم له ذاته ويحيى فيه الرجاء . لقد نادى الرب آدم بعد أن أخطأ وقال له « أين أنت » (تك ٣ : ٩) ... الانسان يخبئ من الله فى كل مكان وفى كل عمل ، والله يبحث عنه ويظهر له طريق الخلاص ...

ان الله فى الكتاب المقدس غيره فى كتب الديانات الأخرى . ففى الديانات الأخرى نرى الانسان يسمى نحو الله ، أما فى المسيحية فالله يسمى نحو الانسان وهذا هو جمال المسيحية . فالانسان الناقص الخطيئ المحاط بالضعف من كل جانب يستحيل عليه أن يصل بذاته الى الله القدوس الذى بلا شر ، الساكن فى نور لا يدنى منه ... !!

(٣) والكتاب المقدس يعلمنا أن نعمة الله لا تلتينا بطريق مباشر ، بل دائما عن طريق وسيط ... انه يعلمنا انه — لنوال الغفران عن الخطايا — لابد من عمل التكفير والوساطة . وليست المسألة أن الله يتغاضى عن الخطية وكفى ... وتسرى هذه الفكرة فى الكتاب كله من أوله الى آخره . ومن هنا

نجد المهد القديم ملئاً بالتنبؤات عن المسيح (« الإله الواحد الوسيط بين الله والفلس ») (١ : ٢ : ٥) ... والإنجيل تظهره حاضراً عاملاً والرسائل تنظر إليه بايمان ومعرفة وتتوقع مجيئه الثانى ، وسفر الرؤيا يتحدث عن سلطانه وملكه اللانهائى ...

الكتاب الخالد :

يمتاز الكتاب المقدس بتأثيره العميق فى نفوس قارئيه الذين يتقدمون اليه بايمان واتضاع . لقد حمل ، ومازال يحمل كثيرين من قارئيه على ترك خطاياهم معها كانت مستعصية وثقيلة ... ان الكتاب بالنسبة للمؤمنين الحقيقيين كشمشون بكل قوته ، وبالنسبة للكافرين ولغير المؤمنين كشمشون نفسه لكن بعد ان حلق شعره وفقد قوته !!

وعلى الرغم من انه قد ترجم الى نحو ٨٥٠ لغة ، لكنه لم يفقد قوته وفاعليته وتأثيره ، وذلك راجع الى ان سر قوته ليست فى بلاغته اللفظية واسلوبه الاحاذ ، بل فى الروح الذى تحويه كلماته ... قال الرب يسوع « الكلام الذى اكلمكم به هو روح وحياة » (يو ٦ : ٦٣) ... لقد استطاع ان يجذب ملايين القلوب الى الله بعد ان حركها الى التوبة ، وادخل اليها المرح والسلام وملاها بالرجاء . ولا عجب فى ذلك فهو كتاب حى قوى لمعال فى نفوس من يقرأونه بايمان ...

قال فولتير المفكر الفرنسى فى القرن الثامن عشر ان اثنى عشر رجلاً وضعوا أسس المسيحية وأنه بمفرده يتقدم لدحضها ، وان الكتاب المقدس سيمتبر كتاباً منسياً خلال مائة عام ... وها قد مضت عشرات الاعوام بعد المائة عام ولم يحدث شيء مما توقعه فولتير ، بل حدث العكس . **فالتقى العلمى** الذى وجه بشدة الى الكتاب فى القرنين الثامن والتاسع عشر ، تحول الى دراسة ابقى للكتاب المقدس وتاريخه وكل ما يتعلق به ... وخرج الكتاب من هذه الأزمة — أزمة العصر الحديث — ارسخ مما تصور النقاد ... فلقد ساعدت علوم الآثار والمكتشفات الحديثة والدراسات اللغوية وغيرها على كشف رصانة الكتاب وصدق رواياته بطريقة لم يكن يتوقعها العلماء ... نعم سيظل الكتاب المقدس كتاباً خالداً لا يسقط حرف واحد من كلامه اتماماً لقول رب المجد « الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » (مت ٥ : ١٨) ... « السماء والارض تزولان ولكن كلامى لا يزول » (مر ١٣ : ٣١) (انظر رؤيا ٢٢ : ١٨ — ١٩) .

بَرَكَاتُ الْكِتَابِ

لكلام الله بركات لا تحصى ... لم نقرأ عن انسان عاش عيشة القداسة الا وكان للكتاب المقدس التصيب الاكبر في تكوين حياته الروحية . ولم نسمع من خادم أمين أو مبشر ناجح أو بطل مجاهد من أبطال الايمان الا وكان الكتاب هو سر نجاحه ومصدر الهامه ومسنده وقوته ... لقد أمر الله قديما أن يوضع **لوحا العهد المدونة عليهما الوصايا العشر المكتوبة بلصبع الله في تابوت العهد** حيث تحفظ أيضا قسط المن ... ولا شك أن هذا كان إشارة لطيفة الى أن قلب المؤمن المحفوظة فيه كلمة الله هو الذى يسكنه الرب يسوع المن الحقيقى النازل من السماء ، حياة لكل العالم ...

كلنا نعلم أنه بسبب المعصية الاولى نفى البشر جميعا من الفردوس — وطنهم الاول — الى عالما الذى نحيا فيه ، والمثب به دار غربة ، نحن كلنا غرباء فيها ... ودار الغربة هذه تمعها الظلمة من كل جانب . والبشر جميعا فى حالة حرب دائمة مع اعدائهم القدامى « اجناد الشر الروحية فى السماويات » ... ولقد أوضح الرب فى كتابه المقدس أن العون الاول لنا فى غربتنا وفى حربنا ضد اعدائنا هو كلام الله ... وهذه **الفكرة والمنسحة تعلم** **الوضوح فى الكتاب كله ... فهو :**

(١) بشارة رجاء وعزاء :

ان البشر جميعا محكوم عليهم بالموت وفناء عصياتهم وتعديهم . والكتاب المقدس يظهر أمامنا كمبشر ... مبشر بالحياة والحرية ، مبشر بالبنوة والعتق من العبودية ، مبشر بزوال لعنة التاموس وحلول بركات الصليب والقيامة ، مبشر بالحياة الفضلى والشركة الالهية ... فما أجملها رسالة ، تلك التى يقوم بها الكتاب « ما أجمل اقدام المبشرين بالسلام ، المبشرين بالخيرات » (رو ١٠ : ١٥) .

لقد كان اليهود يحتفلون كل خمسين سنة بما يسمى « سنة اليوبيل » ... كانوا يحتفلون بها احتفالا رائعا بمقتضى الشريعة ... وكانت حينما تضرب الأبواق معلنة بدء سنة اليوبيل ، كان الفرح يجد طريقه الى قلوب كثيرة كسيرة ... فالفقير الذى باع بيته أو حقله من جراء ضيق ذات اليد كان يسترده ، والفقير الذى باع ذاته عبدا كان يحرر (لا ٢٥) ... من أجل ذلك طوب المرئم « الشعب العارفين الهتاف » (مز ٨٩ : ١٥) ، والمقصود بالهتاف ، صوت الأبواق المعلنة حلول سنة اليوبيل ...

والكتاب المقدس هو البوق الالهى الذى يشرنا بحلول « سنة الرب المقبولة » (لو ٤ : ١٩) لكى نسترد بيتنا السماوى الذى خسرناه بالخطية وغدناه بالمعصية ، ونستعيد حريتنا بعد ان استعبدنا انفسنا لسلطان الخطية فوقنا فى قبضة ابليس ...

وليس الكتاب المقدس مبشرا بالخلاص والحرية الروحية فقط ، لكنه عامل قوى من عوامل تقوية الرجاء ورفع الروح المعنوية ... فمن امضى اسلحه اعدائنا الروحيين ، اشاعة روح الصف والهزيمة والاستسلام بين شعب الله . والكتاب المقدس ينقض هذه الدعايات الخبيثة ليحل محلها الايمان والاتكال الكامل على الرب ، والثقة فى رجاء خلاصه ، وانه سيأتى بقوة ولو فى الهزيع الاخير من الليل لكل منتظره ...

هكذا نقرأ كلمات موسى لشعبه حينما تملكهم الخوف والفرع « لاتخافوا . تموا وانظروا خلاص الرب ... الرب يقاتل عنكم وانتم تصمبون » (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) ... ونقرأ بعد ذلك عن صنيع الرب مع شعبه فى البرية المقفرة خلال اربعين عاما ، عالمهم خلالها بطعام الملائكة وسقاهم من صخرة صباء ... حفظ ثيابهم ونعالهم فلم يقرب منها البلى ... اعطاهم الغلبة على شعوب تفوقهم عددا وعدة ... هكذا نقرأ عن اعمال الرب العظيمة مع كل خائفيه فى كل زمان ومكان ، وعن مواعيده الكثيرة لهم ... لانه تعلق بى اتجيه . ارفعه لانه عرف اسمى . يدعونى فاستجب له معه انا فى الشدة انتقذه وامجده . طول الايام اثبته واربه خلاصى (مز ٩١ : ١٤ - ١٦) ... نقرأ كلمات رب المجد « ها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) ... نقرأ عن اختبارات بولس « ان كان الله معنا فمن علينا » (رو ٨ : ٣١) ... استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) ... نقرأ ايضا عن حب الرب للخطاة وعطفه عليهم ، فحينئذ لا نياس بل نشدد ونشجع .

ضيقات الحياه ، ما اكثرها وما اعنفها ، فبسببها يعثر كثيرون ويرتدون (مت ٢٤ : ١٠) : لقد اعطانا الرب كتابه ليكون معينا لنا فى غربة هذا الدهر ، ورفيفا امينا ، ومعزيا وفيما قويا ... نجده قريبا منا فى كل الاوقات ، وبستطيع ان نجلس معه نستمع اليه ما نشأنا من وقت . حينما نتكاثر علينا الضيقات ، فليس افضل من كلمة الله تعزينا وتشجعنا ... اما الناس فليس فى كلامهم الخاص عزاء حقيقى ، بل هم كما وصفهم ايوب فى باواه « معزون متعبون » (اى ١٦ : ٢) ...

لقد كان كلام الله هو موضع تعزية جميع رجال الله . فيقول داود « اذكر

لعبدك كلامك الذى جعلسى عليه اكل . هذا الذى عزانى فى مثلتى ...
 نذكرت احكامك منذ الدهر فتعزيت ... لو لم تكن شريعتك لذتى لهلكت
 حينئذ فى مثلتى » (مز ١١٩ : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٩٢) ... وبوضح القديس
 بولس الامر فيقول « كل ماسبق فكتب ، كتب لأجل تعليمنا ، حتى بالصبر
 والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء » (رو ١٥ : ٤) ... وقد طلب الى
 المؤمنين أن يجعلوا من الكتب معزيا لهم فيقول « عزوا بعضكم بعضا بهذا
 الكلام » (١ تمس ٤ : ١٨) ... وموضع التعزية فى كلام الله لا يرجع غقط
 الى ما فيه من قصص رجال الله واحتمالهم وصبرهم وصنيع الرب معهم ، او
 ما يتضمنه من معان مقبولة ... بل يرجع الى أن كلام الكتب المقدسة ، كتب
 بالروح القدس « المعزى » (يو ١٤ : ٢٦) ...

(٢) نور وهداية :

ولعل من أولى بركات كلمة الله أنها تحرك القلوب للتوبة ، سواء عن
 طريق سماعها او قراءتها ... فقد كانت كلمات بطرس الرسول القليلة التى
 جاءت فى شكل عظة القاها فى يوم الخمسين ، سببا فى نخس قلوب ثلاثة آلاف
 نفس آمنتم للمسيح (أع ٢) ... وكانت كلمات بولس الرسول — وهو
 سجين — سببا فى تأثر ، بل ارتعاب فيلكس الوالى ، وان كان — للأسف —
 اضاع الفرصة وصرف بولس قائلا « اما الآن فاذهب ومتى حصلت على وقت
 استدعيك » (أع ٢٤ : ٢٥) ... وكانت قراءة وزير كنداكة الحبشى لسفر
 اشعيا وما صحبه من شرح القديس فيلبس سببا فى ايمانه (أع ٨) ...
 لقد قال الرب قديما بلسان ارميا النبى « اليست هكذا كلمتى كسار ...
 وكحطرفة تحطم الصخر » (ار ٢٣ : ٢٩) ... فكما أن النار تحمى الحديد
 ونجعله اينا ، هكذا كلمة الله تفعل فعلها فى القلوب التى تحجرت بالخطية ،
 والصخر ، هكذا كلمة الله تفعل فعلها فى القلوب التى تحجرت بالخطية ،
 وتسحقها بقوتها ...

والانسان باعتباره غريبا فى الأرض ، يحتاج الى من يرشده ويقوده
 ويأخذ بيده . أن كلمة الله كعمود النور الذى كان يتقدم بنى اسرائيل ...
 وهكذا ترافقنا كلمة الله حتى ندخل — لا اورشليم الأرضية بل السماوية ...
 انها كالنجم الذى هدى المجوس وظل يتقدمهم حتى جاء « ووقف فوق حيث
 كان الصبى » (مت ٢ : ٩) ... هكذا كلمة الله ايضا تتقدمنا وتقودنا
 وتوصلنا الى حيث يسوع ... انها لا تخطئ أبدا ، ولا تضل من يتبعها
 ... ومن هنا كانت كلمات المرتل « غريب انا فى الأرض . لا تخف عني
 وصاياك » (مز ١١٩ : ١٦) ... وهذا ما يشير الى أن وصايا الله خير مرشد
 للنفس فى غربتها ...

انها تحذرننا عندما نحيد عن الطريق القويم « اذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة هذه هي الطريق اسلكوا فيها ، حينما تميلون الى اليمين وحينما تميلون الى اليسار » (اش ٣٠ : ٢١) . هي تعلمنا وترشدنا « لان كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا ، حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء » (رو ١٥ : ٤) . . . « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر . لكي يكون انسان الله كاملا متاهب لكل عمل صالح » (٢ تي ٣ : ١٦ ، ١٧) . **لاغربة انن ان وجدنا رجال الله يتحدثون عن الشريعة كنور وسراج** ، فيقول داود النبي والملك « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلي » (مز ١١٩ : ١٠٥) . وقال سليمان الحكيم « لان الوصية مصباح والشريعة نور » (ام ٦ : ٢٣) . . . والقديس بطرس يشير الى كلام الانبياء يقول « وعندنا الكلمة النبوية . . . التي تفعلون حسنا ان انتبهتم اليها كما الى سراج منير في موضع مظلم ، انى ان يتفجر النهار وبطلع كوكب الصبح في قلوبكم » (٢ بط ١ : ١٦ - ١٩) .

من اجل هذا فان كنيسةنا — تعبيرا عن هذه الحقيقة — توقد الشموع وقت قراءة الانجيل . . . قال القديس ايرونيموس (جيروم) من أباء القرن الرابع المسيحي « ان الشموع التي توقد وقت قراءة الانجيل كالعادة المألوفة في كنائس الشرق ، ليست لتبديد الظلام ، بل ل اظهار الفرح بالانجيل ، كما كانت مصابيح الحكيمات مضيئة ، ليظهر تحت شكل النور ما قاله المثل : سراج لرجلى كلاك ونور لسبيلي . وقول الحكيم : الوصية مصباح والشريعة نور » .

(٣) سلاح وعون :

كلمة الله قوة جبارة لا يستطيع ان يدرك عظم قدرها الا كل من عاش بها وفيها واختبرها . . . ان السيد المسيح الذي ترك لنا مثالا لكي نتبع خطواته (١ بط ٢ : ٢١) استخدم هذا السلاح في حربه مع ابليس الذي تقدم ليجربه . . . لقد كان في كل جولة يرشقه بسهم الهى من كلمات الرب قائلا له « مكتوب . . . » (مت ٤) . . . مغبوط هو الانسان الذي يحفظ كلمة الله ، فان الكلمة تتحول فيه الى قوة . . . مغبوط هو الرجل الذي يملأ جعبته بانسهام الروحانية التي هي كلمة الله . . . حينئذ لا يخشى من ملاقات اعدائه ، على نحو ما فعل الفتى داود بجليات الجبار . . .

لقد وصف الرسول بولس كلمة الله بأنها « حية وفعالة وامضى من كل سيف ذي حدين ، وخارقة الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ، ومميزة افكار القلب ونياته » (عب ٤ : ١٢) . . . تدخل الكلمة الى اعماق القلب فتكشف ما في النفس من نوازع شريرة وافكار اثيمة ، ثم تعمل عملها

تستأصل من النفس الشر لأنها أمضى من السيف ذى الحدين ... أما سبب قوة الكلمة — فعلى حد تعبير القديس أنثاسيوس الرسولى — أن الرب كائن فى كلماته ... ؟

حينما أوصى معلمنا بولس مؤمنى كنيسة أفسس أن يلبسوا « سلاح الكامل » لكى يقدرُوا أن يثبتُوا ضد مكيد إبليس ، ذكر أنواعا من هذه الأسلحة ... فتكلم عن درع انبر ، وترس الايمان ، وخوذة الخلاص ... وهذه كلها — مع كونها أسلحة تستخدم فى وقت القتال — لكنها أسلحة سلبية أى للوقاية ... ثم تقدم الرسول وتحدث عن سلاح ايجابى قوى « سيف الروح الذى هو كلمة الله » (اف ٦ : ١٠ — ١٧) ... ان كلمة الله كالسيف للمقاتل ، به يصارع عدوه ...

ليس بخصى ما لكلمة الله من قوة فى جهادنا الروحى، اذ لها قدرة على رد النفس الى طريق الكمال « ناموس الرب كامل يرد النفس » (مز ١٩ : ٧) ... ولها القدرة أيضا على تنقيتنا من نقائصنا كما قال الرب يسوع « انتم الآن انقياء بسبب الكلام الذى كلمتكم به » (يو ١٥ : ٣) ... بل انها تقديس النفس « قدسهم فى حقك . كلامك هو حق » (يو ١٧ : ٧) ... وبالجمله مانها تبني حياتنا الروحية « والآن استودعكم يا اخوتى لله ولكلمة نعمته القادرة ان تبنيكم وتعطيكم ميراثا مع جميع المقدسين » (اع ٢٠ : ٣٢) ... وهى أيضا قادرة على خلاصنا « فاقبلوا بدعاة الكلمة المخروسة القادرة ان تخلص نفوسكم » (يع ١ : ٢١) .

وكلمة الله منطقة للذهن . فعندما يشرذم الفكر بعيدا عن الله ، ويبدا فى الانزلاق الى مهاوى الرذيلة ، تعمل الكلمة عملها وتتقدم لتعطي يقظة وانتباه للفكر . ولذا يقول القديس بطرس « منطوقوا احقاء ذهنكم صاحين » (١ بط ١ : ١٣) ... ويقول معلمنا بولس « فاثبتوا منطقين احقايمكم بالحق » (اف ٦ : ١٤) .. وما الحق الا كلمة الله « كلامك هو حق » (يو ١٧ : ١٧) .

بعد ان آلت قيادة الشعب الى يشوع بن نون عقب انتقال موسى النبى، بدأ الله عمله معه بقوله « لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه بهارا وليلا لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه . لانك حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح » (يش ١ : ٨) ... وواضح من كلمات الرب هذه انها امر صريح بعدم مبارحة كلماته لامواها ... والسبب « لكى تتحفظ للعمل » ... اما النتيجة « حينئذ تصلح طريقك ، وحينئذ تفلح » ...

وئمة اختبار جميل يحدثنا عنه المزمع فى مطلع الزامير « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ... لكن فى ناموس الرب مسرته ، وفى

ناموسه بلهج نهارا وليلا ، فيكون كشجرة مفروسة عند مجارى المياه ، التى تعطى ثمرها فى اوانه ، وورقها لا يذبل ، وكل ما يصنع ينجح » (مز ١٠١: ٣) ... ما أروع اختبار المرتل ، وما أروع التشبيه الذى أورده عن النفس التى جعلت مسرتها فى كلمة الرب ... ان مجارى الانهار التى اثار اليها المرنم هى عمل الروح القدس فى المؤمن (يو ٧ : ٣٨ ، ٣٩) ... الروح القدس الذى كتب الكتاب ...

(٤) مقياس للكمال والنمو :

كثيرا ما ينحرف المسيحي عن الحق متأثرا بروح العصر والتقليد والمحاكاة ... وحينئذ تنقلب القيم الروحية فى نظره . وتأخذ المقاييس صورة حسب هواه وتصوره ودوافعه الاثناشعورية ، فيظن ان حياته لا بأس بها طالما هو بعيد عن الخطايا الكبيرة — حسب تقديره ... لكن حينما يلجأ الى كتاب الله — الكتاب الكامل والمصوم من الخطا — ويحتكم اليه ويقرأ مثلا كيف ان الله يطالبنا جميعا بحياة الكمال ، حينئذ يكشف عيوبه ويلمس أخطائه ... يجب ان نمتحن كل شيء على ضوء الكلمة ، « الى الشريعة وإلى الشهادة » ان لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر » (اش ٢٠: ٨) . واليهود فى بيري ، لما وصل اليهم بولس وسيلا وكلماهم عن الايمان بالمسيح « قبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الأمور هكذا » (١٧ : ١١) ... ان الكتاب المقدس كالميزان الدقيق الذى نوضع فيه . فيظهر ثقل خطايانا فننوب عنها . انه بذلك يقودنا الى طريق الكمال . حقا ما أجمل ما قاله داود العظيم « ناموس الرب كامل يرد النفوس » (مز ١٩ : ٧) ... وقال معلمنا بولس ايضا « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتاديب الذى فى البر ، لكي يكون انسان الله كاملا متاهيا لكل صالح » (٢ تي ٣ : ١٦ ، ١٧) .

وقال الرب يسوع لليهود الذين اتوا ليحاجوه « الذى من الله يسمع الله . لذلك انتم لستم تسمعون لانكم لستم من الله » (يو ٨ : ٤٧) ... ان كلمات الرب هذه توضح لنا زاوية هامة من زوايا حياتنا الروحية ... نستطيع ان نقيس نمونا فى النعمة بمقياس نمو محبتنا لدراسة كلمة الله . فى الوقت الذى نفقد فيه الشهية الى خبز الحياة ، لنناكد اننا نعماتى من مرض روحى ، قد يكون مرجعه الى عدم استنشاق القدر الكافى من الهواء المنعش فى جو الشركة مع الله ... يؤكد ذلك ما قاله القديس يوحنا زبى العم لشمسه فى احدى عظائمه « اننى حينما ارى شدة رغبتكم واسراكم بالجرى الى هنا لكي تسمعوا التعليم المقدس ، واشاهد حرارة شهوتكم واشتياقكم الى الخبز الروحى الذى هو كلام الله ، يتضح لى من ذلك نموكم

في الفضيلة . لأنه كما نحكم على الجسد أنه حاصل على حال الصحة حينما نراه يتناول الأطعمة بشهية والتذاذ ، هكذا جوعكم لكلام الله يوضح لنا جليا حسن استعداد أنفسكم وصحتها الكاملة » .

البِتَّابُ فِي حَيَاةِ رَجَالِ تَدْرُ

لنسا نعريف واحدا من رجال الله القديسين الا وكانت كلمة الله هي أساس حياته الروحية . ولنسا نعريف خاتما ناجحا في خدمته الا وكانت كلمة الله هي أساس خدمته ، شبع منها وتلذذ بها ، وأروى بها كل النفوس العطشى ... كانت كلمة الله — وما زالت — هي المائدة الروحية ، التي يقات منها كل القديسين سواء كانوا مبشرين أو خداما أو نساكا أو مجرد مؤمنين عاديين ... كانوا يلهجون فيها نهارا وإيلا ... حفظوا كلمة الله فحفظتهم الكلمة ، استقاروا بها فانارت أمامهم الطريق ، وجعلتهم نورا أضاء لكثيرين ...

في المهدد التحيم :

منذ البدء والله يشدد على أهمية الكلمة ... قال موسى عبده موسى « فكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك . وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك ، وحين تمشي في الطريق ، وحين تسلم ، وحين تقوم ، وأربطها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك ، واكتبها على قوائم أبواب بيتك ، وعلى أبوابك » (تث ٦ : ٦ - ٨) الا تحتاج هذه الكلمات منا الى وقفات طويلة . أنزل حبنا لكلمة الله على أساسها ؟

وحيثما بدأ عمله مع يشوع الذي خلف موسى في قيادة الشعب ، كانت أولى وصايا الله له خاصة بحفظ الكلمة « لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه نهارا وإيلا لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه . لأنك حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تنجح » (يش ١ : ٨) . . . انه أمر صريح من الله بالايبرح كلامه فهو انما حتى نتحفظ لاسام ارادة الرب . . .

أما داود العظيم ، النبي والملك ، فالفلم يعجز عن وصف صلته بكلمة الله . . . ان ترانيمه كلها مشحونة بالتفنى بكلمة الله وحه لها . فيقول في احداها « أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت ، وشريعتك في وسط أحشائي » (مز ، ٤ : ٨) . يا للقلب الكبير المحب الذي عبر هذا التعبير « شريعتك في وسط أحشائي » . . . انه يحتاج الى وقفة تأملية كبيرة ... لكن لنترك

كل ما خلفه داود ، ونقف قليلا عند الترنيمة الخالدة — ترنيمة الحب لكلمة الله التي تضمنها المزمور المائة والتاسع عشر ، وهو مزمور غريد بين اصحابات الكتاب المقدس ، هو أطولها على الإطلاق ، وتكاد لا تخلو آية واحدة من آياته المئة وست وسبعين من لفظ يعنى الكتاب المقدس ، مثل قوله : شريعتك ، وصاياك ، فرائضك ، أحكامك ، ناموسك ... **وترنما هذه الانشودة ان كلمة الله هي حياة المؤمن في كل اوقات حياته :**

فهي سر قوته في سن الشباب « بماذا يقوم الشاب طريقه ، يحفظ أقوالك » (آية ٩) ... وهي لهج المؤمن طوال اليوم « كم أحببت شريعتك ، لليوم كله هي لهجي » (آية ٩٧) ... بل هي لهجه في الليل أيضا « تمتعت عيناى الهزع لكى الملح بأقوالك » (آية ١٤٨) ... بل هي العزاء الى ابد الدهور « وصيتك جعلتنى أحكم من أعدائى ، لأنها ثابتة لى الى الأبد » (آية ٩٨) ... بل لقد صارت كلمة الله اعز شئ لى فيه فيهتف في حب « شريعته فبك خير لى من الوف ذهب وفضة » (آية ٧٢) ... « لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والأبريز » (آية ١٢٧) ... وبين أن دراسة كلمة الله لها لذة عميقة فيقول « اشتقت الى خلاصك يارب ، وشريعتك هي لذتى » (آية ١٧٤) ... بل انها تعطيه روحا جديدة « فتحت فمى واجتذبت لى روحا ، لأنى لوصاياك اشتقت » (آية ١٣١) ...

هذا عن داود قيارة الروح . ويلقى ابنه سليمان الحكيم ويقول « يا ابنى احفظ كلامى وانخر وصاياى عندك . احفظ وصاياى فتحيا ، وشريعتى كحديقة عينك . اربطها على أصابعك . اكتبها على لوح قلبك » (ا م ٧ : ١ - ٣) . أما ارميا النبى فيظهر اشتياقه لكلمة الله وكأنه يلتهمها التهللا فيقول : « وجد كلامك فأكلته ، فكان كلامك لى للفرح ولبهجة قلبى » (أر ١٥ : ١٦) ... واذا انتقلنا الى حزقيال النبى نجد أن الله يظهر لنا قوة الكلمة ولذتها بكلام عجيب « فقال لى يا ابن آدم كل ما تجده . كل هذا الدرج واذهب كلم بيت اسرائيل . ففتحت فمى فأطعمنى ذلك الدرج . وقال لى يا ابن آدم اطعم بطنك واملا جوفك من هذا الدرج الذى أنا معطيك اياه ، فلكلته فصار فى فمى كالغسل حلاوة . فقال لى يا ابن آدم اذهب امض الى بيت اسرائيل و كلمهم بكلامى ... » (حزقيال ٣ : ١ - ٤) .

فى العهد الجديد :

واذا تركنا العهد القديم وانتقلنا الى العهد الجديد ، نجد رفا يسوع المسيح يبرز مكانة الكلمة . ففى السنة الثانية عشر لتجسده الالهى ، وجد جالسا بين المعلمين فى الهيكل كصبي يحب كلمة الله ، يسمع المعلمين

ويسألهم (لو ٢ : ٤٦) . وحينما أرفض أن يجرب من إبليس ، قهره بقوة الكلمة ، فكان يجاوبه في كل مرة بقوله « مكتوب ... » . وأوضح لنا أن الكلمة هي طعام الروح « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤ : ٤) ، وانها برهان حبه « أن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » (يو ١٤ : ١٥) ... « الكلام الذى اكلمكم به هو روح وحياة » (يو ٦ : ٦٣) ... بل اظهر لنا أن الجهل بها هو منشأ الضلال . قال لليهود المكابريين « تضلون اذ لاتعرفون الكتب ولا قوة الله » (مت ٢٢ : ٢٩) . بل أكثر من هذا ، أوضح لنا أن الكتب المقدسة كافية ومقتدرة في عملها لخللاص البشر . ففى مثل الفنى ولعازر الذى ضربه ، حينما طلب الفنى من ابراهيم أن يرسل لعازر الى اخوته الخسة ناصحا ، كن جواب ابراهيم « عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم » ! .. لكن الفنى عاد وطلب من ابراهيم متوسلا « بل اذا مضى اليهم واحد من الأموات يتوبون » فكان جواب ابراهيم في هذه المرة فاصلا « ان كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ، ولا أن قام واحد من الأموات يصدقون » (لو ١٦ : ٢٧ - ٣١) . وحينما رفعت امرأة صوتها وسط الجمع نمدح أقرب طوبى للبطن الذى حملك والنديين اللذان رصعتهما « ، كان جوابه « بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » (لو ١١ : ٢٧ ، ٢٨) .

وكان المسيحون يحرصون على تلقين اولادهم كلام الله منذ الصغر . وقد اشار معلمنا بولس الى ذلك حينما قال لتيموثاوس « لانك منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة ، القادرة أن تحملك للخلاص الذى فى المسيح يسوع » (٢ تي ٣ : ١٥) ... أما الشباب فكانت الكلمة هي مصدر ثباتهم وقوتهم . فكذب اليهم القديس بوحنا الحبيب يقول « كتبت اليكم ايها الأحداث لانكم اقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم . وقد غلبتم الشرير » (١ يو ٢ : ١٤) ... والرسائل مليئة بالعبارات التى تظهر أهمية كلمة الله - وقد ذكرنا طرفا منها فى حديثنا عن بركات الكتاب . واخيرا نجد الله يظهر مكانة الكلمة فى سفر الرؤيا فيقول « طوبى للذى يقرأ وللذين يسمعون اقوال النبوة ، ويحفظون ما هو مكتوب فيها » (رؤ ١ : ٣) .

وقد انطبعت كل هذه التوجيهات الكتابية فى حياة قديس الكنيسة المسيحية ، فنجدهم وقد ضربوا بسهم وأمر فى دراسة الكتاب المقدس ، وحفظوا منه اجزاء كثيرة عن ظهر قلب ... وليس سفر المزامير الا واحدا من الاسفار المقدسة المحبوبة التى حفظوها واستعملوها فى صلواتهم ... ونحن نلمس هذه الحقيقة واضحة فى اقوالهم وكتاباتهم ، مما يدل على أن كلمة المسيح كانت تسكن فيهم بفنى (كو ٣ : ١٦) .

مركز الكتاب المقدس بين قراءاتنا

تتزايد المطبوعات كل يوم ، حتى أن الإنسان لا يجد الوقت لقراءة كل ما يريد ، ولذلك يختار البعض فقط تاركا الكثير . وعلى الرغم من أن في الكتب والمجلات والنبذات كثيرا من المعرفة الدينية حول الكتاب المقدس واللاهوت والمعقدة والتاريخ الكنسي وغيرها مما كتبه قديسون وعلماء ، إلا أنه ما من شك في أن الكتاب المقدس يفوقها جميعا بدرجة لا حد لها . أنه الشمس وما عداها كواكب معتمة تنعكس من الضوء الباهر الساقط عليها منه . **ولذلك لا يليق أبدا في أي وقت من الأوقات أن نعتد على هذه الكتب دون الكتاب الأقدس** ، الذي يجب أن يكون له وقته المخصص لدراسته . أن المواعظ القوية والدروس الكتابية والمجلات الدورية ، والكتب الدينية ، لا يمكن — بحال من الأحوال — أن تنوب عن الدراسة الشخصية الهادئة لكلمة الله ... **ما أكثر ما نخطئ حين تكون قراءتنا في الكتب التي من وضع البشر أكثر من قراءتنا في كتاب الله** .. « طوبى للرجل الذي تؤدبه يارب وتعلمه من شريعته » (مز ١١٩ : ١٢) .

قليل من الناس كان يعرف القراءة قديما ، ولم تكن هناك طباعة وانتشار للكتب . ولذلك كان الناس يجتمعون حول أحد القارئ الذي يملك نسخة من الكتاب المقدس أو بعض أسفاره ، لكي يقرأ لهم . وكانوا ينصتون بخشوع وفرح شاكرين الرب على تلك الفرصة الفريدة . متذكرون تطويب الرب « طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ، ويحفظون ما هو مكتوب فيها » (رؤ ١ : ٣) ...

أما في الوقت الحاضر فالكتاب في متناول كل إنسان ، والذين يعرفون القراءة كثيرون جدا ومع هذا فقليلون هم الذين يقبلون بشغف على الارتشاد من ينبوع الكتاب الحي ... **أن وزنة معرفة القراءة هي من أهم وزنات الإنسان الحاضر** . فلا يليق به أن يقف أمام عرش رب المجد في النهاية ، ليعتذر عن عدم استعماله هذه الوزنة في دراسة كلمته المحيية .. لو أن صديقا عزيزا أرسل لك خطابا ، لفضضنه في لهفة لتقرأ ما فيه ، وتقف على ما يريد أن يوجهه إليك من أخبار ... كل ذلك تفعله في شوق وفرح ... ليست هذه المشاعر أجدر أن تكون نحو الذي يرسل لك رسائله المقدسة ، يسر إليك فيها بالمكتومات العالية ، والأخبار والمواعيد المملوءة من الفرح والمسرة ، وتحمل إليك نسيم التعزية ولحن الخلود !! ليست هي جذيرة بمثل مشاعر داود « لانتى اشتبهت وصياك . اشتقت الى خلاصك يارب وناموسك هو لهجتي » (مز ١١٩ : ١٧٣ ، ١٧٤) ... أن كان قد قيل

« اسمعنى سرورا وفرحا غتبتهج عظامى المنسحقة » (مز ٥١ : ٨) ، وأيضا
« الخبر الطيب يسمن العظام » (أم ٥ : ٣) ... غليس من كلام يحمل
بشرى الخلاص أكثر من الكتاب المقدس ، وهو قوت الروح وغذاء القلوب ...

ينبغى أن يكون للتلاميذ ساعات معينة ، يلتقون فيها بمعلمهم الرب يسوع ... وينبغى أن يكون لكلته المكان الأول في أفكارنا ... يجب أن تعطى الرب باكورة الوقت ، أى الساعات الأولى من النهار ، لأننا يصعب أن نعطي انتباهنا للأفكار المقدسة بعد أن نكون قد انهمكنا في أعمالنا اليومية .. لقد كان لزاما على بنى اسرائيل قديما وهم في البرية أن يجمعوا المن قبل طلوع الشمس وزوال الندى ، والا ذاب وضاع . **وعلى هذا النحو يجب أن نقضى وقتنا لا يلس به قبل تناول الإفطار في دراسة حبية انفرادية للكتاب ، نلتقط فيها المن الروحى غذاء لأرواحنا ونحن نسلك بركة هذا العالم .**

٢

لا ننكر أن ساعة الصباح قبل تناول الإفطار ليست ميسورة للبعض بحكم ظروفهم وأعمالهم ... ان الله الحنون محب البشر يعلم ظروف هؤلاء الأبناء ، ولذا يدبر لهم تدبرا خاصا ويلتقى بهم اذا دعت الضرورة في وقت آخر من النهار ، وسوف يعطيهم اجرا كاملا كما فعل مع اصحاب الساعة الحادية عشر (مت ٢٠ : ٩) . **ولا ننكر أيضا أن الوقت الكافى للجلسات الحبية الانفرادية مع الله امام كتابه المقدس ، ربما لا يكون متاحا فلجميع بدرجة متساوية ... ولكن الرب يكرر لهؤلاء من جديد معجزة المن .** وفى ذلك يتم قول الوحى الالهى « الذى جمع كثيرا لم يفضل ، والذى جمع قليلا لم ينقص » (٢ كو ٨ : ١٥) . أى اذا كنا بسبب ظروفنا القاهرة لا نملك الا أن نلتقط قليلا من المن الروحى ، فان هذه مع قلتها ستكوننا كل اليوم ...

ونود ان نلفت النظر هنا الى واجبنا نحو أطفالنا الى كلام الله ... لقد امر الله شعبه قديما أن يقتصوا كلامه على أولادهم « لتكون هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك ... » (تث ٦ : ٧) « ضموا كلماتى هذه على قلوبكم ونفوسكم ... وعلبوها أولادكم ... » (تث ١١ : ١٨ ، ١٩) .. وقد تم الوالدان الأمناء وصية الرب هذه ، ولذا مان معلما بولس الرسول حينما امتدح التلميذ تيموثاوس لأنه منذ الطفولية يعرف الكتب المقدسة ، أشار الى ايمان جدته لوثيس رامة افنيكى (٢ تى ١ : ٥) ... ولذا كم يجب علينا أن نعود أطفالنا ، قبل أن يعرفوا القراءة أن يستمعوا الى كلمة الله ، وحين أن يعرفوا القراءة أن يدرسوا فيها ...

لماذا ندرس الكتاب المقدس ؟

ماكثر الفوائد الجليلة التى لنا فى دراسة كتاب الله المقدس ، فهو :

(١) كتاب الخلاص :

هو الكتاب الذى يشرح لنا قضية خلاص البشرية من خطيتها ، ونهوضها من سقطتها بواسطة الفداء الذى صنعه الله لشعبه ، بل للعالم أجمع ، سموت ابنه يسوع المسيح ... ليس شئ آخر أهم من هذه القضية ... فهى القضية التى تتعلق بغفران خطايانا ، وخلصنا ، ونصرتنا ، وبهلاكنا الأبدى أو حياتنا الأبدية ... « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) . « الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية . والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله » (يو ٣ : ٣٦) ... « من هو الذى يغلب العالم الا الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله » (١ يو ٥ : ٥) .

المهد القديم يروى لنا اعمال الله مع انبيائه وشعبه ، وتعاليمه لهم ووصاياه الخاصة بالنسوك والعبادة والإيمان ... كما أورد لنا رموزا ونبوات عن مجيئه متجسدا ... والمهد الجديد يحدثنا عن اتمام هذه النبوات فى شخص يسوع المسيح ربنا ، وسيرته المقدسة فى الجسد ، وتعاليمه لنا بخصوص هذه الحياة الجديدة .

وعلى هذا فيمكن اعتبار الكتاب المقدس انه يحوى موضوعا واحدا متصلا ، هو قصة البشرية التى هى اساس الديانة ، واساس الحياة الأبدية ، وسعادة البشر ، وأهم حادث فى الوجود . من أجل هذا قال رب المجد لليهود المقاومين ، المدعين معرفة الكتب المقدسة « فمشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى التى تشهد لى ، ولا تريدون أن تاتوا انى لتكون لكم حياة » (يو ٥ : ٣٩ ، ٤٠) ... فالحسيد المسيح يخاطب اليهود بقوله « تظنون أن لكم فيها حياة » لأنهم كانوا يدرسونها لياخذوا منها الناموس الطبقى ، بينما رمضوا تعاليمها عن المسيح .. ولو فطنوا لوجدوا انها تشهد له ... أما نحن فلنفتش هذه الكتب المقدسة ، لأنها تحمل لنا بالحق رسالة الخلاص ، وقادرة على اقتيادنا الى مصدر الحياة والحق والخلود ...

(٢) غذاء الروح :

يعال الجسد بالماكولات المادية المتنوعة ، وتعال الروح بالاطعمة

الروحية المختلفة كالصلاة ودرس كلمة الله ، والتناول من جسد الرب ودمه الأقدس ... وان كان بين الأطعمة الروحية ما لا يسهل الحصول عليه كل يوم ، إلا أن هناك نوعين يعبران الغذاء اليومي للمؤمن ، وهما الصلاة وكلمة الله . **في الصلاة** نتخاطب إلى الله ، و**بدرس الكتاب** يتحدث هو إلينا ، ويصحب تعبير القديس أمبروسيوس « **أتنا نخاطبه حينما نصلي ، وتصلي إليه حينما نقرأ الكتب المقدسة** » ... وكان هذين الطعامين اثروحين هما سلكا الكهباء المتصلان بمصدر القوة الروحية الذي نستمد منه طاقتنا اليومية ... فتيار من القلب إليه ، وتيار منه إلى القلب ... وهكذا تستمر ..

ماذا يحدث لو أن كائنًا حيا لم يتعاط غذاءه في حينه ؟ لا شك أنه يضعف تدريجيا حتى يموت . وعلى هذا النحو ، الروح ... لها غذاؤها الخاص ، الذي إن لم تتعاطه تجف وتذبل ... لقد تكلمنا سابقا عن مركات الكتاب المختلفة ، وخطة ابليس في حربه مع بني البشر ، أن يجعلهم يتهاونون بكلمة الله ودرسها ، حتى يحرمهم من بركاتها ، وهكذا رويدا رويدا حتى يصبحوا بجليلتهم في قبضة يده . وقد احتبر معلمنا داود هذا الاختبار فقال « **لو لم تكن شريعتك لذتي ، لهلكت حينئذ في ملثتي** » (مز ١١٩ : ٩٣) ..

حينما نتعاطى الطعام المادي ، لانرى كيف يتحول غينا إلى طاقة وإلى أنسجة في جسدنا وكيف يعطينا قوة الحياة ... ومع ذلك فنحن نأكل ونشرب لأن التحول يجري في الخفاء ، ولبس القوة حينما ننهض للعمل ... وهذا هو عين ما يحدث في حياتنا الروحية . **فنحن نتناول طعام الروح ، الذي يتحول غينا إلى طاقة روحية ، يظهر أثرها وعملها وقت الحاجة ...** طوبى للمؤمن الذي كما يهتم بأن يقيت جسده يهتم أيضا باطعام روحه غذاءها الخاص الذي قال عنه الرب « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤ : ٤) .

(٣) قانون الدينونة الأخيرة :

وبالإضافة إلى أن الكتاب المقدس هو كتاب خلاصنا ، وغذاء أرواحنا ، فهو أيضا القانون الذي سندان به والعالم أجمع في اليوم الأخير ... قال الرب يسوع « من ردلنى ولم يقبل كلامى ، فله من يدينه ، الكلام الذى تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير » (يو ٢ : ٤٨) ... وقال معلمنا بولس الرسول « في اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب انجيلي بيسوع المسيح » (رو ٢ : ١٦) ... واذا كنا سندان بالكتاب ، فمن الخير أن نعرفه ونحيا بحسب وصاياه ، خاصة وقد رسم لنا بعض مشاهد الدينونة ...

كيف ندرّس كلماته؟

(١١) بالروح :

الكتاب المقدس ليس كتابا عاديا من نتاج عقل بشري ، إنما هو كتاب الله الصادر عن عقله الإلهي ، المكتوب بروحه القدس . قد يقرأ انسان جزءا من الكتاب فيجده كلاما عاديا ، بينما يقرأ آخر فيثبوق حلاوة ، ويكتشف عمقا عجيبا ... **والحق أن الكتاب غاية في العمق الروحي ... وأعماق الكتاب مسترة خلف كلماته الظاهرة المتطورة ...**

تستطيع العين البشرية المادية أن تقرأ كلمات الكتاب المطبوعة على الورق ، وتفهم معانيها القريبة أو المباشرة ، يشاركها في ذلك معظم الناس ، لكن قليلين هم الذين يستطيعون أن يقفوا على قصد الله من كلماته ، فيقرأوا ما هو مستور خلفها ... **أن الأمر يحتاج إلى أن يكشف الرب عن عيوننا فنرى مقاصده وهذا ما حدا بدادود أن يسأل الرب « اكشف عن عيني ، فأرى عجائب من شريعتك » (مز ١١٩ : ١٨) ... فلولاد الله قد أعطى لهم أن يعرفوا أسرار ملكوت السموات (مت ١٣ : ١١) .**

حينما أحاط جيش ملك آرام بمدينة دوثان التي كان فيها اليشع النبي ليقبض عليه ، ورأى جيحزي تلميذه ذلك المنظر ، ارتاع وقال لمعلمه « آه ينسبدي كيف نعمل » ... فطمأنه النبي وطلب إلى الرب قتلا « يارب افتح عينيه فيبصر » ، وللحال أبصر جيحزي الجبل مملوفا خيلا ومركبات نارية حول اليشع (٢ مل ٦) ... كانت الخيل والمركبات لقارية موجودة في يادى الأمر ، وكانت عينا جيحزي مفتوحتين ومع ذلك لم يستطع أن يرى شيئا منها إلا بعد أن فتح الرب عينيه ... ماذا حدث ؟ نفس الرجل ونفس العينين استطاعت أن ترى شيئا أمامها لم تكن تراه ... هكذا توجد معانى روحية سامية وبركات جزيلة كائنة في كلمات الرب ومع ذلك لانراها . اننا محتاجون أن يكشف الرب عن بصيرتنا لنرى ... **أيقنا — كلما جلسنا أمام الكتاب — نرفع قلوبنا في انسحاق ونقول للرب « اكشف عن عيوننا فنرى عجائب من شريعتك » ... اننا لانشك في أنه سيفعل ..**

ليس من السهل أن نسبر أغوار كلمات الله ... لقد اثنى العلماء والقديسون والنساك حياتهم ، وافرغوا كل ما في جعبتهم ، دون أن يصلوا إلى نهاية للكتاب ، خاصة من جهة معانيه الروحية الغلمية . لم يقل أيهم في وقت ما ، لقد انتهيت من دراسة الكتاب وفهمه ... بل شسعرُوا أن كل ما بذلوه من جهد كقطرة وسط لجة عظيمة ، وكخطوات لولى في طريق

لا نهاية له !! حقيقة ان الكتاب المقدس كتب للبشر لكي يحيوا به ، لكن الروح يكشف لكل مجتهد زاوية معينة من زوايا الكتاب العديدة . لقد عاش داود في هذا الاختبار فقال مخاطباً الرب « لكل كمال رايت حداً أما وصيتك فواسعة جداً » (مز ١١٩ : ٩٦) ... فماذا كان داود الذي أعطى موهبة النبوة وشهد الله عن قلبه انه حسب قلبه تعالى ، وكان يتكلم بالروح ، قد قال مثل هذه الكلمات ووصل الى هذه النتيجة ، فماذا عسانا نحن أن نقول ... !!

وهكذا ، كلما تعمقنا في حياة الشركة مع الرب ، وحاولنا دراسة الكتاب بالروح ، كشف لنا الروح معاني جديدة ، بقدر ما نحتمل ... ان الله يستعد ان يعطينا الكثير من بركاته دفعة واحدة ، ويكشف لنا الكثير من أسرارهِ لكننا لا نحتمل ثقل مجد الرب ، ولا كثرة تعزياته ... من أجل هذا أيضاً قال داود « في طريق وصاياك سمعت عندما وسعت قلبي » (مز ١١٩ : ٣٢) ... فكلنا سلطنا في حفظ وصايا الرب ، كلما وسع قلبنا الذي ضيقته الخطية — حتى يسع أكبر قدر من تعزياته ... وهكذا حتى ينطبق علينا قول الرب « كل كاتب متعلم في ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كنزهِ جِداً وعتقاً » (مت ١٣ : ١٢) ...

لا غرابة في كل ما ذكرنا ، فلقد قال الرب يسوع « الكلام الذي أكلّمكم به هو روح وحياة » (يو ٦ : ٦٣) ... فكلام الله روح ، ولا يمكننا فهمه تماماً والشبع منه الا بالروح ، على نحو ما قال السيد للمرأة السامرية « الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٤) .

قد ينمت البعض الكتاب المقدس بالجفاف والجود ، وينكروا علينا كل ما نقوله عنه ، ولكن ذلك راجع في الواقع الى أنهم وضموه تحت عقولهم المجردة ، وحاولوا ان يدركوا الروح ومكتوماتها بالعقل ففشلوا . نحن لا ننكر ما في الكتاب من حسن وطلاوة حتى لجماعة العقليين ، ولكن شتان بين تذوق العقل للكتاب ، وتذوق الروح له ... وعلى هذا القياس نجد أموراً كثيرة في الكتاب لا نستطيع أن نصل اليها بالعقل ، ولكننا نتركها بالروح ،
مثلاً :

لقد جلست مريم أخت مرثا تحت قدمي المخلص تحادثه وتستمع اليه . وقد أغفل الانجيل حديثها مع الرب ، وحديث الرب معها ، ولم يذكر سوى مديح الرب لمسلكتها ... ومع ذلك نستطيع أن نعترف بالروح ذلك الحديث (اللهي ، ان نحن اتخذنا لأنفسنا مكاناً الى جوار مريم تحت قدميه ...!! ان

روح الله الساكن فينا ، هو عينه الذي كتب الكتاب المقدس ، وهو أيضا الذي — حسب وعد الرب — يعلمنا كل شيء ويذكرنا بكل ما قاله لنا (يو ١٤ — ٢٦) . . . قال القديس بولس الرسول « كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال انسان ما اعد الله للذين يحبونه ، فاعلم الله لنا نحن بروحه . لأن الروح يفحص كل شيء حتى اعماق الله » (١ كو ٢ : ٩ — ١١) .

(٢) بخشوع :

قد يفهم البعض الدالة على انها رفع للكلفة ، وعدم التحفظ في المعاملة . . . ونحن وان كنا قد نلنا دالة عظيمة لدى الله بفضل نعمته المجانية ، لكنها ليست من هذا الطراز ، وليست بهذا المفهوم . . . ليست دالة البنوة المجانية التي نلناها معناها أن نسلك بلا خشوع أو رهبة ازاء الرب . . . قطعا انها ليست رهبة العبد من سيده ، لكنها احترام الابن لابيه الذي يحبه . وكلما ازدادنا نموًا في حياتنا الروحية وتقدمنا في عشتنا مع الرب ، ازداد تقديرنا وخشوعنا له ولكلامه . وكلما ازداد خشوعنا له ولكلامه ، كلما كان ذلك دليلا على نمونا الروحي . . . قطعا اننا لم نصل بعد الى مستوى داود الروحي ، ومع ذلك ماته كان يقول « من كلامك جزع قلبي » (مز ١١٩ : ١٦٦) .

حين نقرا كلام الله ونستمع اليه ، علينا أن نفعل ذلك في ملء الوقار والخشوع . يجب أن نفرق بين كلام الله وكلام الناس . . . لقد اشار الرسول الى توقير المؤمنين في كنيسة تسالونيكي لكلمة الله بقوله « لانكم اذ تسلمن منا كلمة خبر من الله قبلتموها لا ككلمة اناس ، بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله التي تعمل ايضا فيكم انتم المؤمنين » (١ تس ٢ : ١٣) . . .

ليتنا نشعر حينما نقرا الكتاب اننا في حضرة الرب . . . ان البعض — من غرط احترامهم لكلام الله — لا يقرأون كلمة الرب في دراستهم الانفرادية الا وهم وقوف ، والبعض الآخر يقرأونها وهم ركوع !! لانه اية عقوبة تلحق الشخص الذي يستهين برسالة خاصة ارسلها له رئيس الدولة ، أو احتقر منشورا عاما اصدره ؟ !! **فالكتاب المقدس هو رسالة الآب السماوي الى كل واحد من اولاده . . . ان عدم تخشعنا امام كلامه يفرجنا عن دائرة الصواب .** قال الرب قديما بلسان ملاخي النبي « الابن يكرم آباء والعبد يكرم سيده ، فان كنت انا ابا فأين كرامتي ، وان كنت سيذا فأين هيبتى » (ملا ١ : ٦) . **لتحذريا أضي التهاون في التوقير حالما تدرس الكلمة . . . لا تقرأها وانت مستلق في فراشك ، أو في وضع غير لائق كالك تقرأ جريدة يومية ، أو مجلة سيارة ، الا اذا كان هناك اضطراب ، كمرض أو نحو ذلك . . .** ان الله يحبنا كأولاده ، لكنه بود أن يرى اولاده الذين يحبهم في

خشوع وتقوى ... ان هناك بركة خاصة لمن يدرس كلمة الله بخشوع .
وقديما قال الرب بنيسان اشعيا النبي « الى هذا انظر . الى المسكين .
المنسحق الروح والمرتعذ من كلامي » (اش ٦٦ : ٢) .

وما يقال عن القراءة يقال ايضا عن الاستماع . فحينما يتكلم الله ننصت
السموات ويخشع كل من فيها ... والله نفسه يدعونا أن نلتفت الى كلامه
ونصفي اليه « انصتوا الى يا شعبي ، ويا امتي اصفى الى . لان شريعة
من عندي تخرج وحتى اثبته نورا للشعوب » (هو ٥ : ٤) ... ولذا فان
الشهاس قبيل قراءة الانجيل في الكنيسة ، ينذر الشعب قائلا « قفوا بخوف
امام الله ، وانصتوا لسماع الانجيل المقدس » ... ثم بعد ذلك يعلن انه
مقبل على كلمات الرب فيقول « مبارك الاتي باسم الرب ربنا والهنا
ومخلصنا وملكتنا كلنا يسوع المسيح ابن الله الحي الذي له المجد الدائم الى
الابد آمين » ..

حينما بدأ عزرا الكاتب يقرأ على الشعب سفر الشريعة « كانت آذان
كل الشعب نحو سفر الشريعة » وعندما فتحه وقف كل الشعب ...
وخروا وسجدوا للرب على وجوههم الى الأرض . ويكى كل الشعب بكاء
شديدا ، حتى ان اللاويين كانوا يطوفون بين الشعب يسكتونهم قائلاين :
اسكنوا لان اليوم مقدس فلا تحزنوا » (نح ٨ : ١١) ... فاذا كان هذا
هو حال الورع والخشوع الذي كان عليه الشعب في ظل الناموس وشريعة
الذائح الحيوانية ، فكيف يجب أن يكون وقارنا وخشوعنا حينما نقرأ أو نسمع —
في عهد النعمة — كلمة الله الذي احبنا وفدانا — وختم هذا العهد بدمه
الكريم !!

(٣) باتضاع :

تكلما في نقطة سابقة عن دراسة كلمة الله بالروح ، وقلنا ، ليتنا كلنا
جلسنا امام الكتاب — نرفع قلوبنا في انسحاق ونقول للرب « اكشف عن
عيوننا فمري عجائب » ... والحق أن الله لا يكشف اسراره الا للمتضعين
(اخفيت هذه عن الحكماء والفهاء واعلمتها للأطفال) (مت ١١ : ٢٥) ...
ويقصد هنا الحكماء والفهاء في نظر أنفسهم ، اما الأطفال فيعني بهم
المتضعين .

ليتنا حينما نشرع في قراءة الكلمة أن نهىء اذهاننا ، فنترك كل مشغولية
عالية ونرشم على قواتنا بإشارة الصليب المقدس ، ونرفع القلب الى الله
طالبين مباركة الفرصة وتقديس الذهن ... ونعلن له جهلنا وقصور عقولنا ،
ولا شك أن الله سيستجيب وسيفعل « فاقبلوا بوداعة الكلمة المخروسة

القادرة أن تخلص نفوسكم» (يع ١ : ٢١) ... ولنحذر الاتكال على العقل وحده في فهم ما قد يكون غامضا . فالاتكال على العقل وحده قد أسقط كثيرين وسبب الهرطقة . وإذا عسر علينا فهم شيء ، نستشير التفسيرات المعتمدة للمفسرين المعروفين بصحة عقيدتهم ، والمشهود لهم أن لديهم هذه الموهبة ولنحذر التفسيرات الاجتهادية الخاطئة .

ولابد أن نشير في هذا المقام الى أن الكتاب المقدس رغم أنه كتاب العامة — وليس كتابا خاصا لفئة معينة من المثقفين مثلا — لكن مع ذلك يوجد فيه أمور ونصوص صعبة الفهم تحتاج الى الرجوع الى التفسيرات الآمنة والمفسرين الموثوق من صحة إيمانهم وسلامة معتقدهم ... قال القديس بطرس مشيرا الى رسائل القديس بولس « التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضا لهلاك أنفسهم » (٢ بط ٣ : ١٦) ... فإذا كان هذا هو ما حدث ازاء كتابات بولس في مدة حياته ، فكم يحتمل أن يحدث بعد ذلك بقرون ... !!

ونحن نقول — والأسى يملأ قلوبنا — أن هذا هو ما حدث بالفعل ... لقد قام البعض وأعطوا أنفسهم حق التفسير ، والاجتهاد في التفسير ، غير عابئين بتفسيرات آباء الكنيسة وقديسيها ، معتدين بعلمهم وفهمهم ، مسلمين زمام قيادهم في التفسير للعقل وحده ، فكانت الطامة الكبرى .. كانت الهرطقات المختلفة والتشيع والمذاهب المتعددة التي مزقت جسد المسيح الذي هو الكنيسة ، وحرمت العالم من بركات الكنيسة الواحدة ..

(٤) بارشاد الروح القدس :

لا يستطيع أحد أن يوضح لك المعاني التي انطوت عليها إحدى المقالات خير من كاتبها ، ولا أن يشرح قصيدة خير من ناظمها ... وعلى هذا القياس ، إذا أردت أن تعرف الكتاب المقدس حق المعرفة ، اطلب أرشاد الروح القدس الذي أوحى الى رجال الله القديسين فكتبوه ... الروح القدس الذي وعد السيد المسيح أنه يعلمنا كل شيء ، ويذكرنا بكل ما قاله لنا (يو ١٤: ٢٦) ... « الروح الذي يفحص كل شيء حتى أعماق الله » (١كو ٢: ١٠) ... توجه اليه بقلبك وقل له « اكشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك » (مز ١١٩: ١٨) .

أن المؤمن البسيط القلب ، المعتمد على الله ومعونة الروح القدس ، يجد في الكتاب ذخائر لم يهتد اليها الحكماء والفهاء . وحسبنا قال يوحنا الرسول « لا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد ، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء » (١يو ٢: ٢٧) ... ويقصد بالمسحة هنا مسحة الروح القدس التي ننالها في سر الميرون المقدس ... وأرجو ألا يفهم من كلام الرسول

السابق « لا حاجة بكم الى ان تعلمكم احد » ان كل واحد يعتمد على ذاته وفهمه في فهم الكتاب ... فقبل ان نتناول هذه النقطة « ارشاد الروح القدس » تكلمنا في النقطة السابقة عن دراسة كلمة الله بتواضع ... ومن مظاهر التواضع الا نعتد بفكرنا او بعلمنا « وعلى فهمك لا تعتمد » (أم ٣ : ٥) ...

نكر عن القديس يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية ان شابا تقابل معه يوما في الكنيسة ، وشكا اليه من موضوع معين ، فطلب اليه ان يقابله في القلاية البطريركية ... تردد الشاب مرتين ، وفي كل مرة كان تلميذ البطريرك يصرفه لان معلمه مشغول ... وفي ذات يوم سأل البطريرك تلميذه مما اذا كان قد حضر شاب للسؤال عنه ... وما اكثر دهشته ، حينما قال له التلميذ « نعم لقد حضر ولكنى صرفته لانى وجدتك مشغولا بالكتابة في حجرتك بينما آخر كان يجلس الى جوارك يملأ عليك شيئا » . ولما كان البطريرك عاكفا في ذلك الوقت على كتابة تفسير لرسائل بولس الرسول ، فقد سأل عن ذلك الشخص الذى كان جالسا معه بهليه ... فاجاب التلميذ بأنه لم يسبق له ان رآه ، ولكنه يشبه الصورة المعلقة على الحائط ، وكانت للقديس بولس الرسول ... فهز البطريرك رأسه لانه فهم ما كان يحدث ... كان القديس بولس نفسه يحضر ليعاونه في تفسير رسائله !!

(ه) للفائدة الشخصية :

من الامور التى تساعدنا على التمتع بالكتاب المقدس ، دراسته بقصد الفائدة الشخصية . فاذا كنت واحدا من الخدام ، لاندركه بقصد الحصول على موضوع نافع لخدمتك ، بل ليكن هدفك الاول ان تستفيد انت وان تشبع ... وحينئذ نستطيع ان نفيد الآخرين ونشبعهم . ولا تفيدك دراسة الكتاب دراسة متقطعة . فتناول قدر كبير من الطعام ، وعلى دفعات منتظمة لا يتيح نرسنة لجوعان ان يشبع !! اذا جلست امام الكتاب ، لا تنهض من امامه الا بعد ان تكون قد شبعت من هذا الخبز الحى .

حاول وانتم تقرأ الكتاب ان تحصل على رسالة من الله اليك ... ويحسن اثناء قراءتك ان تتوقف بين الحين والحين لتسأل نفسك هذا السؤال « ماذا يريد الله منى من هذه الكلمات ؟ » ... ليكن لسان حاك كصموئيل حين كان فى الهيكل ، وفى رهبة قداسة المكان وسكون الليل غنح غاه وقال « تكلم يارب لان عبدك سامع » (١ صم ٣ : ١٠) ... لنصغ باهتمام الى كلمة يقولها هم الرب ، والى كل ما يريد ان يوصله الينا من معان ...

يجب ان نشعر ان الكتاب المقدس انما هو رسالة خاصة من ابيك السماوى اليك ... لا نأخذها على انها رسالة عامة لكل البشر ، وانتواحد

منهم ... انها كذلك بالفعل ، ولكن شتان بين المؤمن انذى يشمر بان المسيح تكلم ومات لاجله هو ، ومن يشمر انه واحد من ملايين البشر الذين تمتعوا بامتيازات الخلاص !! لقد وضحت هذه الناحية في حياة بولس الرسول ، فنسمعه يقول « **ابن الله الذى احبني واسلم نفسه لاجلى** » (غل ٢ : ٢٠) ... « في اليوم الذى يدين الله سرائر الناس حسب انجيلي بيسوع المسيح » (رو ٢ : ١٦) ... وهكذا أيضا ، شتان بين الشخص المغترب حين يقرأ أخبار وطنه في جريدة ، وحين يقرأ رسالة خاصة وصلته من أبيه !! يجب أن ننظر الى كلمات الكتاب على انها رسالة خاصة لكل واحد منا ...

حاول ان تسفيد من كل الفرص التى يتيحها لك الكتاب ، وان تتشبت بكل مواعيده ... فإذا قرأت مثلا وعدا عن رحمته للخطاة ، أو صنيعة حسنا مع ضال ، ارفع قلبك واطلب انت أيضا مراحم الرب والمعاملة بالمثل ... وإذا قرأت عن انسان تنازل الرب يسوع وحل في بيته ، افتح قلبك انت أيضا واطلبه بالحاح لكي يحل في هيكلك الضعيف . وإذا قرأت عن اعمى عاد بصيرا بقوة الرب ، فاطلب اليه أن ينير بصيرتك وهكذا ... ان الرب يريدك أن تطلب منه بثقة وبلجاجة ... انه يعاتبنا قائلا « **الى الآن لم تطلبوا سينا باسمي ، اطلبوا تخلصوا ليكون فرحكم كاملا** » (يو ١٦ : ٢٤) .

ادرس كتابك بانتظام ، ولا تنظن ان هناك فصولا دسمة من الكتاب واخرى صعبة مجدية « فكل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتعذيب الذى في البر ، لكي يكون انسان الله كاملا متاهبا لكل عمل صالح » (٢ تي ٣ : ١٦ ، ١٧) ... وادرس أيضا قدرا كافيا منه كل يوم . وحبذا لو حددت قدرا معيناً لقراءتك ، نسمة الحد الأدنى ، تزيد عليه كلما سنحت الفرصة ...

ولعل الفائدة الشخصية تكمل ، اذا قرنا قراءة كلمة الله بدراستها ... ليكن لكل واحد منا كراسة خاصة ، فيها يدون الافكار التى تتوارد على ذهنه أثناء القراءة ... وعليه أن يستوعب الاصحاحات ، وقيم مقابلات بين بعض النقصات والبعض الآخر كما يقول الرسول « **قارنين الروحانيات بالروحيات** » (١ كو ٢ : ١٣) . ويستحسن وضع خطوط بالقلم تحت الآيات المهمة بالكتاب وهكذا ... لا تجعل قراءتك في الكتاب المقدس مجرد القراءة العابرة للتبرك . لانه مع كون مجرد القراءة نافعا ومفيدا ، الا أن الدراسة هي الإلزم والغذاء المشبع ...

طرق لدراسة الكتاب

لا توجد طريقة واحدة لدراسة الكتاب المقدس ، فكتيرون يصلون الى طريقة يرتاحون اليها تتناسب مع هدفهم من الدراسة وامكانياتهم . ولكننا نقدم هنا بعض الطرق على سبيل المثال ، لعل البعض يجدون فيها مايناسبهم سواء باستمرار او لفترة من الزمن .

(١) لعل اكثر الطرق شيوعا هي التي تتكون من اتباع المبادئ الروحية تلك التي تحدثنا عنها ، وقلنا اننا نرفع قلوبنا بالصلاة الى الله في بدء الدراسة وفي نهايتها ، وان ندرس بروح الخشوع والانصات ، ونحفظ بعض الآيات ، ونقيم بعض المقابلات بين الموضوعات وبعضها ...

ويحسن في هذه الطريقة حين نبدا في دراسة اصحاب ما ، ان نسترجع في اذهاننا محتويات الثلاثة اصحاحات التي سبقته ، وكذلك ما حفظناه منها من آيات . ومتى انتهينا من دراسة الاصحاب الجديد ، نستعيد ما يحويه ايضا ونحفظ آية منه او بعض آيات ، ثم نختم برفع قلوبنا لله . وتناسب هذه الطريقة الدراسة الفردية والعائلية والجماعات الصغيرة ...

(٢) بعض الناس يدرسون الكتاب المقدس مع الاضطلاع على بعض كتب التفسير ، وكتابة ملاحظات عن بعض الاصحاحات . وبعض هؤلاء يحتفظ الى جانبه بمذكرة يكتب فيها بعض الآيات المختارة او الاسئلة او الملاحظات . وبعضهم يعيد تجليد كتابه المقدس الحاص بعد ان يضع ورقة بيضاء بين كل ورقتين مطبوعتين ، يكتب فيها الملاحظات امام النص .

(٣) يحب البعض ان يضيف الى الطرق السابقة ، طريقة تدريب تطبيقية لما بقرا . فيدرس في الصباح جزءا من الكتاب ، ثم يختار نقطة معينة او آية ، ليجعلها موضوعا للتطبيق في حياته أثناء اليوم . ومتى عاد ظهرا يراجع نفسه كيف طبق هذا الجزء ، ثم يطلب معونة الله لتطبيقه فيها بقى من اليوم . وفي المساء يراجع ايضا سلوكه في هذا التدريب .

والبعض يحبون ان يختاروا ما يقرأون في يوم معين من ايام الاسبوع — كيوم الاحد مثلا — موضوعا لتطبيقه في حياتهم طوال الاسبوع . ويفضلون عدم تغيير التدريب كل يوم حتى تتاح لهم فرصة اطول للاستفادة . والبعض يكتب النقاط التي يمكن ان تكون موضوع تدريب تطبيقي كما تقابلها في الدراسة ، ثم يأخذها تدريجا بعد آخر بغض النظر عن قرب او بعد الوقت الذي درسها فيه .

(٤) والبعض يقرنون الدراسة بالصلاة والتأمل ويخصصون وقتا لذلك، وهذه هي الطريقة الواجبة أن تتبع . فيصلون أولا ثم يدرسون في الكتاب دراسة تأملية فقرة فقرة . وكلما قابلوا نقطة ذات أثر خاص في نفوسهم تأملوا فيها ، ورمعوا القلب بالصلاة طالبين من الله أن يعمق أثرها فيهم ، ويحفظون ما يشاعون ثم ينتقلون الى ما بعدها وهكذا ...

لقد افادت هذه الطريقة كثيرين ، وهي لدى البعض الطريقة الدائبة، ولكنها تقيد أيضا اذا طبقها الانسان في فترة معينة من حياته كالأجازة السنوية أو الأسبوعية أو يوم الأحد . وهناك شباب جعلوا دراسة الكتاب بهذه الطريقة تدريباً في بعض الأجازات الصيفية ، وكانوا يقضون وقتاً طويلاً كل يوم في ذلك ، فآثرت هذه الأجازات في حياتهم أثراً عميقاً لا تحصى ، وذاقوا فيها بركات ثبتت في نفوسهم . وبعضهم كانوا يختلون ليدرسوا ، ثم يلتقون كل يوم ليقصوا ما درسوا بروح الوداعة ، فاقامت هذه الطريقة منهم جماعة مسيحية من وطيدى الصلة بالله وبيعضهم البعض .

(٥) وهناك الطريقة الموضوعية لدراسة الكتاب . فبالإضافة الى الاستعدادات الروحية التي يقوم بها الانسان قبل قراءة الكتاب ، فإنه يخصص كشكولاً لدراسة موضوع معين في الكتاب كالصلاة أو الطهارة أو الايمان أو المحبة أو الخدمة ... فيدرس هذا الموضوع — أثناء قراءته — بكل نقاطه ، ويفرد لكل نقطة حيز من الكشكول يكتب فيه كل الآيات التي وردت في الكتاب وتناولت هذه النقطة ... فبعد أن ينتهي الانسان من الموضوع الذي ركز تفكيره فيه . وهذه الطريقة نافعة ومفيدة ومثمرة وفي مقاليد اليد ...

٦ — وهناك طريق أخرى جماعية ، كأن يحدد جزء معين من الكتاب ليدرسه الأفراد على انفراد ثم يجتمعون ليستمعوا بعدها الى أسئلة واحد منهم وليجيبوا عنها ... أو أنهم يجتمعون ليتأملوا في نقطتين مما درسوا على انفراد . ويقوم بقيادة التأمل واحد منهم يستعد في الموضوع .

واحدى الوسائل الجماعية ، أن تجلس المجموعة ويقرأ واحد منهم فصلاً من الكتاب ، ثم يدعو المجتمعين لابتداء آرائهم أو القاء أسئلتهم ليرد غيرهم عليها ، على أن يعقب هو على الموضوع في النهاية . وإن كان البعض يخشون أنه قد يؤدي مثل هذه الطريقة الى القاء بعض آراء خاطئة ، إلا أن غيرهم يرى أن أسلم طريق لتقويم الآراء هو السماح لها بالانطلاق ثم التعقيب عليها وتعديلها إن لزم .

على أنه يلزم حين تطبيق هذه الطرق الجمعية ألا ينطلق الانسان بالكلام كلها عنت له فكرة ، فلا يظن كل واحد أن لديه موهبة التعليم ، ويستسهل

التفريخ في الكتاب المقدس ، بل يسأل في خشوع ، ويناقش في صراحة واختصار ، عالما أنه في محضر الله القدوس ليطالب الإرشاد لإعطي تعليمها .
كما يلزم أيضا أن يكون الشخص الذي يقود الجماعة في هذه الطرق الجمعية روحانيا ودارسا للكتاب دراسة طيبة ، وملما أيضا بالعلوم الدينية الأخرى .

الكنيسة القبطية والكتاب

تهتم الكنيسة القبطية اهتماما كبيرا بالكتاب المقدس ، وهي إذ تظهر هذا الاهتمام في كافة نواحي عباداتها . انما تقدم لأبنائها نموذجا حيا لما يجب أن تكون عليه حياتهم من اهتمام خاص بالكتاب ودراسته . فهي تعلم أبنائها أن يصلوا صلوات الساعات (الأجبية) يوميا ، بل هي نفسها تصلّيها في عبادتها الجمهورية . وصلوات السواحي هذه عبارة عن مزامير منتقاة من سفر المزامير تتناسب مع الوقت الذي يصلّي فيه المصلّي . ومعلوم أن سفر المزامير هو أحد أسفار الكتاب المقدس المليء بالنبوءات عن رب المجد . أضف إلى هذا أن كل صلاة من هذه الصلوات بها فصل من أحد الأناجيل ...

والتسابيح التي تسبق رفع بخور عشية وياكر والقداس الإلهي ، عبارة عن قطع منتقاة من الكتاب المقدس تلحن بالحن خاصة رائعة

أما القداس الإلهي فجميع صلواته من أولها إلى آخرها عبارة عن اقتباسات من أجزاء مختلفة من الكتاب بعهديه القديم والجديد . أضف إلى ذلك الرسائل التعليمية التي تقرأها الكنيسة في كل قداس على مسمع من أبنائها .. انها تقدم فصلا من رسائل القديس بولس ، وفصلا من الرسائل الجامعة (الكاثوليكون) ، وفصلا من سفر أعمال الرسل (الإبركسيس) ... وبعد ذلك تقرأ فصلا من أحد الأناجيل ... لكنها قبل أن تقرأ تقدم له بتقديم رائعة من كلام رب المجد نفسه . فيصلى الكاهن أو شية الإنجيل التي يقول فيها « أيها السيد الرب يسوع المسيح الهنا الذي قال لتلاميذه القديسين ورسله الأظهر . أن أنبياء وأمرارا كثيرين أشنعوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا ، ويسمعوا ما أنتم تسمعون . ولم يسمعوا فأنما أنتم فطوس لأعينكم لأنها تبصر ولاذانكم لأنها تسمع ... » وهي نفس كلمات رب المجد الواردة في (مت ١٣ : ١٦ ، ١٧) . وبعد ذلك تلقى العظة مؤسسه على فصل الإنجيل الذي تلى على مسمع الشعب .

وعلى مدار السنة تختب الكنيسة قراءات خاصة تتماشى مع الأفكار التي تريد أن تطبعها في أذهان أبنائها ... ومن أمثلة ذلك تسابيح شهر كيهك الذي يسبق عيد الميلاد مباشرة ، وكذلك قراءات أسبوع البصخة (الآلام)

الذى يسبق عيد الفصح (القيامة) ... ان هذا الاسبوع الأخير مشحون بالقراءات المختلفة من أجزاء متنوعة من الكتاب المقدس كلها تتحدث عن السيد المسيح في الاسبوع الأخير لحياته بالجسد على الأرض . وفي يوم الجمعة (تذكاري صلبه) تركز كل قراءاتها على آلام رب المجد ، بتلاوة مزمور من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .. وتظل الكنيسة ساهرة طيلة تلك الليلة حتى صباح اليوم التالي (سبت الفرح) ، وهي تردد تسابيح مختلفة من العهد القديم ، وتقرأ سفر الرؤيا بأكمله يتخلل ذلك كله الحان رائعة مقتبسة ألفاظها من السفر نفسه ...

وإذا انتقلنا الى صلوات الكنيسة الطقسية الأخرى كالصلوات التي تنلى في العماد أو الأكاليل أو الجنازات أو مسحة المرضى ... الخ ، نجد أن جميعها بدون استثناء عبارة عن اقتباسات من الكتاب المقدس ..

والكنيسة القبطية أيضا تشجع الدراسة الفردية للكتاب المقدس ، وتعتبره واسطة فعاله من وسائل النعمة ، وغذاء روحيا يوهبا لاغنى غفسه هي ليست كالكاثوليكية التي حبست الكتاب المقدس عن أبنائها ، وكانت تقيد به بالسلاسل في الكنائس مدة العصور الوسطى حتى لا يقترب اليه أحد ... ومازالت (الكنائس) الكاثوليكية حتى الآن لاتسمح لأحد أبنائها بقراءة الكتاب الا في حدود ضيقة ، ويعد أن يأخذ أذنا من الكاهن ويحدد له الجزء الذي يقرأه ... ولأن أنسى موقفا وقفه منى أحد الشباب الكاثوليكي (المتقدم روحيا) ... فقد تصدت منذ عدة سنوات دارا كاثوليكية كانت تبيع الكتاب المقدس (طبعة الآباء اليسوعيين) ، وسمعت ذاك الشاب أسأل عن الكتاب - وكنت آنذاك علمانيا ارتدى الملابس الأفرنجية - فقال لى بدهشة وماذا تريد من الكتاب ؟ أجبت لى اقرأ فيه . فسألنى ألا تحضر الكنيسة وتستمع الى عظة الأب الكاهن . أجبت بالإيجاب . فأردف ، أذن لاحتاجة بك الى الكتاب ذاته ، فأنت تسمع الكاهن الذى من فيه تطلب الشريعة كما قال رب الجنود ... فتعجبت فى نفسى ، وقلت شتان بين كنيسةنا الأرثوذكسية والكاثوليك !!.

اننا لا نستطيع فى هذه المجالة أن نبين بطريقة تفصيلية ، كيف ان الكنيسة القبطية كنيسة كتابية تستند الى كتاب الله المقدس فى كل صلواتها وممارستها العبادية . وتصدها من وراء ذلك تلقين أبنائها درسا فى الاهتمام بالكتاب ومحاولة الاستفادة به فى كل مناسبات الحياة ... اننا لانستطيع أن نفعل ذلك فى هذه المجالة ، فان ذلك يحتاج الى بحث كبير نرجو أن يتوفر عليه أحد أبناء الكنيسة الفيوريين .

التَّدرِيبَاتُ الرُّوْحِيَّةُ

« لذلك أنا أيضا أدرب نفسي ليكون لى دائما
صمير بلا عثرة من نحو الله والناس » (أع ٢٤ : ١٦) .

+ التدرّيبات الروحية : غوائدها وخبراتها .

+ مصادر التدرّيبات .

+ موضوع التدرّيب الروحي وخصائصه .

+ مدة التدرّيب .

+ استثناءات التدرّيب .

+ أسباب التدرّيب ومشجعاته .

+ كراسة التدرّيبات .

١ — التدريب الروحية : فوائدها وخبراتها :

تظل القراءات الروحية — من شتى مصادرها — مجرد اقوال للمعرفة العقلية البحتة ، حتى تتحول بالتدريبات الى جزء من حياتك . لأن الشيء الذى تدرب عليه ذاتك ، ما تلبث أن تعتاده بمرور الزمن ، ويسهل عليك فعله . والذى تعتاده يصبح بنوالى الممارسة بعضا من طبيعتك وصفة من صفاتك . وهذه هى فائدة التدريبات الروحية .

والشخص الذى يمارس هذه التدريبات ، يرتقى فى سلم الفضائل درجة فدرجة ، وتزداد نقاوة قلبه يوما بعد يوم ، ويختبر الحياة الروحية ذاتها حتى اذا ماحدث الناس عنها تحدث عن معرفة عملية لا نظرية . وهو لا يقتنى فقط معرفة لطرق الخير ، وانما يعرف ايضا الصعوبات التى تعترض تلك الطرق ، والفرق بين كل صعوبة واخرى ، وطرق التغلب على كل من تلك للصعوبات .

ويعرف ايضا طبيعة نفسه وما فيها من عناصر قوة وعوامل ضعف . يعرف الفرق بين الرغبة فى الخير ومدى القدرة على فعله . ويعرف المؤثرات التى تخضع لها نفسه ، والحروب التى تستطيع أن تخوضها بنعمة الرب ، والمواقف التى لا يصلح له فيها غير الهروب لعدم قدرة نفسه على الثبات امام بعض العوارض المعينة . . . وبالتدريبات يعرف الانسان مقدار قامته الروحية ، ومدى ما وهبه الله حتى الآن من مقدرات وامكانيات . فلا يرتضى فوق ماينبغى له ، ويعرف حدوده التى لم يستطع أن يتخطاها بعد الى ما هو اعلى منها . يقتل ادماءاته ويقل انتفاخه وغروره . واذا تنكشف للانسان ذاته ، فان هذا يمكنه من عرض ما كشف منها على اب اعترافه ، فتصبح اعترافاته اولى واكمل تساعد الكاهن على وصف العلاج النافع المبني على اساس من المعرفة السليمة .

ورجل التدريبات ايضا : ليس فقط يعرف طرق الله وما فيها من علامات وحروب ، وليس فقط يعرف نفسه وما فيها من قوة وضعف ، وانما هو ايضا يرثى لغيره من المجاهدين . لانه بالخبرة يدرك بعضا من حيل العدو ومكره ، وبعضا من قوة العدو وبطشه ، ويدرك ايضا مراحل الفتور التى تمر على النفس ، ومراحل التراخى وعدم القدرة على القتال ، ويعرف كذلك الاوقات التى تتخلل فيها النعمة الى حين واسباب ذلك ! . . لذلك تجد اولاد الله الذين نجحوا فى التدريبات الروحية هم اكثر الناس حنوا وشفقة على غيرهم من المجاهدين ، واكثر الناس احتمالا لأخطاء الغير ، واقدرهم على اعانة المجريين ، واقلهم ادانة للساقطين . اذ انهم هم ايضا سقطوا وقاموا ، وخبروا سهولة السقوط وصعوبة القيام .

ورجل التدريبات يعرف أيضا أنواع الخطايا : الخطايا التي تصارب النفس من الخارج ، وتلك التي تحاربها من الداخل . والحالات التي تسبب فيها النفس للمؤثرات الخارجية ، والحالات التي تقاوم فيها بشدة كل تأثير خارجي ، والحالات التي تصرخ فيها الخطية من الداخل بسبب تهاون وعدم احتراس أو فجأة بدون سبب ما . يعرف الخطايا التي تحارب وهي ظاهرة مكشوفة ، والأخرى التي تسرق النفس في تدرج طويل دون أن تحس ، وتلك التي تتخذ في مكر زى الفضائل . أيضا أمراض النفس الظاهرة وأمراضها الكامنة المجهولة التي تكشفها التدريبات أحيانا .

٢ - مصادر التدريبات الروحية :

التدريبات الروحية إما سلبية وإما إيجابية . فالسلبية هي التدريب على مقاومة خطايا معينة أو معالجة نقائص أو عيوب شخصية . وإما الإيجابية فهي التبرن على فضائل وصفات روحية . وبهذا تكون أهم مصادر التدريبات هي :

(أ) **الخطايا السابقة :** اجلس وحاسب نفسك حسابا دقيقا ، واعرف ماهي خطاياك . ستجد لك خطايا عارضة ، وخطايا أخرى متكررة ثابتة تكاد تكون عنصرا مشتركا في كل اعترافاتك . هذه الخطايا الأخيرة فلتكن موضوعا لتدريباتك الروحية حتى تتبرن على تركها . اعرف أسباب هذه الخطايا ومصادرها وأبوابها ، وارصد الخطوات الأولى إليها ، وهكذا خذ هذه الأسباب الأساسية موضوعا لتدريباتك حتى تستأصل خطاياك من جذورها ، وتأخذ أطفال بنت بابل الشقية وتدفنهم عند الصخرة . . وما تتمله مع خطاياك أمل ما يماثله مع نقائصك أيضا .

(ب) **الكتاب المقدس :** فكلام الله هو نور لسبيلك : يريك الطريق ، ويعلمك أين تسلك . تستطيع أن تجد في وصاياه وآياته مادة لتدريب نفسك على ما يطلبه الله منك ، بما قدمه لك على لسان أنبيائه ورسله القديسين .

(ج) **الممارسات الكنسية العامة :** وهذا الأمر هام جدا ، وينبغي البدء به ومراعاة تقاليد الكنيسة ونظمها في العبادة العامة التي يشترك فيها جميع المؤمنين ، ليس لاعتبارها أوامر كنسية وإنما بالاضافة الى هذا ، لأن الكنيسة وخدمتها هي بإرشاد الروح القدس لتقويم الحياة الروحية للمؤمنين . ولا يصح أن يدرب الإنسان ذاته على أنواع خاصة من العبادة بينما يهمل العبادة الكنسية التي يشترك فيها جميع المؤمنين بروح واحدة كأعضاء في جسد واحد . وكمثال لذلك لا يصح أن يفرض شخص على ذاته أصواما خاصة يدرب نفسه عليها بينما يهمل الأصوام الكنسية العامة ، وهكذا في الاجتماعات والصلوات .

ومن أمثلة التدريبات على هذه الممارسات : المواظبة على حضور الكنيسة ، والتبكير إليها ، ودراسة الحانها وطقوسها ، والاشتراك في ذلك أيضا . وممارسة الصلوات الكنسية العامة كصلوات الساعات والتسبحة السنوية ، وتسبيحات شهر كيهك ، والحضور الى الكنيسة في مناسباتها المتعددة ، والتشبع بالروح الكنسية ، وممارسة الأصوام التي تنظمها الكنيسة ، والمواظبة على القداسات والتناول ، والتدريب على الخشوع في حضور هذه الصلوات ، والاستماع اليها بعقل منجمع وحواس مركزة ... الخ .

(د) الفضائل الاجتماعية العامة : كثير من الأشخاص يدرّبون أنفسهم على فضائل العبادة ويهمّلون الفضائل الاجتماعية العامة التي قد يغفلونها فيتعون بسببها في أخطاء تشينهم كعابدين أو خدام الله . ونقص هذه الفضائل أن يدرّب الإنسان ذاته على أن يكون عضوا محبوبا خدوما في أسرته وفي المجتمع الصغير المحيط به ، وأيضا يتدرّب على حسن معاملة الناس عموما ، وعلى الحياة كعضو مثر ناجح فاضل في المجتمع وفي محيط عمله .

(هـ) سيرة القديسين : فضائل القديسين الكثيرة تصلح مادة للتدريبات الروحية . ولكن على الإنسان أن يعرف مقدار قامته الروحية ، فلا يضع لنفسه - وهو مبتدئ - تدريبا وصل اليه قديس بعد جهاد طويل - في ظروف مختلفة - دام سنوات عديدة ، ويريد هو أن يقفز على فضائل القديسين مستهينا بالامر . حسن أن تكون فضائل القديسين محفزة لنا على الغيرة المقدسة ومحاولة محاكاتهم . ولكن يجب أن يكون ذلك كله بافراز (بحكمة) . فنختار منها ما يناسبنا ، وما تساعد عليه ظروفنا الشخصية ودرجتنا الروحية ، وعلى أن يتوافر في ذلك عنصر التدرج الذي سنتكلم عليه فيما بعد .

(و) أسباب فشل تدريب سابق : عندما تدرب نفسك على شيء معين وتسجل مدى قيامك به ، ستمر عليك حالات تشعر فيها بفشل في القيام بالتدريب . فخذ أسباب هذا الفشل في حد ذاتها موضوعا لتدريب جديد .

مثال ذلك : لنفرض أنك دربت نفسك على ترك الادانة . فوجدت أنك فشلت في يوم ما وسقطت في الادانة بسبب تدخلك مثلا في مناقشة حصول سياسة الكنيسة العامة فخذ هذا السبب موضوعا للتدريب . ومرت نفسك على عدم الدخول في أمثال هذه المناقشات الى أن تعرف كيف تتناقش فيها دون أن تخطئ . أو على الأقل درب ذاتك على الحرص والحذر حينما تعرض أمامك أمثال هذه الموضوعات .

٢ - موضوع التدريب الروحي ، وخصائصه :

كثيرون فشلوا في تدريباتهم الروحية لأسباب تتعلق بموضوع التدريب ذاته . لذلك سنعرض بعض خصائص ينبغي توافرها في التدريبات لتساعد على نجاحها .

(أ) وضوح التدريب وعدم غموضه : نمثلا لا تدرب نفسك على فضيلة تبدو غير مفهومة لك . جعل البعض موضوع تدريبهم عبارات مثل : الوداعة ، المسكنة بالروح ، محبة الله ، الغربة ... ولم يكونوا - في نفس الوقت - على الملم تام بمعنى التدريب ، فأصيبوا بحيرة وفشلوا . ولذلك سنتطور من هذه النقطة الى مكملتها وهي :

(ب) تحديد التدريب : لانتخذ « الفضائل الأمهات » أو « الفضائل الجامعة » موضوعا لتدريبك ، لأن هذا كثير عليك . وانما قسم هذه الفضائل الى عناصرها وفروعها المتعددة ، وخذ كلا من هذه الفروع على حدة موضوعا للتدريب . فلا تتخذ المحبة مثلا موضوعا لتدريبك ، فالمحبة كلمة عامة واسعة تشمل الحياة المسيحية كلها ، وبها يتعلق الناموس كله والأنبياء . وقد ذكر بولس الرسول بعض عناصرها في رسالته الاولى الى كورنثوس (١٣ : ٤ - ٧) فذكر حوالي ١٤ بندا . وانت لا تستطيع أن تدرب نفسك على كل هذا دفعة واحدة . وبالمثل لا تستطيع أيضا أن تتخذ كمادة لتدريبك احدى الفضائل الآتية : الوداعة ، أو التواضع ، أو الخدمة أو الصلاة الكاملة ، أو الصمت ، أو الهدوء ... لأن كل هذه فضائل جامعة وانما خذ فرعا واحدا من احدى هذه الفضائل مجالا لتدريبك . فالتشيء المحدد أسهل في تنفيذه ، واثبت في الذاكرة .

ومن الجائز أن يدخل تحت هذا البند أيضا عدم تعدد التدريبات في المرة الواحدة . فبعض الأشخاص تد يجعل موضوع تدريبه خمس نقط أو ستا في نفس الوقت . فتكون النتيجة أنه لا يستطيع أن يركز جهاده فيها جميعا معا ، وقد ينسى بعضها نسيانا كلياً ولا يتذكره الا حين محاسبته لنفسه على مدى نجاح التدريب أو فشله .

وقد يعترض - البعض ممن لهم غيرة روحية وحرارة قلب - على ان طريقة التحديد هذه طريقة بطيئة في الوصول وطويلة المدى ، وهم يريدون الوصول الى نهاية الطريق بسرعة . ونصيحتنا لهؤلاء أن الحياة الروحية تحتاج الى طول آناة وصبر . وليس المهم أن يصل الإنسان بسرعة الى فضيلة معينة - أو يظن أنه وصل - ثم يعود فيفقدتها بسرعة أيضا ، وانما المهم هو الثبات في الفضيلة والرسوخ فيها . فلا تقلقوا أخى ولا تتسرع . سر

بهدهوء في طريق الروح وثبت اقدامك جيدا . فالمعمل الطيل الراسخ خير من الكثير الزعزع . ولا تغتر عندمسا يتحنن الله عليك باحدى زيارات النعمة فتشتعل فيك الحرارة . لاتظن وقتذاك فينفسك أنك قد قاربت الوصول وأن الكمال سهل المآل ، وانما ادرك أن هذه مجرد زيارة من النعمة ، وأن حالتك معها حالة فوق طبيعتك العادية ، وأنك ستراجع إلى درجتك العادية أو ما يقارب بعد حين . لأن هذه الزيارات ليست دائمة ، وحياة الإنسان معرضة لتغيرات كثيرة ...

(ج) مناسبة التدريب : فمثلا لا يكن لك تدريب صمت في يوم فرح عام وبهجة ، أو في يوم ستحضر فيه حفلة معينة أو ستذهب فيه إلى زيارات كثيرة أو تقوم مع البعض برحلة مشتركة . مثل هذا التدريب معرض جدا للفشل . وحتى لو نجح نجاحا كاملا ، فقد يكون ذلك على حساب خسارات لاداعي لها . فإن كنت متخوفا من أخطاء الكلام في أمثال تلك المناسبات ، فلا تضع لنفسك تدريب صمت مطلق ، وانما تدريب يختص بتفادي بعض تلك الأخطاء .

وتفضل أيضا التدريبات التي لا تكون مناسبة للحالة الصحية ، أو لامكانية الوقت ، أو لظروف الأسرة ، أو لحالة المجتمع المحيط بك ، أو للحالة الدراسية ، أو للمستوى الروحي الخاص ... الخ .

(د) عنصر التدرج : ان القفزات العالية في الحياة الروحية غير آمنة من السقوط المفاجيء ومن الرجعة إلى الوراء . الذي تقفز به قفزة واسعة دفعة واحدة ، ربما ينتج قليلا في مبدئة بسبب الحرارة أو الحماسة التي دفعته ، ولكنه لا يمكن أن يستمر طويلا ، لأن النفس سوف لا تقوى على الاستمرار فيه لعدم تعودها ، وربما يأتي بنتائج عكسية .

لذلك ينبغي اتباع سياسة تدرج في التدريبات . امش خطوة فخطوة . وكل خطوة تخطوها إلى الامام ثبت قدميك فيها جيدا قبل أن تخطو غيرها . فإذا ما قامت عليك تجربة شديدة واضطرت إلى الرجوع إلى الوراء ، حينذاك ترجع خطوة واحدة إلى الدرجة السابقة التي ثبت قدميك فيها من قبل . وفي حالة هذه التجربة تجد خلفك محطات مألوفة لديك تستريح فيها قليلا ثم تسترجع درجتك الأعلى بسهولة . أما الذي لا يتدرج ، فإنه في حالة التجربة لا يرجع خطوة واحدة وانما يرجع بالطريق كله دفعة واحدة ، لأنه لم يعود نفسه على مراحل متوسطة في الطريق .

مثال ذلك :

شخصان دربا نفسيهما على الصمت . الأول قفز إليه دفعة واحدة ، وأما الثاني فدخل في تدريبات متوسطة كثيرة منها : تجنب الادانة بفروعها المتعددة ، الإقلال من المزاح ولغو الكلام تجنب التحدث في موضوعات

لاتخصه أو لاتقيده ، التعود على ابرود المختصرة ، عدم مقاطعة الناس في الحديث ، التعود على الصوت الهدىء المنخفض ، عدم الثثرة ، عدم البدء بالكلام الا عند الضرورة ، الصمت عند مناقشة الموضوعات التي لايتن الحديث فيها ، البعد عن المناقشات الغيبة ... واخيرا تحرب على الصمت . فاذا حدثت ضرورة للكلام واضطر كل من الاثنين أن يتكلما : فان الثائى المتدرج في تدريباته سيتكلم في حرص تعوده من قبل . بينما اذا تكلم الاول فمدرج الى حالته الاولى التي تقفز منها : قد يدين غيره أو يجرحه بالكلام وقد يعلو صوته ، ويقاطع ، ويمزح ، ويطول به الحديث حتى يمل سامعه ، وقد يسرف اثناء الكلام فيتحدث فيما يجب وفيما لا يجب ... وهكذا لا يجد درجات متوسطة يستند عليها في كلامه ، فيسقط ويكون سقوطه عظيما . ويرجع الى نفسه فيشعر بضرورة البدء التدريجى من جديد ، واثقا من انه قد حبس لسانه بالصمت على أخطائه دون أن يعالج هذه الأخطاء في تدرج طويل قبل أن يصمت .

{ — مدة التدريب :

ان النقطة السابقة تقودنا الى موضوع هلم هو « مدة التدريب » .
في الواقع ان تاريخ القديسين يحدثنا عن حقيقة ثابتة وهى طول مدة التدريب . حتى ان أحد القديسين كان يضع لنفسه تدريبا واحدا كل سنة ، فكان يقول مثلا « أدرب نفسى هذه السنة على الصوم ، وهذه السنة على الصمت أو على الصلاة » ... الخ . وليس هذا بكثير . فالقديس اغاثون مثلا أخذ منه تدريب الصمت ثلاث سنوات حتى أتقنه .

وقد يسأل البعض « وكيف أدرب نفسى على فضائل كثيرة اذا كانت واحدة منها فقط تستغرق منى مثل هذه المدة الطويلة ؟! » . والإجابة على هذا السؤال واضحة ، وهى أن الفضائل متصلة بعضها ببعض الآخر ، وتؤدي كل منها الى الأخرى ، أو تشترك معها في شيء .

فالذى يتقن مثلا تدريب الصلاة الدائمة ويكثر منها ويلهج بها لسانه على الدوام على قدر امكانياته ، هذا لابد أن يصل بالضرورة الى الصمت لان الكلام مع الناس سيعطله عن الكلام مع الله . أو سيقبل كلامه كثيرا ، فلا يتكلم الا فيها يجب ، لأنه لا يريد أن يشغل نفسه عن الصلاة بشيء الا مضطرا . والصمت سيضطره بالضرورة الى الخلوة خوفا من أن تقوده الخلطة الى الكلام الكثير ويعطله الكلام عن الصلاة . فاذا ما كثر اعتكافه فانه مسوف لايحتاج الى غذاء كثير لأنه لا ييذل طاقة كثيرة في الحركة ، وهكذا يصل الى الصوم . وطبيعة الصلاة تقود بذاتها الى الصوم . وطبيعة الصوم تقود بذاتها الى الصمت . وطبيعة الصمت تساعد بذاتها على التأمل . والخلوة

أيضا تعطيه فرصة أكبر للتأمل وقراءة الكتاب المقدس ، ومحاسبة ذاته . وكل ذلك يقوده الى العمل على تنقية قلبه وأفكاره . ونفس الصلاة تساعد على هذه النقاوة . لأن العقل المشغول باله لا يترك مجالا واسما للشيطان . والصوم أيضا يساعد على هذه النقاوة إذ يخضع به الجسد وتصبحت شهواته ... وهكذا نجد أن مثل هذا الإنسان قد درب نفسه — نظريا — على فضيلة واحدة . ولكنه — عمليا — تدرب على كثرة من الفضائل كانت كسلسلة مترابطة الحلقات .

إن المدة القصيرة لا تساعد على استكمال فائدة التدريب ولا على اختباره جيدا . إذ ربما تمر بدون عوائق ولا عواجل مضادة تختبر بها إرادة الإنسان ومدى ثباته في التدريب . وربما لا تكون المدة كافية لمعرفة مدى ما قد يتعرض به التدريب مع فضائل أخرى ومع أحوال استثنائية تستلزم إيقافه ولا يكون في ذلك الإيعاف أى خطأ . وربما يكون للإنسان رصيد معين من الاحتمال أو من الثبات أو من المقدرة الروحية أو الجسمية للقيام بالتدريب مدى فترة محدودة يخور بعدها ولا يستطيع الاستمرار . وهذا لاكتشفه سوى المدة الطويلة .

ومن كل هذا يثبت أن المدة القصيرة لاتفيد كثيرا . ولذلك قال مار اسحق « كل تدبير بغير قيام مدة فيه ، تجده أيضا بغير ثمار » وبالعكس كلما طال مدة التدريب ، ساعد الاختبار الطويل على جنى أكبر قدر من الفائدة . وفي ذلك قال مار اسحق أيضا « أعلم يا ابني ... كسل التدابير حسب المدة والمفاوضة بها تعطي ثمارها » .

فإن كان القديسون الكبار قد اطلالوا فترات تدريبانهم الى سنوات ، فكيف بالمؤمن العادى ؟! لذلك أعط نفسك في التدريب فترة كافية ، ولا تتركه حتى تشعر أنك قد وصلت فيه الى نتائج مرضية . وحاول أن تقاوم الملل أو الضجر الذى يندك إذا طالبت فترة التدريب . لأن الإنسان الذى يتفزع بسرعة من تدريب الى آخر ، لا يعطى نفسه فرصة للاستفادة من هذا ولاذاك .

وكحل متوسط : يمكن أن يكون لك تدريب أساسى كبير يستمر لمدة طويلة ، ولا مانع من أن يوضع الى جواره تدريب آخر صغير أو عارض من النوع الذى تكفيه فترة اسبوعين أو حوالى ذلك .

٥ — استثناءات التدريب :

هناك تدريبات ليس لها استثناءات ، وهى الخاصة بمقاومة الخطايا . فالذى يدرب نفسه على مقاومة خطية تمكث نقاوته ، لا يستطيع طبعاً أن

يستثنى حالات خاصة يخطئ فيها . ولكن نقصد بهذه الاستثناءات التدريبات الأخرى الإيجابية الخاصة بدرجات من الفضيلة ، كتدريبات الصوم والصلاة والصمت وفترة الخلوة وبعض تدريبات الوداعة والتواضع . . . الخ .

ففى الواقع ان الانسان الذى يضع لنفسه تدريبا معينا ، لا يصح ان يجعل التدريب كإغلال تقيده بطريقة لا يستطيع الانفكاك منها . فالتدريب قد وضع من أجل الانسان وليس الانسان من أجل التدريب .

فالذى شعر مثلا بأخطائه الكثيرة فى الكلام ، ووضع لنفسه تدريبصمت جاعلا أمامه قول القديس إرسانيوس « كثيرا ما تكلمت فندمت ، وأما عن سكوتى ما ندمت قط » . مثل هذا الانسان لا يصح أن يقيم من ذاته عبدا للصمت ، وخاصة ان كان يعيش فى العالم ومستلزمات الحياة الاجتماعية تستلزم منه الكلام أحيانا . بل ان هناك حالات يخطئ فيها إلى الله وإلى الناس ان لم يتكلم . هذه الحالات وأمثاله يجب ان يتكلم فيها معتبرا إياها استثناءات للتدريب . وكذلك حالات أخرى تكون فيها فائدة الكلام أكثر بانناكيد من فائدة الصمت . ولنتذكر مثل هذا المتدرب قول القديس برصنوفوس « الكلام من أجل الله جيد ، والصمت من أجل الله جيد » ، وقول سليمان الحكيم (الجامعة) « لكل شيء زمان ، ولكل امر تحت السموات وقت . . . لل سكوت وقت ، وللتكلم وقت » (جا ٣ : ١ ، ٧) . ومن مجموع هذه الاستثناءات يعرف الانسان متى يتكلم ومتى يصمت ، وفى أى الأمور يجب الكلام وفى أيها يجب الصمت ، ومع من يتكلم ومع من يصمت ، ومتى تحسن إطالة الشرح فى الكلام ومتى يحسن الإيجاز ، ومتى يحسن اللطف والبشاشة فى الحديث ومتى تحسن فيه الشدة والحزم . . . الانسان الذى يعرف هذا كله يكون قد جنى الفائدة التى من أجلها وضعت تدريبات الصمت . ومثل هذا الانسان يسمح له بأن يتكلم كما شاء لأنه قد عرف حدود الكلام وطقسه . أنه — فى هذه النقطة — قد وصل . أما الذى يعثر غره بصمته ، ويحزن ويفض بصمته ، ويضيع حقوق آخرين بصمته ، ويسبب بصمته مشاكل لا تحصى ، ويصمت حيث يحسن الكلام وحيث يجب . مثل هذا هو غريسى يسير بالحرف لا بالروح ، قد أقام نفسه عبدا للتدريب دون أن يفهم الحكمة فيه .

٦ — أسباب التدريب ومشجعاته :

يشجع الإرادة على الثبات فى التدريب ومقاومة عوائقه ، أن تكون على معرفة بالحكمة التى من أجلها وضع التدريب ، وبفوائده وأسبابه ، وأن تكون مستندة الى دعائم قوية من آيات الكتاب المقدس أو أقوال الآباء أو قصص القديسين أو كل ذلك معا .

لذلك قد يفضل التدريب ولا يستمر فيه ، الشخص الذى يسمع أو يقرأ عن تدريبات مفيدا في تنفيذها دون أن يعرف قوائدها العامة ، ودون أن يعرف غايتها له شخصيا . فإذا ما صلب عقبة في الطريق يبدأ أن يسأل نفسه « وماذا استفيد من هذا التدريب ؟ » . وإذا لا يجد جوابا حاضرا ينكس على عقبيه ويكرر التدريب ، وقد يكون له الحق أو العثر في ذلك .

أما أنت فقبل أن تبدأ تدريبا ، اجلس الى نفسك أولا وتفهمه ، واقتنع به ، واستشعر فيه ، ربما يكون مفيدا لغيرك وليس مفيدا لك أنت لاختلاف ظروفك عن ظروف غيرك وحالتك عن حالته . فإذا ما ثبتت لك فائدة التدريب ، احفظ آية أو آيتين تشجعان عليه ، وردد هذا الكلام الإلهي كثيرا في قلبك وبالأخص كلما تصادفك عقبة في التنفيذ ، وتذكر وقتذاك أيضا أقوال وقصص الآباء الخاصة بهذا الموضوع . فكل هذا يسندك فلا تسقط . وذكر نفسك بالتدريب باستمرار حتى لا تنساه وحتى يتجدد نشاطك بالتذكير .

وصل صلوات طويلة من أجل نجاح التدريب . ولا تظن أنك بقوتك وصلابة إرادتك ، أو بشوقك إلى التدريب ومحبتك فيه ، ستفجح فيه وتردون عثرة ! فإنت لا تعرف هجمات العدو ومعطلاته ، كما قد تكون خافية عليك ضعفات نفسك . اطلب المعونة من الله وأعرف أنك بدونها لا تستطيع شيئا . وهكذا إذا نجح التدريب شكرت الله على اعانته لك دون أن يصور لك السبح الباطل أنك بقوتك الشخصية قد نجحت .

٧- كراسة التدريبات :

إنها عنصر لازم من أجل التذكر بالتدريب ، والتشجيع عليه ، وكشف النفس ، ومحاسبتها . ولتكن هذه الكراسة سجلا وأفيا لاستخدم فيها طريقة العلامات (صح أو خطأ) ، وأنها المعلومات الوافية بإيجاز .

اكتب اسم التدريب ، ومشجعاته — باختصار — من آيات وأقوال وعناوين قصص ، واكتب مدته وتاريخه ، ثم تواريخ الأيام في هامش جانبي ، واترك لكل يوم سطرين أو ثلاثة أو أكثر حسب الاحتياج . وفي هذه الأسطر تكتب محاسبتك لنفسك في آخر كل يوم .

إذا نجح التدريب نجاحا كاملا : يمكن أن تكتفى بعبارة « نشكر الله » ، أو قد تضيف عليها بعض أسباب ساعدت على سهولة تنفيذ التدريب . أو قد تكتب عبارة « لم يحدث شيء يختبر به نجاح التدريب » . وفي حالة كسر التدريب سجل عدد المرات التي كسر فيها ، ولماذا ، ومع من ... وأعرف

هل كان الكسر كلياً أو جزئياً ، وهل اسبابه اضطرارية أم ارادية ... وذلك لتجنب عوامل الفشل في المرات المقبلة ، ولتناؤها هي ذاتها مادة لتدريبات مقبلة مساعدة . كما تسجل أيضا استثناءات التدريب واضطراباته الملزمة ، ولا تعتبرها فشلاً . وبعض الأشخاص يضمنون لأنفسهم درجات يومية لتقدير نجاح التدريب أو فشله .

ويحسن أن تجمع هذه المعلومات في آخر كل اسبوع ، وتلخصها وتستنتج منها حقائق ومعلومات تفيدك فيما بعد ، تختبر بها التدريب بنفسك .

وبعض الأشخاص يكتبون في كراسات تدريباتهم معلومات أخرى افتتح أحدهم كراسة تدريباته بالصلاة الآتية :

« بونك يارب لا أستطيع شيئاً . ونفسي جامحة لست أقوى على قيامتها وما هذه التداريب سوى نوع من الصلاة اعلن فيها بعض رغباتي في الحياة معك . وليست هي اعتماداً على ذراع بشرى ... فاعطني يارب من عندك ما يوافقي ، وسهل لي طريقك بنعمة من عندك » .

أُسْلة لبعض التَدْرِيبَات

١ - تَدَارِيبُ الوداعة

١ - **عدم اغضاب أحد** (ويشمل أيضا عدم مضايقته ، عدم اظهار احتقار أو استمزاز ، عدم تجريح ...) .

٢ - **عدم الغضب على أحد** (على وجه أدق « عدم الترفزة ») .

٣ - **الهدوء في كل شيء** (في الكلام « عدم الحدة » - في السر - في العمل - في النفس من الداخل « عدم الاضطراب » ... الخ) .

٤ - **الصوت المنخفض** .

٥ - **عدم التكلم بسلطان** (بتعال ، أو بشخط أو بانتهاز) .

٦ - **الأنب في معاملة الكبار والصغار** (في أسلوب التخاطب ، في القيام والجلوس ، في مراعاة الجمالة ، عدم الاحتقار أو التجريح ...) .

٧ - **عدم التدخل في شئون الغير** (وبالأكثر عدم فرض شخصيتك على أحد : بالالزام ، أو النقد ، أو التوبيخ ، أو التطفل) .

٨ - **عدم الملاجئة في الحديث** (اتصد « المفاوحة » ، وتوالى الاعتراض مما يضايق الطرف الآخر) .

- ٩ — عجم المقاطعة في الحديث (وتشمل أيضا «حسن الاستماع» حتى في الأمور التي سبق سماعها مرارا) .
- ١٠ — عدم الظاهر ، وعدم الشكوى (وان حدثت شكوى تكون من حالة وليس من أشخاص) .
- ١١ — احتمال أخطاء الآخرين — بطول أناة .
- ١٢ — البشاشة مع الجميع .
- ١٣ — الطيبة .
- ١٤ — الطاعة والخضوع (أقصد «المهادنة» — طبعاً في الأمور العادية التي لا تتعلق بتوجيه الحياة ولا باختصاص أب الاعتراف) .
- ٢ — مداريب ترك الادانة
- ١ — ترك تحليل الشخصيات ، والتحدث عن صفات الناس وأعمالهم (= ملك السيرة) .
- ٢ — ترك الشتيمة .
- ٣ — نرك الشكوى من الناس (واذا ألزمت الضرورة لذلك جدا ، تحدد الشكوى في النقطة المقصودة ولا تتعرض للشخصية كلها) .
- ٤ — ترك اظهار الاستمزاز (بحركة ، أو إشارة ، أو صوت — نهى ادانة وان كانت عن غير طريق اللسان .
- ٥ — ترك الادانة الجامعة (التي تشمل مجموعة كبيرة أو صغيرة ، وليس فرداً أو واحداً) .
- ٦ — ترك الادانة غير المباشرة (التي تجعل سامعك أو قارئك يدين الذي تقصده بما يفهم من كلامك وليس بذات الكلام) .
- ٧ — ترك التحدث في سياسات معينة وجد بالخبرة انها تؤدي الى ادانة (يمكن تقسيم هذا التدريب الى أنواع) .
- ٨ — عدم التحدث عن أشخاص معينين لم يصف القلب أو الفكر من جهتهم .
- ٩ — عدم الدفاع عن النفس بطريقة تلقى المسؤولية على شخص معين أو أشخاص معينين .
- ١٠ — مقاومة الادانة بالفكر (طرد افكار الادانة) .

٣ — تداريب الصمت

موجودة في مقالة التدريبات ضمننا كائنته ، وبعضها داخل أيضا في تداريب الوداعة وعدم الادانة .

٤ — تداريب الصلاة

١ — خشوع الجسد (رفع الايدى — الوقفة المستقيمة وعدم ثني الركبتين — السجود في مناسبتة — حفظ الحواس «النظر ، السمع ، اللمس») ويمكن تقسيم هذا التدريب الى فروع وعدم اخذه مرة واحدة .

٢ — خشوع القلب (بالشعور في حضرة الله العظيم) .

٣ — تداريب الصلاة بالاجبية (وهي تداريب كثيرة تتدرج في الكمية حتى تصل الى كمالها او الى اقصى كمال نسبي) .

٤ — حفظ المزامير والقطع (للاستغناء عن الاجبية حتى لا ينكشف المصلي امام الناس) .

٥ — الصلوات الخاصة (غير المحفوظة) بالاضافة الى صلوات المزامير

٦ — صلاة « ياربى يسوع المسيح ارحمنى » او مايمثلها — للصلاة بها في كل وضع وكل مكان .

٧ — تدريب الصلاة الدائمة (اثناء المشى — اثناء الوجود مع الناس — اثناء العمل — اثناء السفر « في المواصلات » ...) .

٨ — بدء كل عمل بالصلاة (مثال ذلك قبل الاكل ، قبل القراءة ، قبل الدراسة ، قبل الخدمة ، قبل اى عمل يدوى او فكري .. الخ) .

٩ — خلط كل عمل بالصلاة (مثال ذلك اثناء الاكل ، اثناء القراءة ، قبل الدراسة ، اثناء اى عمل يدوى ، اثناء الاجتماعات ..) حسب الامكان .

١٠ — اطالة الصلاة (وبالاخص اثناء مساعدة الوقت . مثل : قبل النوم « للحفاظ من الاحلام » ، قبل الاكل « للحفاظ من شهوة الطعام » ، في اوقات الصلاة والخدمة والخلوة ... الخ) . وهذا التدريب ممكن ان يدخل في تدرجات كثيرة ويتحول الى تداريب . ويشمل ايضا اضافة صلوات محفوظة ومقاومة الرغبة في ختم الصلاة .

١١ — عدم اقتصار الصلاة على الطلبات (والا كان الطلب او الاحتياج هو الداعى الى الصلاة وليس محبة الله) . ويشمل هذا التدريب ادخال عناصر الشكر ، وتمجيد الله والاعتراف امامه بالخطايا والنقائص .

١٢ — الصلاة من اجل الاعداء والمسيئين .

٥ - تدريبات الصوم

(وهي تحتاج الى حكمة خاصة وارشادات حتى لاتعطل الصائم عن القيام باعماله ومسئوليته ...) وتشمل :

١ - الأصوام الكنسية المفروضة :

(وبالأخص الاربعاء والجمعة ، والاربعين المقدسة ، وأسبوع البصخة ... الخ) .

٢ - أصوام خاصة لمناسبات معينة :

من أجل النفس أو من أجل الآخرين .

٣ - فترة الانقطاع :

وتختلف من شخص الى آخر ، وتتدرج في الشخص من لولها . وأولها عدم البدء بالاكل أو الشرب بمجرد الاستيقاظ .

٤ - نوع الطعام :

ليس فقط مجرد طعام صيامي ، وانما يشترط الخلو من الشهوة .
فهناك أطعمة في الصوم تؤكل بشهوة .

٥ - كمية الطعام :

ليس الصوم ان تأكل طعاما صياميا ، وانما أيضا ان تأكل بمقدار .

٦ - كمية الشراب :

تحدد أيضا مثل كمية الطعام (ويراعى الفرق بين الشتاء والصيف ، وفترات الراحة) - بحكمة .

٧ - تدريب عدم الأكل بين الوجبات :

وهو مفيد أيضا صحيا - وتراعى فيه تنظيم الزيارات ، والاجتماعات ...) .

٨ - تدريب ترك الأطعمة الكمالية :

(التي يمكن الاستغناء عنها . مثل بعض المشروبات والحلويات التي تؤخذ زيادة عن حاجة الجسم وفي غير مناسبة) .

٩ - تدريب عدم اظهار الصوم :

(ولو بكسر تدريب معين أحيانا وتعويضه بطريقة أخرى أو وقت آخر) .

١٠ - تدريب التصديق بما يتوفر عن الصوم :

(أى يمتنع الانسان عن صنف معين أحيانا أو وجبة معينة ويعطى الثمن للفقراء ، غير احسانه العادى) .

ملاحظة : هناك أصوام لها حزم خاص وطقس خاص ، فمثلا أسبوع البصخة تشترط الكثيصة فيه الصوم الى الغروب أو المساء ، والافطار بخبز وملح . فان لم تستطع هذا فعلى الأقل لا تأكل شيئا حلوا أو طعاما شهيا بالنسبة اليك ، مع الانقطاع حسب طاقتك .

الخشوة

« جيد للرجل ان يحمل النير في سبابه . يجلس وحده ويسكت ... » (مرا ٣ : ٢٧ و ٢٨)

+ مقدمة .

+ بركات الخلوۃ .

+ ما هي الخلوۃ .

+ حاجة الخدام الى الخلوۃ .

+ كيف تقضى الخلوۃ ؟ .

+ اين تقضى الخلوۃ ؟ .

مقدمة

ما هو سر أخطائنا وبعدنا عن الله ، وما هو سر تخطئنا وما هو سر انحرافاتنا الروحية والفكرية ، وما هو سر تكاثر المشاكل علينا وعدم قدرتنا على حلها ، وما هو السر في كل ذلك ؟

أن السر يكمن في علة واحدة : هي عدم معرفتنا لنواتنا جيدا ، وعلى حقيقتها . ولكن أين أعرف ذاتي على حقيقتها ؟ وأين أراها عارية من الثياب الزائفة التي تستتر بميوبيها تحتها ؟ وأين أعرف الحق الذي قال عنه الرب « وتعرفون الحق ، والحق يحرككم » ؟ بل أين أرى الله ؟ .

هل أعرف ذاتي وسط دوامة الحياة العنيفة الجارفة ؟ هل أرى الله بين الناس ووسط صخب الحياة وضجيجها ؟ لا ، لن أستطيع أن أعرف نفسي إلا حينما أخلو إليها في نور الله . هناك أحاسبها واناقتشها . لن أستطيع رؤية الله في مجده إلا على جبل التجلي ، بعد أن أترك العالم خلفي — ولو إلى حين — وأصعد إلى جبل التأمل

لعل الإنسان تاريخه الطويل منذ خلقته لم يمان من دوامة الحياة مثلما يعاني الآن . فهناك تيارات عنيفة تعمل جاهدة لكي تجرعه ، وهناك عوامل جذب شديدة تجذبه إلى أسفل — إلى الماديات وكل ما هو جسدي ... وبئس هذا العصر الذي يسمنه عصر السرعة . فعجلة الحياة تندفع بسرعة هائلة والجميع يتشبثون بها . وويل لمن يرتبط بها . وويل لمن يتخلف منها ... !!

مبادئ خاطئة كثيرة ، ونظرات غير سليمة من الوجهة الروحية تسربت داخل مجتمعاتنا ، وبعضها تغفل في حياتنا الخاصة ، ولكننا لم نغتنم لها لاتنا نسير مندفعين مع عجلة الحياة المضخمة . ولا نحسب يا أخى أن التيارات العنيفة الضارة ، وعوامل الجذب قاصرة على العالم وحده ، لكنها متوفرة وبصورة مخيفة في جو الخدمة أيضا ... فكم من شخصيات مباركة — عرفناها في فترة من الفترات قوية نشيطة — اهلكتها دوامة الخدمة بعد أن انسدت ذاتها ... !!

مسكين الخادم الذي يخدعه (شيطان الخدمة) فيظل يجرى ويندفع كطاهونة الهواء ويظن في نفسه أنه مرضى عند الرب . لا تغفل يا أخى أنك خدمت وعلمت وأخرجت شياطين باسم المسيح ، لئلا تسمع الصوت المرعب مع أولئك الذين هم على شاكلتك — يدوي قائلا « اذهبوا عنى انى لا أعرفكم ... » .

كثيرا من الخدام عرايا من النعمة ، يتخذون من الخدمة ونشاطها الخداع ثيابا يسترون بها عورات نفوسهم وقبحها . مساكين هؤلاء الخدام ، انهم

يلبسون ثياب المسيح الجبيلة . لكن المهم والمطلوب أن نلبس المسيح ذاته —
لا ثيابه « بل اللبس الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيرا للجسد لأجل
الشهوات » (رو ١٣ : ١٤) .

بركات الخلوة

نلزمنا الخلوة اذا ، لنفشى ونفصى عن مقدار انحرافنا عن الحق ،
ونصلح ما افسده روح العصر ، وما افسدته المحاكاة والمجاورة

ان اردت ان تعرف ذاتك على حقيقتها ومقدار ثمرها ، باعتبارك غصنا
في الكرمة الحقيقية — ربنا يسوع المسيح — ادخل الى مخدعك واغلق بابك ،
واجلس هادئا ، وافحص أعماق نفسك ، وحينئذ ستدرك فترك وموزك
وعريك وخزيك .. ستدرك أنك « الشقى والبائس والفقير والأعمى
والعريان » (رؤ ٣ : ١٧) .

سوف ترى غصن حياتك بلا ثمر . وسوف ترى الناس قد وضعت على
أصل شجرتك ، وستقرن في أفنك الكلمات الإلهية « كل شجرة لا تملأ ثمرها
جيدا تقطع وتلقى في النار » .

سوف ترى خطاياك واضحة تتقدمك للقضاء وسوف نكتشف
رياءك وخداك في الخدمة — ولو عن غير قصد وسوف ترعبك كلمات الرسول
وتهزك هذا عنيقا « لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتي ، عالمين اننا نأخذ دينونة
اعظم » (يع ٣ : ١) .

سوف ترى كل شيء على حقيقته . سوف ترى نفسك عارية ، نفسك
التي حرصت على أن تحفى عيوبها عن الآخرين . فلا بأس من أن يرى الإنسان
مريه ، لكنه يستحي أن ينظره الناس هكذا ...

سترى صورتك في مرآة الله ، وستكتشف قبح منظرك ، وانك لست
تشبهه في شيء ، أنت المخلوق على صورته ومثاله ، وأنت المدمو أن تكون
مشابها صورة ابنه ليكون هو بكرا بين أخوة كثيرين (رو ٨ : ٢٩) .

ان اكتشاف الإنسان لأخطائه نعمة كبرى لأنه الوسيلة الفعالة للبرء
منها وهكذا عبر الآباء القديسون بقوله « ان معرفة الإنسان نفسه
هي الوسيلة الأكيدة لمعرفة الله » .

ولكن ما قيمة معرفتي لذاتي ، وماذا عن نفسي حينما اخلو اليها ؟
سأعرف فيها الخطية والضعف ... « فاني أعلم أنه ليس ساكن في أي في
جسدي شيء صالح » (رو ١٧ : ١٨) . وما قيمة معرفتي لضعفي ؟ في
الوقت الذي أعرف ضعفى أعرف الله « قوتى في الضعف تكمل » (٢ كو

١٢ : ٩) ... « لآنى حينما آنا ضعيف فحينئذ آنا قوى » (٢ كو : ١٠) .
الوقت الذى اشعر فيه بمرارة خطيئتي استأهل للنعمة ...

قال بطرس للرب « أخرج من سفينتي يارب لآنى رجل خاطيء » . شعر بطرس بحالته الزرية ، فكان جواب الرب اليه « لاتخف . منذ الآن تكون تصطاد الناس » . فمتى استحق بطرس هذه الدرجة السامية ، درجة التلمذة والرسولية ، ومتى نال شرف الخدمة ؟ كان ذلك فى اللحظة التى عرف فيها ذاته وقال « لآنى رجل خاطيء » . فقد كانت اجابة الرب على هذا الشعور وتلك الكلمة « لاتخف منذ الآن تكون تصطاد الناس » . نعم منذ الآن ... أى منذ تلك اللحظة . فمعرفة نواتنا هى الواسطة لمعرفة الله . وهذه المعرفة لن نصل اليها وسط الصخب والضجيج ، لكن فى الخلوة والهدوء ...

فى الخلوة نتاح لك فرصة للتوسل والندم والبكاء . لكن انى تكون لنسا هذه الفرصة وسط دوامة العالم وضجيج وصخبه ... !!

ان تدريب الخلوة العملية ، مع روح التامل ، هو من اتجح الوسائل لتتهيب النفس واعادة تكوين الشخصية على ضوء المثل العليا . لان الخلوة مدرسة للفضيلة . وهى سلم نورانى يوصلنا بسرعة ، بالقصر الطرق الى الله . انها مهبط للوحي المقدس ... ان اصوات الابواق ودقات الطبول تحول دون سماع أنغام القيثارة الشجية . وهكذا يتعذر علينا سماع صوت الله وسط ضجيج العالم ، وتشتت العقل ، وخداع الحواس

ان الماء المكر اذا وضعه فى وعاء وابتعدت عنه يعود صافيا . وهكذا النفس فى انفرادها وخلوتها تنتقى وتصل الى الطهارة .

ان المرأة نازفة الدم ، التى انفقت كل معيشتها على الأطباء ، ولم تستند شيئا بل كانت تصير الى حال اردا ، مضت خفية ومست هذب السيد المسيح سرا فشفيت لوقتها (مت ٨ : ٤٣ - ٤٨) . كذلك النفس المعذبة من آلام الخطية ، التى حاولت مرارا ان تجد الشفاء منها بوسيلة او بلخرى دون جدوى هذه النفس تحتاج الى الاتصال بالخلص خفية وسرا - فى خلوة مقدسة - حتى تنال البرء من آدائها ...

انه لايمكن ان تجتنى من الشوك تينا ، وكذلك لايمكن ان تجسد عزاء حقيقيا لنفسك ما دمت متعلقا بالناس ، مهتما بهم غارقا لآذنيك فى ارتباطات الحياة ، لان ربنا قال « متى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك » (مت ٦ : ٦) .

اتؤثر يا اخى راحة لنفسك المتعبة ، وهدوء لقلبك الذى يموج بمختلف الحركات ؟ اتريد دموعا تبكى بها على خطاياك وتفصل بها آدناس نفسك ؟ اتريد نفسا ناسكة تهتف قائلة « سهوت عن اكل خبزي . من صوت تنهدى لصق عظمى بلحمى » (مز ١٠٢ : ٤ و ٥) ؟ وبالجمله اتريد قلبا نقيا يشهد

له الله بأنه حسب تلبه (١٣ : ٢٢) ؟ أتريد كل ذلك ؟ عليك اذا باتتباع
مشورة داود النبي الذي قال « ها انذا كنت أبعد هاربا وأبيت في البرية »
(مز ٥٥ : ٧) . ونفذ ذلك في حياتك بالسلوك في تدريب الخلوة ...

فيوحنا المعداد :

الذي تناهى في القداسة واستحق شهادة الرب عنه أنه اعظم مواليد
النساء ، هرب الى البرية منذ حداثته ، وكان فيها الى يوم ظهوره لاسرائيل ،
وذلك حتى لا يتدنس بدنس العالم على الرغم من أنه قدس وهو بعد في بطن
أمه بالروح القدس !! .

ويوحنا الراهب لم يستحق معاينة الرؤى التي دونها للكنيسة الا حينما
كان منفردا في جزيرة بطمس ... هناك كان « في الروح » (رؤ ١٠ : ١) .

وبولس العظيم :

عمود البعثة المقدسة « ومقدام شيعة الناصريين » ، بعد أن أعلن الرب
له ذاته وهو في طريقه الى دمشق ، **انطلق الى العربية** (الصحراء شرقي
دمشق) . ويقول هو عن ذاته « للوقت لم استشر لحما ودما . ولا صعدت
الى اورشليم الى الرسل الذين قبلي ، بل انطلقت الى العربية » (غل ١ :
١٦ و ١٧) . هناك في تلك البرية عاش في خلوة مقدسة مع الرب مدة —
قول أنها بلغت ثلاث سنوات — حيث تسلم منه كل شيء لازما لحياته ولبنيان
الكنيسة المقدسة .

وكان يخول للمؤمنين بعد ذلك « لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم ايضا »
(١ كو ١١ : ٢٣) . فحين تسلم بولس هذه الامور من الرب — وهو لم يخن
في عداد التلاميذ الذين تبعوا المخلص ، وربما لم يره في الجسد — أين تسلم
بولس هذه الجواهر الايمانية التي جال مبشرا بها ، أين تسلمها ، الا في الخلوة
المقدسة مع الرب في العربية ...

ان ايلىا النبي وهو منفرد في وحدته كان يقتات بالخبز السماوي ، لكن
لما سكن بين الناس ، كان بالجهد يجد ما يقوته ، هكذا النفس في وحدتها
تصادف معها كثرة ، تفقدها بين الناس . **ان بني اسرائيل ، لم ياكلوا الخبز —**
طعام الملائكة — الا في البرية القاحلة ... ! وماذا فعل ابراهيم حتى صار
أمة عظيمة ؟ لقد اطاع امر الله بأن يخرج من أرضه ومن عشيرته ومن بيت
أبيه فافعل أنت ايضا يا أخى هكذا . اخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن
بيت أبيك الى الخلوة المقدسة فيجعلك الرب أمة كبيرة ، ويباركك ، ويعظم
اسمك وتكون بركة (تك ١٢ : ١ و ٢) .

لقد سلك جميع القديسين طريق الخلوة واحبوه وضرىوا بسهم وافر
فيه . ويعتبر معلمنا القديس ارسانتيوس — معلم أولاد الملوك — من أبرز
الذين احبوا هذا الطريق . فقد قيل عنه أنه بعد ما هرب من القسطنطينية

وسكن في الأسقيط ، كان يداوم الصلاة والتضرع الى الله ان يرشده الى ما ينبغي ان يعمل وكيف يتدبر . وبعد مضي ثلاث سنوات جاءه صوت يقول له : « يا ارسانيوس الزم الهدوء ، وأبعد عن الناس ، وأصمت وأنت تخلص ، لان هذه هي عروق عدم الخلطة » . فما ان سمع الصوت دفعة ثانية حتى كان يهرب من الاخوة ويلزم نفسه الهدوء والصمت . وحدث مرة ان انتهى البابا البطريرك الانبا ثاوميس ٢٣ ان يرى الانبا ارسانيوس . فارسل اليه يستأذنه ان كان يفتح له باب قلايته ويقابله فاجاب بقوله « ان جئت فتحت لك وان فتحت لك فلن استطع ان اغلقه في وجه أحد . وان انا فتحت لكل الناس فلن استطع الإقامة هنا ! » . وقد بلغ من حبه للوحدة والخلوة والانفراد انه — في الكنيسة اثناء القداس الالهى — كان يقف ليصلى خلف عمود في آخر الكنيسة حتى لا يشاهد أحدا ولا يشاهده أحد . وما يزال هذا العمود باقيا حتى الآن بدير البراموس .

قال العظيم في القديسين الانبا انطونيوس « اذا انفرد العقل عن الناس وصار في هدوء الوحدة فان الله يقويه ويثبته ليمكنه ان يسأل ويبحث فيما هو الله . وحينئذ يؤهل لنظر عظمة الله وقوته ولاهوته وبهائه في حالته » .

وهل من دليل يا اخى ، على فوائد الخلوة وبركاتها الجزيلة للنفس ، اقوى من ان الرب نفسه احبها وكرمها ، وكان يختلئ في البرارى والجبال !!؟
« ولما صار النهار خرج وذهب الى موضع خلوة ، وكان الجوع يفتشون عليه . مجازوا وامسكوه لنلا يذهب عنهم » (لو ٤ : ٤٢) .

هكذا انت ايضا اخرج الى البرية واطلب يسوع وامسكه حتى لا يذهب عنك ، ثم اجلس تحت قدميه في خلوة مقدسة كما فعلت مريم اخت مرثا التى استحقت كلمات الرب عنها « انها اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها » (لو ١٠ : ٤٢) .

ما اكثر البركات التى لنا من الرب حينما نخلى معه واليه . في بدء الخلوة نسمع النفس هاتفا رقيقا عذبا يقول لها « المعلم قد حضر وهو يدعوك » (يو ١١ : ٢٨) . وفي ختام الخلوة تهتف هي — في تشبث رقيق — قائلة « جيد يارب ان نكون ههنا » . انها مشاعر الحب كلها مذابة في هذه الكلمات ... فننظر النفس واذا بها لا ترى الا « يسوع وحده » (مت ١٧ : ١ — ٨) .

ماهى الخلوة ؟

ليس الابتعاد عن الناس خلوة . فيوحد انسان يعيش عنى القعر . ومع هذا فالعالم يحيا في قلبه بيج بحركاته . هذا الانسان لا يمكن القول بانه في خلوة ! فالخلوة هي تفرغ القلب والعقل من الاهتمامات العالمية ...

اذا ، فالمعنى السليم للخلوة ، انها خلوة مع الله : العقل خال من كل اهتمام ، والقلب خال من كل شهوة ومن كل حركة ، ما خلا شهوة الحب

المقدس نحو الحبيب . والمكان خال من الناس ، يسمع فيه صوت السكون !! وهكذا حينما تهدأ النفس وتستوى كل هذه الشروط تهتف من الداخل قائلة « آمين تعالى أيها الرب يسوع » (رؤ ٢٢ : ٢٠) فتسمع هاتف الجواب يقول « المعلم قد حضر وهو يدعوك » (يو ١١ : ٢٨) .

هكذا فعل يسوع حينما كان يختلئ مع الآب » لقد مضى كل واحد الى بيته ، أما يسوع فمضى الى جبل الزيتون » (يو ٧ : ٥٣ ، ٨ : ١) — حيث اعتاد أن يقضى الليل كله في الصلاة ، كان يفرد في خلوة مع الآب . ولما أزمع تلاميذه أن ينصرفوا كل واحد الى خاصته ويتركوه وحده ، قال لهم في ثقة ويقين « ولكنني لست وحسدي لأن الرب معي » (يو ١٦ : ٣٢) . وهكذا وضع لنا السيد المسيح ابدا الصحيح للخلوة المقدسة . انها وحدة مع الآب . ليتنا نتعلم نحن أيضا كيف نبتعد عن صخب العالم وضوضائه ، وضجيجيه ومشاكله ، ونفرد به في خلوة نغنى على مسمعه الطاهر النشيد الجميل « حبيبي لي واتا له ، الراعى بين السوسن » (نش ٢ : ١٦) .

وربما اعترض البعض على فكرة الاختلاء مدللين على ذلك بقول الرسول « المحبة لا تطلب ما لنفسها » (١ كو ١٣ : ٥) ، فنجيب على ذلك « أما أنا فبالالتصاق بالله خير لي وأن أجعل على الرب اتكالي ... لأخبر بتسايحك في ابواب أمة صهيون » . انها خلوة القلب مع ساكنه ، وخلوة النفس مع من تحبه ... والأمر لا يحتاج الى مكان فقط بل الى نظر للداخل أيضا وهدوء في القلب . ان الناس يحيطون بجسدك دون قلبك ، ولهذا يتدبر قلبك أن يكون وحده مع الاله الواحد . وقد باشر داود النبي والملك هذا التدريب الجميل ، على الرغم من مشاغله الكثيرة في الملك . ويشهد هو نفسه بقوله في مواضع متعددة من مزاميره « تقدمت فرايت الرب امامي في كل حين ... » (مز ١٦ : ٨) .

حاجة الخدام الى الخلوة :

مساكين خدام هذه الأيام ، مساكين . . . مساكين . . . ان كلمة مساكين لانكفى للتعبير عن حالتهم ... انهم يفقدون حياتهم وسلامهم وسط دوامة الخدمة . ان سر مقاعبهم هو عدم هدوئهم الى أنفسهم وعدم تكريس اوقات للاختلاء بالله . ويقول أحد الآباء « كل من كرس حياته نبيحة حية لله ، عليه أن يمتد في ذات الوقت الى علوة التأمل (في الخلوة) » ان الخادم يحتاج اكثر من غيره الى جهاد روحي ، والى معونة الهية . وان كنا قد عرضنا قيمة الخلوة في حياتنا ، أدركنا قيمتها خاصة في حياة الخادم .

فالخدام الذي يقود غيره هو في أمس الحاجة الى الامتلاء وتصحيح مبادئه في ضوء الله ... ويقول مار اسحق « اليوم الذي لا تجلس فيه ساعة مع نفسك ، وتفكر في أي شيء أخطأت وبأي أمر سقطت ، وتقوم ذاك ،

لا تحسبه من عداد أيام حياتك ... حب السكون يا أخى ، لأن فيه حياة
لنفسك . بالسكون ترى ذاتك . وخارجا عن السكون ماترى إلا ماهو خارج
عنك . وماذمت تنظر غيرك فلن ترى نفسك » .

كيف تقضى الخلوة ؟

العمل الوحيد الذى تقوم به أثناء خلوتك هو ان لا تعمل شيئا . وان
كان هناك ثمة عمل يمكن أن يقوم به الإنسان فى الخلوة ، فهو أن يتأمل فى
نفسه بانسحاق وتآلم على خطاياه التى حجبته الله عن نفسه . فهذه المشاعر
المتواضعة ربما تصلح تهيدا لانطلاق النفس ... لانقضى الخلوة فى تحضير
مواضيع للخدمة أو التفكير فى متاعب الخدمة . ان (شيطان) الخدمة يريد أن
يسرقت حتى تظل فى دوامة الخدمة ، والمطلوب ان تخرج منها الى ذاتك .
اقضى وقت الخلوة فى هدوء مع نفسك ، هنيئ مع الله ، صلوات حب واشتياق
اليه ... اعادة النظر فى مبادئك التى تسير عليها ...

اترك وراءك كل الاهتمامات العائلية، واترك عقلك ونفسك على سجيتهما
يستحسن ان يمضى وقت الخلوة فى صوم انقطاعى بالاتفاق مع الأب الروحي
وتخليل وانسكاب امام الله ...

قد تتضايق فى بدء تدريب الخلوة ، لكن الأمر يحتاج الى تفصب فى صبر
واحتمال . واعلم يا أخى أن الخلوة ليست فترة نقضيها ثم نعود الى سابق
هالنا وسابق طريقتنا فى الحياة ، لكنها فرصة للتوبة وتجديد العهد مع الله ،
والتدريب على بعض التدريبات الروحية اللازمة .

اين تقضى الخلوة ... ؟

بالنسبة لنا كفراد يمكن أن نرغب لانفسنا اوقاتا للخلوة فى مكان معين .
كل فى المكان الذى يناسبه . ويستحسن ان يكون هذا المكان ثابتا ، حتى يعتاده
الإنسان حينما يتردد عليه ، ويعتاد كل الأوضاع التى فيه ، فلا يسرعى
انتباهه شيء مما فيه ...

اما بالنسبة للخدام كمجموعة ، فان الأمر يستلزم سرعة اقامة بيت
للخلوة فى المدن الكبرى . وفى مدينة كالقاهرة مثلا أصبح الجميع يننون تحت
وطاة صخب الحياة . بل ان اوصال الأديمين كادت تنقطع ، وانفاسهم كادت
تنحس ، وأعصابهم أوشكت أن تستهلك يوما فيوما ، فضلا عن كونها غدت
متحملة أكثر من قدرتها ... وفى بيت الخلوة يمكن أن تتاح للخدام فرصه
للهدوء حتى تستأهل نفوسهم للبركات الكثيرة التى تحدثنا عنها ... أما هذا
البيت فيجب أن يكون — بطبيعة الحال — فى بقعة هادئة ، ولا يبعد كثيرا
عن العمران وطرق المواصلات ... ويتعين له مرشدون روحيون ، وتوضع
له القوانين الخاصة .

الخدمة

« ابن الانسان لم يات ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (متى ٢٠ : ٢٨)

- + ما هي الخدمة ؟
- + الخادم ... شروط اختياره واعداده .
- + السطحية في الخدمة .
- + عوامل القوة في حياة الخادم .
- + القيادة الروحية .
- + الاحجام عن الخدمة .
- + الجميع مدعوون للخدمة .
- + من اورشليم الى اقصى الارض .

ماهى الخدمة ؟..

ليست الخدمة فنا كسائر الفنون الرفيعة يمكن اكتسابه بالممارسة وحدها . وليست هى دراسة موضوعية يستطيع الانسان اتقانها والتمهر فيها بالجهد الشخصى ... هى ليست علما كسائر العلوم الطبيعية او علوم ما وراء الطبيعة ... ليس مبداءها فى المعاهد اللاهوتية ، لكنها تبدأ فى القلب ، ومدرستها هى مدرسة الروح القدس الذى يلهب القلوب ويقدها ، ويعلمها كل شئ ويذكرها بكل اقوال الرب يسوع ، بل يأخذ مما له ويعطيها ...

حب مقدس :

الخدمة حب مقدس امتلا به قلب انسان احب الله وعاش معه وذاق حلواته ، ومن ثم طفق ينادى بين الناس « ثوقوا وانظروا ما اطيع الرب » ومن حيث كونها حبا مقدسا ، فليس لها مكان ثابت لا تتعدى دائرته ، وليس لها زمان محين او اوقات محدودة . ورسالتها لا تنف عند حد طبقة معينة او فئة خاصة او اشخاص بالذات . بل انها تعمل بقوة فى كل الامكنة ، فى الوقت المناسب وغير المناسب ، فى كل خليفة الله القاطنة من كل الطبقات والفئات والاجناس .

انها تهدف الى نقل عواطف هذا الحب الى كل شخص محروم منه ... هى والحال هذه تحليم للفردية وانطلاق الانسان من حب ذاته الى حب الآخرين ... هى تخرجه من محوره الخاص الى المحور العام .

سعادة روحية :

الخدمة مصدر هام من مصادر السعادة الانسانية . لقد حدد الرب يسوع معنى السعادة فى قوله « الفبطة (السعادة) فى العطاء اكثر من الاخذ » (ا ع ٣٥:٢٠) . فليست السعادة الحقبة بأن استأثر بكل شئ لى ، بل هى فى اشراك الآخرين معى فى هذا الشئ . ليست سعادة الانسان فى أن تتوفر له كل احتياجاته ، بل هى فى اشراك الآخرين فيها يتمتع هو به . ان البحيرات تنقسم الى نوعين : بحيرات مالحة وبحيرات عذبة . والنوع الاول ما يعرف باسم البحيرات المفلقة التى تصب فيها الماء دون أن يكون لها مخرج أى أنها تأخذ ولا تعطى . أما النوع الثانى فهى التى تأخذ وتعطى ، ولذا فان مياهها عذبة .

ان الخدمة تنشئ فى النفس سعادة كبيرة . وقد اوضح الرب يسوع ذلك فى تصويره للمشهد الرهيب يوم الدين حينما يجزى الأبرار والصديقين

« جئت غاطمتموني . عطشت فسقيتموني . كنت غريبا فأويتموني .
 غريانا فكسوتهموني . مريضا فزرتهموني . محبوبا فأثبتم الي » (مت ٢٥ :
 ٣١ - ٤٦) . فما أسعد المؤمن حينما يطعم نفسا جائعة — لا للقوت الجسدي
 بل لطعام الروح ، ويقودها الى ينبوع الحي الذي كل من يشرب منه
 لا يظمئ الى الأبد ... وما أسعد المؤمن حينما يفقد غريبا ويقدم له —
 لا ثوبا يستتر به جسده ، بل ثوب أثير الذي تعرى منه بالخطيئة . وما أسعد
 أيضا حينما يفقد مريضا بالروح ، ويقدمه للرب يسوع ليشفيه ويقيمه معافي ،
 على نحو ما فعل الأربعة الذين حملوا صديقهم المفلوج ودلوه بالحبال من مستف
 البيت وقدموه حيث كان يسوع . وأخيرا ما أسعد حينما يفقد انسانا
 محبوبا ، مقبوضا عليه في عبودية مرة — هي عبودية ابليس — ليبشره بالحرر
 الأعظم الذي يستطيع أن يحرره من سلطان الخطيئة وقسوة أعدائه « كل من
 يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة ... فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون
 أحرارا » (يو ٨ : ٣٤ ، ٣٦) .

هذه هي رسالة الرب يسوع « روح الرب على لانه مسحني لأبشر
 المساكين ، أرسلني لأشفي المنكسرى القلوب ، لأنادي للمسورين بالإطلاق
 وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية » (لو ٤ : ١٨) ... وما أجمل
 ما علق به الرب يسوع على الكلمات السابقة وهي لأشعيا النبي « اليوم قد تم
 هذا المكتوب في مسامعكم ... » . هذه هي الخدمة في جوهرها وبركاتها ،
 وهذه هي السعادة الروحية في أصلاتها وعمقها .

دائرة الخدمة :

ان كلمة الله لا تقيد (٢ نى ٢ : ٩) ، وهكذا الخدمة أيضا لا تقيد .
 استمع الى التلميذين القديسين بطرس ويوحنا عقب معجزة شفاء المقعد من
 بطن أمه ، وبعد ان أوصاهما رؤساء الكهنة « ان لا ينطقا البتة ولا يعلما
 باسم يسوع » ، اسمع اليهما — وهما مقبوض عليهما ، يجاوبان في جراءة
 ووداعة بحسب « نحن لا يمكننا ان لا نتكلم بما راينا وسمعنا » (أع ٤ :
 والواقع ان هذا هو شعور كل من اختبر الرب وتذوق حبه « لا يمكن انى
 لا اتكلم بما رايت وسمعت ... » . وماذا يرى المؤمن ويسمع في عشرته مع
 الرب ؟ انه يرى الكثير ويسمع الكثير ... انه يرى ما لا تراه العين الجسدية
 العالمية . ويسمع امورا لا ينطق بها ، ويضم بين ضلوعه مرحا وسلاما يفوق
 كل عقل . ألم يقل الرب بفمه الإلهي الطاهر « (الذى يحبني يحبه أبى وأنا أحبه
 وأظهر له ذاتي ... واليه نلتى وعنده نصنع منزلا » (يو ١٤ : ٢١ ، ٢٣) .

ومن ثم نجد ان كل من اشتعل قلبه بحسب الله لا يهدأ ولا يستريح
 ولا يكف عن خدمة النفوس التي مات المسيح لأجلها ، مرددا مع داود الحلو

قوله « لا أعطى عيني نوما ولا اجفاني نعاسا ولا راحة لصدغى الى ان اجد موضعا للرب ومسكنا لاله يعقوب » (مز ١٣٢ : ٤) . انه يظل يبحث عن موضع للرب ومسكنا لاله يعقوب في كل قلب وفي كل هيكل يسر الله ان يستريح فيه ...

نعم ان كلمة الله لا تقيد ، وخدمة النفوس التي احبها الرب وماتت عنها لا يمكن ان تقيد . وكل من امتلا قلبه بمثل هذا الحب لا يعلم الوسيلة التي بها يخدم الرب في أشخاص اخوته ... انه يخدم بكلامه وتعليمه وكتاباته وحياته الخاصة وصلواته عن المخدمين والمحتاجين ... انه يصبح كالطبيب المغناطيسي الذي يحدث مجالا حوله أينما وجد وأينما اتجه ...

ان كل من لا يؤمن بخدمة الآخرين — في اى صورة من الصور التي ذكرناها — ليس مسيحيا كما يليق بالمسيحي أن يكون ، لأنه اناني يفكر في ذاته . وليس أردا في المسيحية من أن يكون المسيحي محبا لذاته وحدها ، فحبة القريب هي تكميل الناموس (رو ١٣ : ١٠) .

وكما ان الخدمة لا تقيد ، فهي كذلك لا تقبلى بالصعاب والاضطراب والأهوال ... حتى بالموت ذاته . بل ان الموت يضاعف قوتها ويساند عملها ويكثر اثرها . وهذا ما نلمسه في حياة من جالوا مبشرين « وقتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم » (رؤ ٦ : ٩) ، تلك النفوس التي رآها يوحنا في رؤياه تحت المذبح واعطوا شايبا بيضا وقيل لهم ان يستريحوا زمانا يسيرا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم العتيدون ان يقتلوا مثلهم ... انظر الى الرسل وقد خرجوا فرحين بعد أن اهيئوا وجلدوا ... بل استمع الى معلمنا القديس بولس وحاول ان تفهم كلماته الى تسوس افسس « الآن ها انذا اذهب الى اورشليم مقيدا بالروح لا اعلم ماذا يصادفني هناك . غير ان الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلا ان وثقا وشدائد تنتظرني . ولكنني لست احتسب شيئا ولا نفسي ثمينة عندي حتي اتم بفرح سعيي والخدمة التي اخفتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمته الله ... » (أع ٢٠ : ٢٢ — ٢٤) .

جاء السيد المسيح له المجد الى عالمنا مرسلا (كما ارسلى الاب ارسلكم انا) (يو ٢٠ : ٢١) وهو « لم يات ليخدم بل ليقدم » (مت ٢٠ : ٢٨) . وكانت آخر وصاياه على الارض خاصة بالخدمة والارساليات « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليفة كلها » (مر ١٦ : ١٥) . ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن وهو يامر الرجال والنساء والشباب والبنات — بطرق مختلفة — ان يعملوا وينادوا باسمه العظيم وحبه لكل البشر . فمن يرفض ان يطيع صوت الله وصوت الواجب ويرفض ان يمد يد المعونة للخدمات

المختلفة ، ويسهم في امتداد ملكوت الله على الأرض إنما ينكر على الله نفس العمل العظيم الذي لأجله تجسد ...

سمو الخدمة :

سما العهد الجديد بالخدمة وارتفع بالخدام فجعل منها ومنه واسطة لتقريب القلوب الى الله ، وتجديد النفوس وجذبها الى ملكوت ابن محبته ...
الم يطوب الرب يسوع صانعي السلام وقال عنهم «أنهم أبناء الله يدعون» ...
ولعل وجها هاما من أوجه صنع السلام — بل ويأتى في المقدمة — أن يصنع صلح وسلام بين الإنسان وخالقه ... ان ابن الله الوحيد جاء ليقيم هذا العمل العظيم . وحينما نشترك معه في هذا العمل — أى حينما نخدم النفوس لنقر بها لله — نستحق ان نكون أبناء الله . لقد أوضح معلمنا بولس ذلك حينما قال « الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح واعطانا خدمة المصالحة ... اذن نسمى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله » (٢ كو ٥ : ١٨ — ٢٠) . فما أعظمه عمل وما أسماها خدمة تلك التى بها نصالح البشر مع خالقهم ، ونكمل عمل الرب يسوع الذى بدأه ، ونفعل ونتم ارادته الصالحة في خلاص كسل البشر ، اذ ليست مثبثة أمام أبينا السماوى أن يهلك أحد اخوتنا (مت ١٨ : ١٤) .

وفي موضع ثان يبين الرسول بولس عظمة الخدمة وسموها حينما يقول « غاننا نحن عاملان مع الله ، وانتم غلاحة الله ، بناء الله » (١ كو ٣ : ٩) .
ما أجمل هذه العبارة « مع الله » ... ان فيها تملأت حلوة وتميزات فياضة ... فهي تبين شرف الرسالة التى يضطلع بها خادم الكلمة ، فهو يعمل مع الله شخصيا . فإى شرف هذا !! انها تضمن للخدام رعاية حياته ومصالحه طالما هو يعمل « مع الله » . والخدام ليس مسئولوا عن الخدمة بل الله . اما هو (الخادم) فانها يعمل معه .

نعود ونقول ما أعظم كلمة خدام ، بل ما أعظم الخادم وما أسسمى خدمته !! انه لقب يستمد عظمته وسموه من السيد نفسه « ابن الإنسان لم يات ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠ : ٢٨) .

ومن أجل ذلك — من أجل سمو الخدمة — نجد الله يخص خدامه الأمانة بكرامة عظيمة في السماء وعلى الأرض فيقول السيد المسيح « حيث أكون أنا هناك يكون خادمي . وأن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب » (يوحنا ١٢ : ٢٦) .
وتديما قل دانيال النبى « الفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، والذين ردوا كثيرين الى البر ، كالكوكب الى أبعد الدهور » (دا ١٢ : ٣) . وبولس الرسول حينما كان مسجوناً في قيصرية وأحضر أمام فيلكس الوالى ، وبينما

كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة المتيدة ارتعد فيلكس الوالى حتى انه صرفه قائلاً له « أما الآن فاذهب ومتى حصلت على وقت استدعيك » (ا ع ٢٤ : ٢٥) . هكذا ارتعب القاضى امام السجين !! وهسكذا ايضاً ارتعب الامبراطور فالنز الأريوسى امام القديس باسيليوس الكبير وكاد يستط على الأرض لولا أن باسيليوس سنده .

الخادم...

شروط اختياره وإعداده

مستواه الروحي :

حيثما وجد الخادم الأمين النشيط فهناك الثمر الكثير . ولذا فانه يحسن قبل أن نخوض في موضوع الخدمة أن نقف قليلاً لنمصرف أولاً من هو الخادم ... ؟

الخادم انسان عرف الله وامتلا قلبه بحبه وتذوق حلاوة الحياة معه ، فطفق يحدث الآخرين عن الله . وعلى هذا فالخادم مغروض فيه أن يكون في حالة روحية اسى من مخدوميه . يجب أن يكون نقياً في أفكاره وسلوكه وحياته عموماً . لأنه بحياته يظهر لمخدوميه طريق الحياة . وهكذا يتقدم المخدومين بالمثل أكثر من الكلام . أن كلماته تدخل الى قلوب سامعيه أن كانت حياته تؤكد كلماته ، وما يقوله بالكلام يوضحه بالمثل . ولذا قال النبي قديماً « على جبل عال اصعدى يا مبشرة صهيون » (اش ٤٠ : ٩) . ومعنى هذا أن من يعلم الآخرين تعاليم السماء يجب أن يكون قد ترك المستويات المنخفضة التى للأعمال الأرضية ، ويجب أن يرى واقفاً على ذروة ، وهو ما عبر عنه الوحي بجبل عال ... يجب أن يكون الخادم في حالة روحية وثقافة دينية أفضل من مخدوميه . فمن المعروف أن الماء يجرى منحدرًا من الأرض المرتفعة الى الأقل ارتفاعاً ، لكنها لا تجرى من المنخفض الى المرتفع ... !!

ليست مهمة الخادم تعليم الناس وتلقينهم كلام الله بل توصيلهم اليه . وليس عمله ارشادهم الى طريق الرب بوصفه آياه لهم ، بل أن يجعلهم يضعوا أقدامهم على هذا الطريق ويرافقهم فيه . ولا يقنع بحديث عن المسيح يهر به مخدوميه ، بل بتسليمهم للرب نفسه ... ويجب ألا يقنع الخادم بأعمال حسنة وصالحة — اذا قورنت بأعمال الأشرار بل يجب أن يفوق قوى الأعمال الصالحة من بين مخدوميه . وكما يتقدمهم بحكم كونه معلمهم ، عليه أن يتقدمهم في الفضيلة ايضاً . من الضروري أن تكون اليد التى تنظف

نظيفة والا وسخت كل شيء تلبسه . من أجل ذلك يقول النبي «تطهروا يا حاملى آتية الرب» (اش ٥٢ : ١١) . ومن هم حاملى آتية الرب الا الذين يحملون النفوس لكى يقربوها الى الله . قال الرب لحنانيا عن بولس قبل تجديده « لان هذا لى اناء مختار ليحمل اسمى امام امم وملوك وبنى اسرائيل » (ا ع ٩ : ١٥) .

ويؤكد معلمنا بولس هذه الممانى فى كلامه الى الكورنثيين « لسنا نجعل عثرة فى شيء لئلا نلثم الخدمة . بل فى كل شيء نظهر انفسنا كخدام الله ... فى طهارة فى علم فى اناسة فى لطف فى الروح القدس فى محبة بلا رياء فى كلام الحق فى قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار » (٢ كو ٦ : ٣ - ٧) . وكتب الى تلميذه تيموثاوس « لاحظ نفسك والتعليم ودوام على ذلك . لانك اذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا » (١ تي ٤ : ١٦) . وهنا نلاحظ كيف ان الرسول يربط بين حياة تيموثاوس وخدمته بين الناس . ان الكلام المجرد الصادر عن نفس غير تقية لا يستطيع ان يغير حياة المخدم ويصل الى اعماقهم . قال مار اسحق « مثل المصور الذى يصور الماء على هائط ، ولا يقدر ذلك الماء المرسوم ان يسرد عطشه ، كذلك الانسان الذى يتكلم من غير عمل » .

شخصيته :

الخادم قائد الجماعة التى يخدم بينها . لذا يجب ان تتوفر له شخصية من طراز معين تؤهله لهذه الخدمة القيادية . وبالإضافة الى حياة الشركة التى تكون للخادم مع الله يجب ان يكون بعيدا بقدر الامكان عن الأخطاء الروحية المعثرة ، متمتعا بصحة عقلية ونفسية وشخصية ، حتى يمكن ان يكون قدوة للآخرين ، ولا يكون عثرة للمخدمين ... فمثلا أخطاء اللسان الكثيرة هى نقائص واضحة يراها الآخرون ، وقد يتأذون منها ، ومن الصعب ان نوافق على وجود خدام لم يصل الى مستوى مقبول فى هذه الناحية . والغضب وعدم ضبط الأعصاب وما الى ذلك هى نقائص أيضا يحب تلافيها .

ويجب أيضا ان يكون للمدعو للخدمة مستوى عقلى الى جانب المستوى الروحى . ونقصد بالمستوى العقلى ، النشاط الفكرى وحضور البديهة والتمييز ، بحيث لا يرتبك امام بعض الاسئلة العارضة التى تقدم اليه فى محيط الخدمة سواء من الصغار أو الكبار ، بغض النظر عن مستواه الدراسى العلمى العام ... فهناك أميون ممثلون من روح الله والحكمة ويخدمون خدمة مثيرة ...

ونلاحظ أيضا ان يكون الخادم نعمة الكلام . قال سليمان الحكيم قديما

«من أحب طهارة القلب ، فحقمة شفيعه يكون الملك صديقه» (١م ٢٢ : ٢١) .
ولا يجب التقليل من شأن هذه الناحية . لقد قيل عن الرب يسوع « كانوا
يتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فيه » (لو ٤ : ٢٢) وقال عنه
أيضا خدام رؤساء الكهنة « لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان » (لو ٦ : ٤٦)
ولا يتبادر الى الذهن ان هذا الاعجاب كان منصبا على الموضوعات التي كان
يتناولها في التعليم ، بل على طريقة الكلام أيضا . ما أروع ما دونه متى
الانجيلي في خاتمة العظة على الجبل « غلبا اكمل يسوع هذه الأقوال بهتت
الجموع من تعليمه ، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة »
(مت ٧ : ٢٨ و ٢٩) . فهل أعطى لنا هذا السلطان ؟ بالتأكيد . فقد
قيل « كل الدين قبلوه أعطاهم سلطانا » (يو ١ : ١٢) . وليس هذا
فحسب ، بل نستطيع — بالإيمان — أن نعمل الأعمال التي عملها الرب
يسوع وأعظم منها (يو ١٤ : ١٢) لقد اصطاد بطرس بشبكة وعظة
ثلاثة آلاف نفس في عظة واحدة وحدث في ايقونية أن بولس وبرنابا
دخلوا معا الى مجمع لليهود وتكلموا حتى « آمن جمهور كثير من اليهود
واليونانيين » (أع ١٤ : ١) .

سلطانه :

قبيل ارسال الارسالية الاولى ، دعا السيد المسيح تلاميذه الاثنى
عشر « وأعطاهم قوة وسلطانا . . . وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله » (لو ٩ :
١ ، ٢) وهذا هو سر القوة . ان هذا السلطان الالهي هو سلاح
الخدام الوحيد بعد أن نهامهم الرب أن يحملوا شيئا للطريق لا عصا ولا مزودا
ولا خبزا ولا فضة » (لو ٩ : ٣) . انه سلطان يستمد الخدام الامين من
الله ومحلله الذي كان يعلم « كمن له سلطان وليس كالكتبة » (مت ٧ :
٢٩) قد يكون التعليم واحدا ، لكنه يخرج بالروح حيا وبسلطان من فم
الواحد ، وميتا من فم الآخر

حينما اعتفى ارميا النبي من الخدمة شاعرا بصغر سنه ، شجعه
الرب ببعض الكلمات ، ثم مد يده ولمس فم ارميا وقال له « ها قد جعلت
كلامى في فمك . . . انظر . وقد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى
الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتفرس » (ار ١ : ٩ ، ١٠) .
وقال له أيضا « ها انذا جاعل كلامى في فمك نارا . وهذا الشعب حطب
لتقلعهم » (ار ٥ : ١٤) . وهذا السلطان بحسب ما قيل لارميا « لتقلع
(اصول الرنيلة) ، وتهدم (حصونا وكل علو يرتفع ضد معرفة الحق) . . .
وتبنى (هيكل للرب في كل قلب ، وتفرس (غروس الفضيلة في كل نفس) » .
تأمل أيضا في قول الرب « ها انذا جاعل كلامى في فمك نارا . وهذا للشعب
حطباً لتاكلهم » ، اليس هذا هو عين ما حدث يوم الخمسين حين حل الروح
القدس على الرسل في شبه السنة نارية وجاءت بعدها عظة بطرس

الرسول التي جذبت الى الايمان ثلاث آلاف نفس ... ثم ليست هذه هي النار التي رآها القديس مار اغرام السرياني تخرج من قم القديس باسيليوس الكبير أثناء إحدى عظائمه في شبه السنة نارية صغيرة تستقر في قلوب الموغوظين ؟ !

هل يجرؤ مقاوم أن يقاوم خادم الله الأمين أو يستهين به ؟ أسمع الرد من قبل الرب « ها أتذا جاعل كلامي في فمك نارا . وهذا الثعب عطبا فتاكلهم » ! ! ألم يقل الرب عن خدامه « وخدامه لهيب نار » (عب ١ : ٧) !!

ان سر الغلبة والنصرة والتونيق في الخدمة هو في هذا السلطان الالهي « لأن الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتل الرب » (اش ٦٦ : ١٦) ، أي يغلبهم الخادم بسيف الروح الذي هو كلمة الله (اف ٦ : ١٧) .

مسئوليته :

يشعر الخادم الأمين أن مخدوميه الذين عرفسوا الرب معرفة حقة هم مجده وموضوع فرحه واكليل افتخاره (١ تس ٢ : ١٩ ، ٢٠) ... وأنهم ختم رسالته في الرب (١ كو ٢ : ٩) ، أي انهم العلامة التي تظهر صحة وقانونية رسالته فالرسالة لا تعتمد لدى الجهات الرسمية الا اذا كانت موهورة بخاتم رسمي ... !!

من أجل ذلك يشعر كل خادم أمين أنه مسئول عن حياة كل فرد من مخدوميه مسئولية مباشرة أمام الله . ولذا فان جهاده لا يقف عند حد ، حتى « يحضر كل انسان كاملا في المسيح يسوع » (كو ١ : ٢٩) .

ويضاعف من شعور الخادم بالمسئولية ، قيمة النفس البشرية في نظره . ان قيمة كل نفس هي دم المسيح الذي مات عنها لينقذها من العالم الحاضر الشرير . وبقدر ما تزداد قيمة النفس في نظر الخادم بقدر ما يزداد جهاده وتتضاعف تضحياته من أجل خلاصها . من أجل هذا كانت لتمام الخدمة والدموع التي سكبت لأجل كل نفس ، والميتات التي لاقتها المبشرون بالخلاص .

لقد اقتدى الخدام الأمناء بالرب يسوع خدام الخلاص الذي أحبنا واسلم ذاته فداء عنا ... ذاك الذي فتن عن خروف واحد ضال ، ودرهم واحد مفقود ، وسعى وراء امرأة خاطئة هي السامرية ، وقال « هكذا ليست مشيئة أمام أبكم الذي في السموات أن يهلك احد هؤلاء الصغار » (مت ١٨ : ١٤) . هذا ما نلهمه في حياة رسوله بولس الذي لم يحتسب لشيء ، ولا كانت نفسه ثمينة عنده ، حتى اثم بفرح سعيه ، والخدمة التي أخذها من الرب يسوع ... نستطيع أن نلهمس غيرة هذا المبشر العظيم والخدام

الأمين في حديثه الوداعي الى قسوس انفس ... « لذلك اشهدكم اليوم هذا ،
انى برىء من دم الجميع » لانى لم اؤخر ان اخبركم بكمل مشورة الله .
احترزوا اذن لانفسكم ولجميع الرعية ... لذلك اسهروا متفكرين انى ثلاث
سنين ليسلا ونهارا لم افتر عن ان انذر بدموع كل واحد » (ا ع ٢٠ : ٢٦ —
٣١) ...

ارجو ان نقف يا اخى قليلا عند كل كلمة من كلمات الرسول السابقة .
ان وراءها نفسا كبيرة عرفت حقا قيمة خلاص الرب ، وقيمة كل نفس
مات الرب عنها ... لاحظ معنى كلمته الاخيرة « انذر بدموع كل واحد » ...
هذه ظاهرة واضحة في حياة هذا الرسول . لقد كتب الى كنيسة كولوسي
قائلا « منذرين كل انسان ، ومعلمين كل انسان بكل حكمة ، لكى نحضر كل
انسان كاملا في المسيح يسوع » (كو ١ : ٢٩) ... لقد شعر هذا الرسول
العظيم — رغم عدم ثباته في مكان معين بحكم رسالته التبشيرية التى تقتضيه
الانتقال من مكان الى مكان — شعر انه مسئول عن كل نفس ... وهكذا
سهم رسالته وختم عليها بالدموع ، ولذا استطاع في النهاية ان يقول في
اطمننان « انى برىء من دم الجميع » ، « جاهدت الجهاد الحسن ، اكملت
السعى ... » .

كان برلس ينفذ بدموع كل واحد ... فهو بلا شك يعرف مسئوليته
كاملة . انه كمعلمه الذى يعرف خرافه ويدعوها باسماؤها (يو ١٠ : ٣) ...
ولا شك ان تلك الدموع التى سكبها الرسول كانت امام فرش النعمة في
صلوات متواترة ، كما يتضح في حديثه الى اهل روميه (روم ١ : ١٠) الذى اعبدته
بروحى في انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع اذكركم متضرعا دائما في
صلواتى ... » (رو ١ : ٩ ، ١٠) ...

نحن نقرا عن خدام كثيرين ، كانوا لا يهداون اذا راوا نفسا واحدا
خارج الحظيرة او منحرفة عن طريق الرب . ومن هؤلاء القديس مقاريوس
اسقف قساو الذى كان يشاهد باكيا في اثناء وعظه . لانه اعطى نعمة ان
يرى كل انسان على حقيقته ... كان يرى خطاياهم كما يرى الزيت في الاناء
الزجاجى . ولذا فحينما كان يخطب ويرى بعضا من اولاده الروحانيين غير ثابتين
كان يبكى شاعرا بمسئوليته ، وانه سيعطى حسابا عن كل نفس ...

ونود ان نشير الى امر هام ، وهو ان نظرة الخدام الامين للنفوس ،
لا تقف عند حد المؤمنين وحدهم ، وصلواته لا ترفع من اجل هؤلاء وحدهم ،
بل من اجل الجميع ... مؤمنين وغير مؤمنين . فالرب مات لاجل الجميع ،
لكى يتمتع الكل ببركات خلاصه ... انه لا يهدا وهو يرى خرافا كثيرة خارج
الحظيرة ، بينما راعى الخراف العظيم ، ربنا يسوع المسيح ، ينساذى الجميع
« تعالوا ... وانا اريحكم » .

اختباره :

ان مجرد اختيار أولئك المدعوين للخدمة لهم أمر ميسر في ذاته .
 فبالإضافة الى بعض الاشتراطات التي نوهنا عنها آنفا حينما تحدثنا عن
 شخصية الخادم ، نود أن نلفت النظر الى أنه لا يليق أبدا أن نأتي بشباب
 عادي ، لم تتصل فيه محبة الله ، وليس له حياة شركة متزايدة مع
 الرب كل يوم ، ونعهد اليه بأى خدمة تعليمية مهما كان علمه وثقافته سواء
 الدينية أو العالمية . ان الإقدام على مثل هذه الخطوة له ضرر مزدوج في
 ذاته . ففضلا عن عدم امكانه افادة سامعيه الفائدة الروحية الأصلية ، بل
 ربما تسبب في أضرارهم نتيجة بعض تصرفاته ، فانه يضر ذاته ... سيصبح
 له شخصيتان ، شخصية خارج الخدمة تسير في فلكتها الذي ألفته ، وشخصية
 داخل دائرة الخدمة تحاول ان تظهر بمظهر التدين والوقار ... ومفروض
 ان هذا التدين والوقار الذي يظهر في سلوك الخادم يكون نابعا من حياته
 الداخلية ... وهكذا يتعلم مثل هذا الشاب عن الرياء ... لقد صدق القديس
 يوحنا الدرجي حينما قال « الذين هم في زمان التوبة لا يجوز أن يجلسوا
 على كرسى المعلمين » ... فالمعلم له كرامته الخاصة ، ولا يمكن أن تتلق
 الكرامة مع التوبة التي من أولى مقوماتها التمسك الشديد .

وليس أدل على صدق ذلك ، مما قاله احد الأدباء « ان النساء اذا
 وضعن الأجنة قبل أوانها لا يملأن البيوت احياء بل القبور أمواتا » . ومعنى
 ذلك ان الجنين اذا خرج من بطن الأم قبل موعده الولادة المعروف فانه سيكون
 سقطا . وهكذا كل من يتقدم للخدمة قبل نضجه روحيا ... ربما ملا
 الدنيا كلاما ، اكن الكلمة تخرج من فيه ميتة !! قال سليمان الحكيم « اذا
 امطأت السحب مطرا تريقه على الأرض » (جا ١١ : ٣) ان هذا القول
 ينطبق على المعلمين ، ولذا قال القديس ايرونيموس جيروم في تفسيره للآية
 السابقة « السحب هم المعلمون . فعندما تكون مملوءة ماء روحيا يمكنها أن
 سقيت به الأرض . أما اذا لم يكن فيها ماء ، فيتم فيها قول يهوذا الرسول :
 غيوم بلا ماء تحملها الرياح ، اشجار خريفية بلا ثمر » (يه ١٢) .

وفضلا عن ذلك فان الأمر يحتاج الى مشورة الله بصلوات وأصوام
 كثيرة . هكذا فعل السيد المسيح المعلم الأعظم ، العارف بكل شيء وفاحص
 القلوب ، قبيل اختياره لتلاميذه الاثنى عشر ، وذلك حتى نحذو حذوه وننسج
 على منواله . فلقد أمضى الليلة السابقة كلها في الجبل يصلى منفردا
 (لو ٦ : ١٢ ، ١٣) . وهكذا ايضا فعل تلاميذه ، حينما أرادوا أن يقيموا
 تلميذا عوضا عن يهوذا الاسخريوطي ، فصلوا قائلين « أيها الرب العارف
 تلوب الجميع عين أنت من هذين الاثنين أيا اخترته » (أع ١ : ٢٤) .

ان احتياجات الخدمة الكثيرة في انحاء الكرازة لا تحمِلنا على التفريط في الجسد . لقد لمس الرب يسوع بنفسه هذه الاحتياجات حينما كان « يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعها ، ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مريض وكل ضعف في الشعب » ... لمسها حينما رأى انجموع «مزعجين ومضطربين كغتم لا راعى لها » ... أما اثر انطباعات هذه الاحتياجات في نفس الرب فكان قوله لتلاميذه « الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون . فاطلبوا من رب الحصاد ان يرسل فعلة الى حصده (مت ٩ : ٣٥ - ٣٨) .

وهنا نلاحظ أنه رغم كثرة الحصاد ، فإن الرب يسوع مضى في خطته الالهية الحكيمة التي ينبغي أن نحذو حذوها . فلم يعد سوى قلة من التلاميذ ، عهد اليهم بالتبشير بملكوته ... وقد أرانا في هذا المقام أيضا ، كيف نقصر في ازاء الاحتياجات المتزايدة بقوله « فاطلبوا من رب الحصاد ان يرسل فعلة الى حصاده » .. اذن حينما تلتهب قلوبنا غيرة من أجل كثرة الحصاد وحينما نعاين الحقول قد ابيضت ، وحينما تأخذنا انشفقة على اخوتنا المزعجين والمضطربين كغتم لا راعى لها ... علينا أن نطلب من رب الحصاد ان يرسل الفعلة اللازمين ... ولا شك أنه سيفعل ، لأنه غيور على النفوس التي مات عنها ...

اعداده :

بعد أن يتم اختيار الخادم ، تبدأ مرحلة اعداده . **ان اعداد الخادم الحقيقي ليس أمرا هينا .** ليست المسألة أن يستمع خادم مدارس الأحد الى مجموعة من الدروس يراعى فيها التنوع في المعرفة ، وبعد ذلك يعهد اليه بالخدمة . وليس الأمر بالنسبة للطالب الاكثريكي الذي يعد لكي يصبح واعظا أو خادما للمذبح ، أن يشحن عقله بالعلوم الدينية ... ليس هذا أو ذلك هو المطلوب . وليست هذه هي وسيلة اعداد الخادم .

فترة الاعداد :

يجب ألا تسند مهمة التعليم الى من يقع عليه الاختيار الا بعد اعداده جيدا . أن السيد المسيح « المنخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم » (كو ٢ : ٣) ، الكامل في كل عمل صالح ، لم يبدأ خدمته المعروفة الا في سر الثلاثين ، مع أنه كان قادرا على التعليم وهو بعد صبي . أليس وهو في الثانية عشرة من عمره أذهل معلمى الشعب بفهمه وأجوبته (لو ٢ : ٤٧) !!

والسيد المسيح لم يرسل تلاميذه للكرازة فور اتهامه الفداء بصليبه وقيامته ، بل أمهلهم حتى صعوده ، حيث كان يبتئهم مدة أربعين يوما . وحتى بعد صعوده أوصاهم ألا يبرحوا اورشليم الا بعد أن يلبسوا قوة من

الأعلى . ولذا لا نعجب إذا كانت عظة القديس بطرس الأولى يوم الخميس جذبت للآيمان ثلاثة آلاف نفس . **من المهم جدا أن نضع في قلبنا أن الخدمة ليست صناعة كلام .**

افن علينا ألا نتعجل في تسليم الخدمة لأولئك المختارين لها إلا بعد اعدادهم اعدادا سليما ، مهما كانت الدواعي والظروف . **لأن الخطأ لا يصلح بخطأ آخر .** وما لنا وكل هذا ، والسيد المسيح نفسه قد أعد خداما ، فلنتأمل كيف اعددهم ..

امامنا فصل اعداد خدام : المعلم هو السيد المسيح نفسه . تلاميذ هذا الفصل هم الرسل الاثنى عشر . وسائل الايضاح معجزات كان يعملها امامهم . ومع كل ذلك فقد استغرق اعداد التلاميذ في هذا الفصل اكثر من ثلاث سنوات ... وكانت الدراسة يومية وتشمل معظم اليوم .

ونحن نعد الخدام بطريقة آلية عجيبة ، وفي فترة قصيرة ... !! لنلاحظ الفرق العظيم بيننا وبين الرب ذاته في هذا الصدد ... المسيح فاحص القلوب هو الذي اختار هؤلاء التلاميذ ، ويعلم مدى صلاحيتهم واستعدادهم لحمل الرسالة العظيمة التي سيمهد اتيهم بحملها . أما نحن فكل ما يمكننا أن نعله ، هو أننا نتوسم في بعض الشبان الطيبة والهدوء ، فنندعوهم للخدمة دون أن نعرف دواخلهم ، التي قد تكون في حقيقتها مثقلة بتعاب روحية كثيرة ... ومع كل ذلك ، نجد الرب يسوع يعد تلاميذه في اكثر من ثلاث سنين ، بينما نعددهم نحن في أقل من ذلك بكثير ، وثمان بيننا وبين الرب !! .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننوه بالمناطق العجيب الذي يستخدم في بعض فروع الخدمة ، حيث يسندون خدمة لبعض الشباب شعورا منهم بأن هذه وسيلة لربطهم بالكنيسة فلا ينجرغون ... !! ويؤسفنا أن نقول أن هذا المنطق — فضلا عن سقمه — فانه مهين لله ، ويسبب ضحعا للخدمة ، ويجلب لها الكثير من المقاعب .

كيفية الإعداد :

ونركز كلامنا هنا عن اعداد خدام مدارس الأحد بنوع خاص . **فمنهاج الدراسة في فصول اعداد الخدام يجب أن يشمل :**

(١) **قدرا طيبا من الثقافة الدينية** كدراسة الكتاب المقدس واللاهوت والمعائد والطقوس والتاريخ الكنسي ... هذا فضلا عن الدراسات الروحية البحتة التي يجب أن تعطى لها عناية خاصة . فالخدام في حقل خدمته يخدم

فئات مختلفة من المخدمين من قوى الثقافات ، المتنوعة . ومن ثم يصبح في أمس الحاجة الى ثقافة دينية عالية ، يرد بها على أسئلة مخدميه ، خاصة في وقتنا الحاضر الذى تفتت فيه الاتجاهات الفكرية المدنية والاباحية والاحادية .

(٢) **بعض الأسس التربوية والنفسية** التى تعين الخادم على فهم شخصية المخدمين وكيفية التعامل معهم . مثال ذلك دراسة مراحل النمو المختلفة وخصائص كل مرحلة ، وكيفية تطبيقها ، وذلك فى تحضير الدرس وأعطائه لمخدميه بصورة التى تجعله شيقا ومهما بالنسبة لهم ... كذلك يجب تدريب الخادم على استخدام الوسائل التعليمية المختلفة .

(٣) **تدريبا عمليا على الخدمة** . وذلك بأن يعهد للخادم الذين هم فى مرحلة الإعداد بالخدمة تحت اشراف خدام قدامى ذوى خبرة لتوجيههم .

وثمة امر آخر نود ان نلفت النظر اليه ، الا وهو موضوع التلمذة فى الكنيسة . يحسن جدا أن يظل الخدم محتفظا بروح التلمذة الحق حتى بعد بدء خدمته . فالمسيحية فى أصولها قائمة على فكرة التلمذة وروحها . قال الرب يسوع لتلاميذه قبل صعوده « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أو صيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) . لقد سارت الكنيسة الاولى ردها من الزمان متممة أمر سيدها ، فكانت قوية ، وكان مجتمع المؤمنين ينمو ويتزايد فى العدد والفضيلة والمعرفة . وحينما نفقد هذه الروح نفقد معها البركات التى أدرها الرب فيها . ولا نجانب الصواب اذا قلنا أن التلمذة فى مفهومها الاصيل هى الخدمة الفردية التى هى الدعامة الاولى فى بنىان النفوس ... الخدمة الفردية المبنية على اطاعة والانضاع من جانب التلميذ ، يقابلها الحب والغيرة من جانب المعلم . ويمكن تحقيق هذه الفكرة فى اجتماعات الخدمة بحيث تكون فرصة للاستفادة الايجابية دون مناقشة النواحي الادارية فى الخدمة . اما هذه الأخيرة فيحسن أن تبحث فى اجتماع خاص . والحق اننا لسنا فى حاجة الى كلام كثير بقدر حاجتنا الى تلمذة حقه وعمل فردى . واذا كان العمل الفردى لازما بين المؤمنين ، فكم يكون أكثر لزوما للخدام الناسخين ...

السطحية في الخدمة

أخطارها :

السطحية في ذاتها مرض خطير ، وظاهرة لا تبشر بتقدم ونمو .
ونحن نعنى السطحية في كل شيء وفي كل ميادين الحياة ... فمثلا السطحية في العلم لا يمكن أن تؤول الى تقدم العلم واكتشف والاختراع . ويلتبس للطلاب مثلا لا تبشر بمستقبل طيب . فان هو نجح في الامتحانات التي تمقد لتحديد مستواه ، يكون نجاحه بدرجة لا تؤهل لدخول في زمرة المبرزين من الطلبة . ان الطبيعة ذاتها تلقنا هذا الدرس . فالارض لا توجد بكنوزها الا لمن يتعمق في كشفها وسر أغوارها . لم نسمع عن منجم ايا كان على سطح الارض ، بل في أعماقها السحيقة ... هكذا يحرم السطحيون من بركات العمق . **ان كانت السطحية خطيرة بهذا المقدار في أمور العالم ، فهي ايضا هكذا في ميدان الروح .** لقد أمر الرب يسوع سمعان بطرس أن يدخل الى العمق ويلقى شبابه للصيد ، ولما فعل ذلك اصطد سكا كثيرا جدا . وهكذا نحن ايضا حينما نطبع صوت الرب بالدخول الى العمق الروحي ، نأخذ بركات وبعا روحية وافرة . **ولابغينا في هذا المقام ان نتحدث عن السطحية في الحياة الروحية ولكن يهنا أن نتناول بالكلام السطحية في الخدمة ، التي هي بلا شك مظهر من مظاهر سطحية الروح .**

مظاهرها :

من مظاهر السطحية في الخدمة والاهتمام والحرص على مظهر الخدمة الخارجى دون الالتفات الى ما قد يخفى وراء هذا المظهر من عوامل الضعف والانحلال فبعض القادة يحرصون على تجنيد اكبر عدد ممكن من الشباب للخدمة ، وتأسيس فروع جديدة ... وهكذا ينشئون في عجلة - ولو بدافع الغيرة - فروعا للخدمة لها المظهر الخارجى الكامل : مكان ، ومواعيد ، وخدام ، ومنهج ، وتلاميذ ... الخ . وفي الداخل قد يكون الخدام منحلين في حياتهم الخاصة انحلالا غير ظاهر ، وغير معدين فكريا للتدريس المناهج المعطاة لهم . وقد يجيبون على أسئلة جوهرية اجابات خاطئة - عن جهل لا عن سوء نية . وقد يسببون اشكالات كثيرة تحتاج الى جهد كبير لمعالجها . وقد يكونون عثر للخدمة ، ويقدمون صورة سيئة عن الخدام يسيئون بها الى فروع أخرى ناجحة ، ولكنها تحمل نفس الاسم الذى ينتمى اليه هؤلاء . والجهد الذى يبذل في علاج أمثال هؤلاء الخدام ، ربما يكون أكثر بمراحل من الجهد الذى يبذل في اعداد خدام صالحين . نحن وان كنا لا ننكر عليهم الغيرة المقدسة والنية الحسنة الطيبة ، لكن - ومع ذلك - نقول ان هذا خطأ ينبغى تداركه . فهم في غيرتهم هذه يندفعون فيؤسسون

مروعا للخدمة دون أى استعداد ودون حساب النفقة ؛ وتكون النتيجة أن هذه الفروع كلها تولد ميتة ، وإن كتب لها أن تبقى بعض الوقت ، لكنها كزهر المشب ، فإن عوامل الانحلال سرعان ما تعمل فيها حتى تقوض أركانها وتأتى عليها النهاية وهذه الأمور لها تأثيرها الضار على الخدمة والخدام والمخدومين ...

وينشأ عن السطحية الروحية أن الإنسان يقيم نفسه تقييما خاطئا في علاقته بالله . فالبعض يكتفى من مسيحيته بمظاهرها الخارجية كالصلوات والقراءات الروحية وحضور الكنيسة والتناول وممارسة الأصوام حتى لو أدبت بطريقة مادية آلية !! لكن لنعلم أن جميعنا مطالبون بحياة الكمال من فم الرب يسوع نفسه « كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) . وعلى هذا ، فنحن مطالبون بالنمو الدائم فى القصة « الى أن ننتهى جميعنا ... الى انسان كامل . الى قياس قامة ملء المسيح » (اف ٤ : ١٣) . ولقلا يتبادر الى الأذهان أن هذا الكلام يختص بصفة معينة من الكنيسة انقطع اعضاؤها وتفرغوا للعبادة ، فإن بولس الرسول أوضح ذلك ايضا كما قال للمؤمنين فى كورنثوس « منفرين كل انسان ، ومعلمين كل انسان بكل حكمة ، لكى نحضر كل انسان كاملا فى المسيح يسوع » (كو ١ : ٢٩) . وأوضح من هذه الكلمات أن كل انسان مطالب بحياة الكمال المسيحى .

وتظهر انطباعات السطحية الفردية فى النظرة الى الخدمة ومعالجة احتياجاتها . فالبعض يقيس نجاح الخدمة بمقاييس ظاهرية . فمثلا عدد أطفال مدرسة الأحد ، أو عدد المستمعين الى كلمة الله ، أو عدد المتناولين فى الكنيسة .. هذه كلها وامثالها يتخذها البعض مقاييس لنجاح الخدمة . لكن السيد المسيح يعيد على مسامعنا نفس كلماته القديمة التى قالها لتلاميذه فور عودتهم من ارسالياتهم « لا تفرحوا بهذا ... » (لو ١٠ : ٢٠) . أن موضوع فرحنا الكامل أن نفوس من نخدعهم قد عرفت الرب حقا وصارت لها شركة معه ... ليس أخطر على الكنيسة من السطحية . أنها تشبه الزرع الذى نبت على الأماكن المحجرة ، فسرعان ما جف لانه « لم يكن له عمق ارض » (مت ١٣ : ٥) . !! أما عن كيف يمكن تفادى السطحية فى الخدمة ، فهذهما ستعرض لهما الآن ...

عوامل القوة في حياة الخادم

عوامل القوة في حياة الخادم هي عنها عوامل القوة في الخدمة ...

في قوته الروحية قوة لها وفي ضعفه ضعفها ... هو محور الخدمة وقلبها النابض . ولذا فحينما نتناول بالحديث عوامل القوة في حياة الخادم ، نكون قد تحدثنا ضمنا عن عوامل قوة الخدمة . ونود أن نشير هنا الى أننا سوف لانتناول بالحديث كل المقومات الروحية في حياة الخادم كمؤمن عاды ... كالماظبة على الصلاة والصوم والاعتراف والتناول من الاسرار المقدسة وبلقى الوسائط الروحية ، فهذا امر يدهى مفروغ منه . لكننا سوف تشير الى بعض العوامل التي تمس حياة الخادم مباشرة .

اولا (المحبة :

المحبة في ذاتها هي القوة الدافعة الكبيرة ، سواء في حياتنا الخاصة وعلاقتنا بالرب ، وفي خدمتنا في كرمه المقدس . لقد دخل ابليس الى الكنيسة الناشئة التي اسسها اتقدس بولس في كورنثوس ، واحتدم الخصام بين اعضائها ، فكتب الرسول اليهم كلامه الرائع عن المحبة الواردة في الاصحاح الثالث عشر من رسالته الاولى ... لقد اوضح لهم ان المحبة تفوق الايمان وموهبة النبوة ، وان النسك والتجرد لا قيمة لهما بدونها ... وحتى لو اوتى الانسان ان يتكلم بالسنة الناس والملائكة ، ولم يكن له محبة فقد صار نحاسا بطن او صنجا يرن ... ان كل عمل نعله ، وكل فضيلة نمارسها خلوا من روح المحبة هي مرفوضة من الله ... والتعب الكثير والجهد المتواصل بغير دافع المحبة من شأنه ان ينشئ تذمرا . وبمفوض امام الله كل عمل يعمل بتفجر وضجر

المحبة قوة لا يمكن مقاومتها ... هي التي رغعت ابن الله على الصليب فاجتذب بذلك قلوب ملايين البشر اليه ... هي التي تصدت لتشاؤل الطرسوسى عند ابواب دمشق وقيدته بقيودها ، واسرته برقتها وحضوها ، فطابت نفسه لعملها وصار فيها بعد يباهى بانه «أسير يسوع المسيح» ويأن «محبة المسيح تحصرنا » ... لقد حولت المجحف والمضطهد والمفترى الى بولس العظيم رسول الجهاد وكاروز المسكونة ، بعد ان خلعت عنه ثياب الفريسية ، والبسته عوضا عنها ثوب الرسولية .

المحبة تنل كل الصعوبات التي تعترض طريق الخدمة ... هي تستهين بالفضائق والصعاب وتصبر على المشقات ... المحبة هي التي دفعت

الرسول الى الجهاد في سبيل نشر بشرى الخلاص . هي التي حولت مرارة الاضطهاد الى حلوة في أفواه العاملين . لم تستطع السجون أن تحبس المحبة ، ولم تقدر الأغلال الحديدية أن تقيدها ... لقد حطمت المحبة كل نطاق ضرب حولها ، وتخطت كل العقبات التي وضعت في سبيلها ... وما فشل أن يحققه أعظم قادة العالم ، حققته المحبة ... فكم من قلوب ملكت عليها . وكم من عواطف استأثرت بها ... لها لغة خاصة تتعامل بها ، يفهمها جميع البشر .

عندما يمتلئ قلب المؤمن بالمحبة ، تأخذ الغيرة على خلاص اخوته وانساعدهم . انه لا يبدأ أو هو يرى اخوته واخوانه يخرون صرعى في حلبة الائم ، ويستطون في قبضة ابليس ... هذا ما حدا بدانيال ان يصلى من اجل نفسه وكل الشعب (دا ٩) . وهذا ما حدا بنحميا أن ينتص انتفاضته القوية ويبنى أسوار اورشليم ، مرددا « هلم فنبنى سور اورشليم ولا نكون بعد عارا » (نح ٢ : ١٧) ... ان اورشليم هي الكنيسة ، مجتمع المؤمنين انها في حاجة الى خدام غيورين من طراز نحميا ... لقد بكى الرب يسوع على اورشليم لأنها لم تعرف زمان اغتقادها (لو ١٩ : ٤١) ... نعم لقد مكى على خاصته التي لم تقبله ... وكما السيد هكذا تلاميذه وخدامه في كل زمان ومكان ...

كثيرا ما نقرأ عبارات للقدّيس بولس تدل على غيرة المتأججة على خلاص

الآخرين . قل المؤمن كورنثوس « من يضعف وأنا لا اضعف . من يعثر وأنا لا التهاب » (٢ كو ١١ : ٢٩) . وقال لاهل رومية « فاني كنت أود لو أكون انا نفسي محروما من المسيح لأجل اخوتي أنسبائي حسب الجسد (رو ٩ : ٣) ... لقد سجن في قيصرية وأحكمت المؤمرات ضده لكن شغفه المشاغل وهو مسجون ، لم يكن اطلاق سراحه والخلاص من أيدي أعدائه . بل خلاص نفوس هؤلاء جميعا ... فحينما قال له الملك اغريباس الذي كان يحتج أمامه « بقليل تقنعني أن اصير مسيحا » ، كان جوابه « كنت أصلى الى الله ، أنه بقليل وبكثير ، ليس أنت فقط ، بل أيضا جميع الذين سمعونني اليوم يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود » (اع ٢٦ : ٢٨ ، ٢٩) .

وكثيرا ما نقرأ لهذا القدّيس وهو يتحدث عن خدمة الدموع .

نفى وصية وداعية له الى قسوس افسس ، يفصح عن هذه الغيرة فيقول « لذلك اسهروا ، متذكرين أنني ثلاث سنين ليلا ونهارا ، لم أفتر عن نذر بدموع كل واحد » (اع ٢ : ٣١) ... فوان كانت الدموع دليل الحبو ، لالتهاب والغيرة المقدسة والمشاعر القلبية المتأججة ، فهي أيضا لفاتنهما الجميع ، وهي وسيلة لا تقهر مسوا من الله أو الناس . . قال العريس للعروس في نشيد الأناشيد « حولي عن عينيك فأنهما قد غلبتاني » (نش ٦ : ١٥) .

وان كانت المحبة تعبير القوة الدافعة للخدمة ، فانها ايضا نخلصنا من داء وبيل ومرض خطير طالما اذل الكنيسة والمجتمعات الدينية واضعفتها ، بل ربما كان سببا في انهيارها كلية ... فلکم هو داء الانقسام ... فمن ضمن صفات المحبة التي اوردها الرسول انها « نأتى وترفق .. لاتحسد .. لا تتفاخر ولا تنفخ ولا تتبجح ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحتد ولا تظن السوء ، ولا نفرح بالاثم بل نفرح بالحق ، تحتل كل شيء ونصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء ... » **واخيرا يضع الرسول تاجا على راس المحبة به تباهى سائر الفضائل فيقول « انها لا تسقط ابدا » (١ كو ١٣) .**

ليس في الامكان ان نتكلم عن المحبة وقوتها وفاعليتها ونحن نعالج موضوعا كموضوع الخدمة . لكننا ندعو القارئ ان يقف ولو قليلا عند كل صفة من صفاتها التي ذكرها الرسول ، ليعرف اننا كثيرا ما نجرم في حق المحبة ، وكثيرا ما نحقرها ، بل ونقتلها باسم بعض الشعارات الزائفة كالنشاحن والتخاضع والانقسام بدعوى الدفاع عن المبادئ السليمة مثلا ، بينما من المبادئ السليمة الا نشاحن او نتخاضع او ننقسم !! الميقل معلنا بولس الرسول « فانه اذ فيكم حسد وخصام وانشقاق الستم جسديين وتسلكون بحسب البشر . لانه متى قال واحد انا لبولس وآخر انا لابلوس افلسسم جسديين (١ كو ٣ : ٣ ، ٤) .

ان المحبة بريئة من اولئك الذين يطعنونها من الخلف ... المحبة بريئة من اولئك الذين يقسمون كنيسة المسيح باسم المبادئ والروحانية .. المحبة بريئة من اولئك الذين يثرون على اهمم الكنيسة خريا عوانا حتى لو استقروا بالنسك ... ان الذين لم يعرفوا الله ، لان « الله محبة » ...

(ثانيا) الايمان :

لقد اعطى الرب الايمان كل القوة ان يعمل وان يلاخذ ... والكتاب المقدس ملئ بمواعيد الايمان واقتداره ، وملئ ايضا بسير أبطال الايمان وعمل الله معهم ... حينما ارسل الرب رسله في ارسالياتهم التمهيدية ، جردهم من كل ما يحتاجه المسافر . فلوصاهم الا يقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقهم ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا احذية ولا عصا (مت ١٠ : ٩ ، ١٠) . لكنه في الوقت ذاته زودهم بسلطانه الالهى ليعملوا اعمالا عظيمة بالايمان باسمه (لو ١٠ : ١٧) .

وفضلا عن بركات الايمان ، فان عدم الايمان في حد ذاته خطية (رو ١٤ : ٢٣) . فالايمان بالله هو الثقة به وببواعيده ، وعدم الثقة اهانة كبيرة له ... بل مكتوب انه « بدون الايمان لا يمكن ارضاءه » (عب ١١ : ٦)

أن الأيمان لا يمكن أن يشيخ ، ولا ياتى وقت لا تعود لموايد الله قوتها
الأولى . فان كنا نقرأ عن جهاد المبشرين الأوائل بالمسيحية والأعمال العظيمة
 التى حققوها بايمانهم ، فان أى انسان له نفس ايمانهم ، يستطيع أن يمل
 نفس أعمالهم بل وأعظم منها ... قال الرب يسوع « الحق الحق اقول لكم
 من يؤمن بى فالأعمال التى أنا عملها يعملها هو ايضا ويعمل أعظم منها »
 (يو ١٤ : ١٢) .

لتحتر الخوف والتردد والارتياب فانها من اعداء الايمان ومعطلاته .
 لقد أرسل موسى — بناء على امر الله — اثنى عشر رجلا ليتجسسوا ارض
 كنعان ، من بينهم كالب ويشوع . عاد هؤلاء الرجال بعد رحلة دامت أربعين
 يوما ، وأخذ عشرة منهم يثيرون الخوف فى نفوس الشعب ، ويشجعون فيهم
 روح الضعف والهزيمة ، وحدثهم عن بنى عناق جابرة الأرض وعن المدن
 الحصينة . اما كالب ويشوع فقالا « اننا نصدق لاننا قادرون عليها .
الرب معنا لاتخافوهم » (عد ١٢ ، ١٤) . **فما أشبه ذلك بما يحدث فى**
زماننا !! . كثيرون يعتقدون أن تيار الكفر فى العالم أقوى منهم ، وأنهم
أضعف من مقاومته والانتصار عليه . لكننا فى حاجة الى أمثال كالب ويشوع
 ... نحن فى حاجة الى ايمان راعى الغنم الصغير داود الذى قتل
 جليات بقوة رب الجنود ... **فالله هو هو أمس واليوم والى الأبد ، ليس عنده**
تغيير ولا ظل دوران .

ولو أن الحصاد كثير والفلة قليلون ، لكننا لسنا فى حاجة الى معلمين
لهم ايمان الشياطين الذين يؤمنون ويقسمون ، بل نحن فى أمس الحاجة الى
خدام مؤمنين ... مؤمنين برسالتهم ، وبقوة من ينادون باسمه ويبشرون
بخلاصه ... لسنا فى حاجة الى الكثرة العددية ... فقد هزم جدعون ثلثمائة
رجل جيش المديانيين والمملقة وكل بنى المشرق ، الذين قيل عنهم انهم كانوا
« كالجراد فى الكثرة ، وجمالهم لا عدد لها كالرمل الذى على شاطئ البحر » .
كان لجدعون فى بادئ الأمر جيش قوامه نحو ٣٢ ألف مقاتل . لكن الخوف
نب فى قلبه حينما علم أن جيش المديانيين يفوقه عددا . فقال له الرب « ان
الشعب الذى معك كثير على لادفع المديانيين بيدهم لئلا يفتخر على اسرائيل
قائلا يدى خلصتى . والآن نادى فى آذان الشعب قائلا من كان خائفا ومرتعدا
فليرجع وينصرف من جبل جلعاد . فارجع من الشعب اثنان وعشرون ألفا
وبقى عشرة آلاف » وعاد الرب وقال لجدعون « لم يزل الشعب كثيرا . انزل
بهم الى الماء فنقيم لك هناك ... » وعند الماء حدثت التصفية وهبط العدد
الى ثلثمائة مقاتل ، فقال له الرب « باثلاث مئة الرجل ... أخلصكم وأدفع
المديانيين ليدك ... » . وهذا ما حدث فعلا قض ٧) .

ليتنا ننقى صفوفنا من دعاة الشك والخوف ... الخوف الذى يلبسه

البعض أحيانا ثياب الحكمة والاعتزان والزناة ... ولفق في مواعيد الرب أكثر من ثقتنا بكلام هؤلاء المشيطين ... ما أحوطنا الى القراءة كثيرا عن رجال الله الذين « بالإيمان تهرؤا ممالك ، صنعوا برا ، نالوا مواعيد ، سدوا أفواه أسود ، اطفأوا قوة النار ، نجوا من حد السيف ، تقووا من ضعف ، صاروا أشداء في الحرب ، هزموا جيوش غرباء ... » (عب ١١ : ٣٣-٣٤) .

٢- في عرس قانا الجليل لما عاينت العذراء مريم حاجة العرس ، قالت للخدام « مهيا قال لكم فافعلوه » (يو ٢ : ٥) ... ما أحوطنا ان نتمسك بطاعة الايمان الى النهاية . لقد أطاع الخدام فكانت المعجزة الاولى التى صنعها الرب ... وحينما نطيع الرب طاعة كاملة في ايمان عميق لابد وأن تحدث معنا معجزات في الخدمة ...

ثالثا - القدوة :

المسيحية كرسالة تبشيرية ، انتشرت بالقدوة أكثر منها بالوعظ والتعليم ، أو كما يحلو للبعض أن يعبروا عنها (القدوة) بالانجيل الخامس . فالمسيحيون عن طريق حبهم لالههم وحياتهم المقدسة المثمرة وثبات ايمانهم استطاعوا أن يمجّدوا الههم ، ودكوا بوداعتهم — في غير ماحرب أو عراك — حصون الشر والوثنية متممين وصية مسيحهم « غليظىء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذى فى السموات » .

فاذا كان هذا هو وضع المؤمنين العاديين اعضاء الكنيسة ، فكيف يكون الرعاة والخدام مسئولين عن تقديم ذواتهم قدوة للمؤمنين !! ورسنا يسوع المسيح المعلم الاعظم ، خادم الانداس الحقيقية يقول « تعلموا منى ... » وايضا « لاجلهم انداس انا ذاتى » (يو ١٧ : ١٩) . واتى عبده ورسوله بولس يكرر على المؤمنين كلماته « تمثلوا بى ... » . وأوصى تلميذه تيموثاوس الاسقف قائلا « لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك .. » (١ تي ٤ : ١٦) .

وسدو اهمية القدوة في حياة الخدام مما قاله الرب قديما بلسان حزقيال النبى « اهو صغير عنديكم ان ترموا المرعى الجيد ، وبقية مراعيكم تدوسونها بأرجلكم ، وأن تشربوا من المياه العميقة والبقية تكثرونها باقدامكم ، وغنمى تدعى من دوس اقدامكم ، وتشرب من كدر أرجلكم » (حز ٣٤ : ١١ ، ١٩) .

ومقصود الرب بهذه الكلمات الخدام والرعاة الذين لا يحبون مهووب التعليم الذى يعلمون به مخدموهم . وقد عبر عنه الوحى هنا تعبيراً صادقا ودقيقا « بدوس الاقدام » أى دوس التعاليم . والحق أن المخدمين في هذه

الحالة لا يتبعون التعاليم التي يسمعونها بل الأمثلة الشريفة التي يرونها .
وفيما هم منعطشون للأشياء التي يسمعونها ، يعثرون ويضلون من جراء الأمور الحادثة أمامهم ... لقد قاتل الرب أيضا بلسان هذا النبي عن اللاويين « وكنوا معثرة أثم لبית إسرائيل » (حز ١٤ : ١٢) ...

ليس أضر على الكنيسة من الشخص الذي يحمل لقب القداسة ويعمل الشر ... وكل من ليس مستحقا للخدمة — رغم بركاتها الكثيرة — فليهرب إذا سمع بأذن القبط الواعية قول الرب « من أضر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يعلق في عنقه حجر أثري ويفرق في لجة البحر » (مت ١٨ : ٦) . **على الخادم أو المعلم أن يجعل موعظته أو تعليمه خلاصة حياته الشخصية ، كما قال أحد الخدام أجابة على السؤال « كم صرفت في أعداد العظة ؟ » فكان رده « أربعين سنة » . وقد قصد بذلك خلاصة حياته الماضية .**

رابعا — الصلاة :

من البديهيات الروحية أن المسيحي ميت روحيا إذا اعرض عن الصلاة . وهو مخدوع أن ظن أن له بابا آخر لاقتبال المعونة الإلهية غير باب الصلاة . فإذا كان هذا أمر المؤمن العادي ، فكم بالخادم ... !! أن سر القوة في حياتنا كمؤمنين هي صلواتنا ، وسر القوة في حياة خدام الله الأمانة هو حياة الصلاة التي كان يحيونها . لا شيء سوى ذلك يجعل الخادم أنسان الله ، ونضمن له أن كرازته ستكون « ببرهان الروح والقوة » . لقد كانت وصيه الرب لتلاميذه قبيل صعوده أن لا يرحلوا اورشليم حتى « يلبسوا قوة من الأعلى » (لو ٢٤ : ٤٩) . وكلمات الرب هذه تحذير لهم من أن ينجسوا على الخدمة والكرازة بدون هذه القوة ... وقد تم وعد الرب هذا ، ونالوا هذه القوة في يوم الخمسين . أما وسيلة نوال هذه القوة فيحدددها لنا كاتب سفر الأعمال حينما قال « هؤلاء كلهم (التلاميذ) كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبه ... » (أع ١ : ١٤) ... أن سر قوة الكرازة والخدمة هي في عمل الروح القدس ومصاحبته للكلمة ، ووسيلة الحصول عليه هي الصلاة والمواظبة عليها ... الصلاة التي يالروح ... أن « قوة الأعلى » لا توهب الا بالصلاة الحية التي ترفع الى الأعلى ... وهكذا يحتاج الخادم الى قوة هائلة ، من أجل نفسه وخلصها ، ومن أجل خدمته وفاعليتها ... وليس من طريق الا بالصلاة التي بالروح ...

لقد كانت الخدمة في الكنيسة الأولى تسير بقوة الصلاة ودفعتها ، وهكذا كانت « كلمة الرب تنمو وتتقوى بشدة » (أع ١٩ : ٢٠) ، كل المشاكل حلت بالصلاة .. المعجزات والآيات والعجائب عملت بقوة الصلاة ... ودعائم الايمان تثبتت بقوة الصلاة .. الملوك والولاة السخني

قاموا ضد الكنيسة باعوا بالفشل والخسران بقوة الصلاة .. كل التحالفات
غير المقدسة انحلت بقوة الصلاة ...

لما تكاثرت المقاومات على تلاميذ الرب من كل جانب ، وراوا انهم عاجزون عن التغلب عليها ، رفعوا بنفس واحد صلاة قائلين « والآن يارب انظر الى تهديداتهم وامنح عبديك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة » (أع ٤ : ٢٩) ... وكانت النتيجة أن « تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه ... وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة » (أع ٤ : ٣١) . ألم تفتتح ابواب السجن لبطرس من تلقاء ذاتها ، لأن « الكنيسة كانت تصير منها صلاة بلجاجة لى الله من أجله » (أع ١٢ : ٥) ... ألم تفتتح ابواب سجن فيلبى كلها وانفكت قيود المسجونين بسبب صلوات بولس وسيلما مما كان سببا في ايمان حافظ السجن والذين له اجمعين (أع ١٦ : ٢٥ — ٣٣) .. !!

من أجل هذا نجد أن الرسل وقد تكاثرت الخدمة الاجتماعية في ذلك الوقت ، تبعا لازدياد عدد المؤمنين ، لم ينسهم ذلك عمل الصلاة ، فحينما اجتمعوا ليدخلوا الأمر قالوا « لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد . فانتخبوا ايها الاخوة سبعة رجل منكم مشهودا لهم ، ومملوئين من الروح القدس وحكمة نقيمهم على هذه الحاجة . واما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة » (أع ٦ : ٢ — ٤) ... لاحظ هنا الترتيب : المواظبة على الصلاة تاتى قبل خدمة الكلمة ... !!

فنا آتينا ان الخادم يحتاج الى صلوات من أجل نفسه وخلصها ، ومن أجل خدمته وماعليتها . ومن أجل ذلك لا يكف الخادم الأمين عن الصلاة من أجل مخدميه ويحرص في الوقت نفسه على حثهم على الصلاة لأجله ولأجل الخدمة ، ايمانا منه بقوة الصلاة وماعليتها ... واناخذ لنا في هذا المقام بولس العظيم ، الخادم الأمين والمبشر العظيم الذى كرز للامم ، فقد دعانا هو أن نتمثل به (١ كو ١١ : ١) ... وها هي كلماته تنطق بالروح الكارزة الملتهبة لهذا الرسول الأمين :

« طالبين ايلا ونهارا نوفر طلب أن نرى وجوهكم ونكمل نقائص ايمانكم » (١ تس ٣ : ١٠) .

« فان الله الذى اعبدته بروحى في انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع اذكركم ، متضرعا دائما في صلواتى » (١ أف ١ : ١٥ ، ١٦) ...

« بسبب هذا احنى ركبتي لادى أبى ربنا يسوع المسيح ... لكريمطيك بحسب غنى مجده أن تتلبدوا بالقوة بروحه في الانسان الباطن ، لاجل المسيح بالايمان في تلويعكم ... » (أف ٣ : ١٤ — ١٧) .

« أشكر الهى عند كل نكرى اياكم دائما في كل ادعيتي ، مقدما الطلبة لاجل جميعكم بفرح ... فان الله شاهد لى كيف اشتهاق الى جميعكم في احشاء يسوع المسيح ، وهذا أصليه ان تزداد محبتكم أيضا أكثر فأكثر في المعرفة وفي كل فهم » (في ١ : ٣ - ٩) .

« نشكر الله وإبارينا يسوع المسيح كل حين مصلين لاجلكم اذ سمعنا ايمانكم ... من أجل ذلك نحن أيضا منذ يوم سمعنا لم نزل مصلين و طالبين لاجلكم أن تملثوا من معرفة مثنسيثته في كل حكمة ونهم روى » (كو ١ : ٣ - ٩) .

ما أحوجنا يا أخانا العزيز أن نقف طويلا وقفة التأمل عند أقوال هذا الرسول الأمين لترى كيف تكون الخدمة الامينة الناجحة المستندة الى قوة الصلاة ...

هذا عن صلوات بولس عن الخدمة والمخدومين . أما عن حث **المخدومين على الاشتراك في الصلاة لاجل الخدمة ، فهي كثيرة ، شاهدة على ايمان هذا الرسول بلزوم الصلاة للخدمة والكراسة :**

« ناطلب اليكم ايها الاخوة برينا يسوع المسيح وبمحبة الروح ان **تجاهدوا معي في الصلوات** من اجلى الى الله لكي أنقذ من السذين هم غير مؤمنين ... ولكي تكون خدمتي لاجل اورشليم مقبولة ... » (رو ١٥ : ٣٠ ، ٣١) .

« وأنتم أيضا مساعدون بالصلاة لاجلنا (٢ كو ١ : ١١) ... »

« مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لاجل جميع القديسين ولأجلى ، لكي يعطى لى كلام عند افتتاح **فى لأعلم جهارا بسر الانجيل** » (اف ٦ : ١٨ ، ١٩) .

« واطبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر ، **مصلين في ذلك لاجلنا** نحن أيضا ليفتح الرب لنا بابا للكلام لتتكلم بسر المسيح » (٢ : ٢ ، ٣) .

« أخيرا ايها الاخوة صلوا لاجلنا لكي تجسرى كلمة الرب وتتمجد كما عندكم أيضا » (٢ تس ٣ : ١) .

خامسا — انكار الذات : (١)

انكار الذات هو الأساس المتين الذى ينبغى للخادم أن يبني عليه حياته الشخصية وخدمته للرب ... فالقديس بولس في حديثه الى مؤمنى كورنثوس — بعد أن عقد مقارنة بين الالعب القديمة والجهاد الروحى ، وأبرز وجهه

(١) تناولنا هذا الموضوع بأسهاب في الجزء الأول من بستان الروح .

الشبه في أن المؤمن يفوز في النهاية بالجمالة — قال عن نفسه « اذن أنا اركض هكذا ... بل اقمع جسدى واستعبده حتى بعد ما كرزت الآخرين لا اصير أنا نفسى مرفوضا » (١ كو ٩ : ٢٤ — ٢٧) ... والانسان يأخذه المعجب ، أيمن أن يرفض هذا الرسول والمبشر العظيم أخيرا ؟ ! أحتل أن راجع الوب النفوس للرب يخسر نفسه ؟ ! لكن هذا خير مذكر لنا ، لكى نلاحظ أنفسنا وننتبه لأمر خلاصنا ، ونجاهد حتى الدم الى النهاية ، ونشعر أن نعمة الرب هى كل شىء فى حياتنا ... حتى لو كان لنا سنوات عديدة فى الخدمة يجب أن نشعر أننا كل يوم ، أننا نبدا خدمتنا ... هذا هو الأساس الأول والقوى الذى ينبغى على كل خادم أن يؤسس خدمته عليه .

حينما كانت كلمة الرب الى ارميا اتنبى تعلن له أنه جعل نبيا للشعوب . اعتفى شاعرا بصغر سنه . فكان جواب الرب على ذلك ، كلمات تشجيعه ومواعيد الهية . ثم مد الرب يده ولمس غم ارميا وقال له « ها قد جعلت كلامى فى فمك . انظر . قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الملوك لتتلع وتهدم وتهلك وتنتقض وتبنى وتغرس » (ار ١ : ٤ — ١٠) ... وقال له أيضا « هانذا جاعل كلامى فى فمك نارا . وهذا الشعب خطيا فتاكلهم » (ار ٥ : ١٤) ... وهكذا يجب ألا نشعر فى أى وقت من الاوقات أننا اكفاء للخدمة مهما كانت درجة مؤهلاتنا العلمية والسنوات التى قضيناها فى الخدمة ... وهكذا ينبغى أن نشعر أن النجاح الذى نحرضه فى وعظنا وخدمتنا واعجاب الناس وتقديرهم لنا ، أننا يرجع الى الكلام الذى وضعه الرب فى أفواهنا ... ما أحرانا أن نمثله بالرسول بولس الذى قال « ليس أننا كفاءة من أنفسنا أن نمكر شئ كنه من أنفسنا . بل كفايتنا من الله الذى جعلنا اكفاء لأن نكون خدام عهد جديد ... » (٢١ كو ٣ : ٥ ، ٦) .

ونفس الأمر تكرر مع أتبعاء النبى ... « مقلت ويل لى ابنى هلك لأنى انسان نجس الشفتين ... مضار الى واحد من السيرافيم وبيده جمره قد أخذها بملقط من على المذبح . ومس بها فمى . وقال أن هذه قد مسب شفتيك فانتزع اثبك وكفر عن حطيك . ثم سمعت صوت السيد قائلا من أرسل ومن يذهب من جلنا . فقلت هانذا أرسلنى ، فقال اذهب وقل لبدأ الشعب ... » (أش ٦ : ٥ — ٩) .

ليتك تشعر يا اخانا الخادم العزيز أن شفتيك ملهوستان بيد الرب ، خصوصا وانت الانسان المواظب على تناول جسد المسيح ودمه الأقدسين ، اللذين ترمز اليهما جمره المذبح فى كلام أتبعاء النبى ... لك تحس دائما فى كل مرة تخدم وتحدث الناس عن الرب ، أنه قد جعل كلامه فى فمك ... بل ليترك ترغ قلبك الى الله طالبا الله أن يجعل كلامه فى فمك ، فى كل مرة تريد أن تحدث الآخرين عنه ...

سادسا - الامتلاء بالروح :

وهذا هو بيت القصيد في حياة خادم الله ... لا يغرب عن بالنا أبدا أن الله روح ، ومن ثم فكل الذين يريدون أن يخدمونه عليهم أن يمثلوا أولا بالروح لكي يخدمونه بالروح « الروح هو الذي يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئا . الكلام الذى اكلكم به هو روح وحياة (يو ٦ : ٦٣) ... الروح هو عنصر الحياة ، وحينما تفارق الروح يقبل الموت ويومئ الانحلال ...

ليس المهم في الكلام الذى يقوله الخادم ، بل المهم ان تخرج الكلمة منه بقوة ، هي قوة الروح . أما الخادم الذى ليس له حياة الروح ، فالكلمة تخرج من فيه ميتة ... قال معلمنا بولس للتسالونيكين « عاملين ايها الاخوة ... أن اتجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوة أيضا وبالروح القدس » (١ تس ٥ : ١) . فلو أن كانت وسيلة التبشير هي الكلام ، لكنه لم يكن كلاما عاديا ، بل كلاما مصحوبا بقوة ، هي قوة الروح القدس ...

صدقنى يا اخى العزيز ان هذا هو سر الضعف ... لعلك لا تختلف معى في ان الوعظ قد كثر عن ذى قبل ، كثر كلام التعليم عن زمن الرسل ، لكن الثمر قل وشح جدا ... ولقد سام الناس الوعظ وكلام التعليم ... أما السبب الجوهرى في ذلك فهو ان كلام الوعظ وكلمات التعليم تخرج من افواه الوعاظ والمعلمين ميتة اذ ليس لهم حياة فيهم ... حقيقة ان كلمة الله حية وفعالة وامضى من كل سيف ذى حدين ... (عب ٤ : ١٢) . لكنها محتاج الى انسان مؤمن حى يتكلم بها ... والسيف انقطع البتار يحتاج الى شخص حاذق يستخدمه ... والرسول في رسائله الى مؤمنى أفسس يسمى كلمة الله « سيف الروح » (أف ٦ : ١٧) . ما اصدق هذا التعبير ... انه سيف ، لكنه مقرون بكلمة الروح ... ان الكلمة بدون روح كالسيف الذى لا يقطع ... له من الخارج مظهر السيف لكنه لا يؤدى عمله ...

ولقد اوضح القديس بولس هذا الامر ايضا بليفا حينما قال لمؤمنى كنيسة كورنثوس ، وانا لما اتيت اليكم ايها الاخوة ، اتيت ليس بسمو الكلام او الحكمة مناديا لكم بشهادة الله ... وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المنزع ، بل ببرهان الروح والقوة ، لكى لا يكون ايمانكم بحكمة للناس بل بقوة الله » (١ كو ٢ : ١ - ٥) . وبحلو لنا جدا ان نقف عند كلمات الرسول هذه « ببرهان الروح والقوة » ففيها مفتاح الخدمة الناجحة ، وسر قوة الكنيسة الاولى وانتشار الكلمة .

كلام الحكمة الانسانية المقنع هو الفلسفة والمنطق . كان بولس فيلسوف المسيحية الاولى قادرا أن يكلم مؤمنى كورنثوس احفاد فلاسفة اليونان العظام

بالمطرق والفلسفه ، لكنه أبى ، فرسالة الملكوت لا تنتشر بهذه الوسيلة ...
لكنه كرر لهم « ببرهان الروح والقوة » . فما هو برهان الروح هذا ؟

العقل يقنع العقل ، والروح يقنع الروح ... وحينما يتكلم الروح لا يستعمل أساليب الكلام العادية ، لكن له أسلوبه الخاص هو أسلوب يوم الخمسين ... ما هي أنواع الفصاحة والبلاغة والمنطق التى تميزت بها كلمات بطرس الرسول فى عظة يوم الخمسين حتى أن جميع السامعين « نخسوا فى قلوبهم وقالوا ... ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة » (ا ع ٢ : ٣٧) ... استسلام من جاتب المستمعين « ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة » ؟ فكان جواب الرسل عليهم « توبوا » ... هذا هو برهان الروح الذى نفذت به الكنيسة ارادة سيدها وقاديتها أن يركزوا بالانجيل للخليقة كلها ... أن برهان الروح لا يحتاج الى جدل أو الى نقاش ... انه لا يقاوم ولا يقهر « لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها » (لو ٢١ : ١٥) .

أن ما حدث فى يوم الخمسين اثناء خطاب معلمنا بطرس كان برهان الروح ... فلم يناقش الموعظون هذه الدعوة الجديدة ... لم يجادلوا ... لم يطلبوا اقناعا معينا ... لم يحدث شيء من هذا ... والسبب أن الروح عمل فيها بقوة ونخسهم فى قلوبهم .

قال معلمنا بولس أن كرازته كانت « ببرهان الروح والقوة » ... ما عن القوة . فهي عينها القوة التى وعد بها الرب تلاميذه ، وأوصاهم أن يقيموا فى اورشليم الى أن « يلبسوا قوة من الأعلى » (لو ٢٤ : ٤٩) ... « لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم » (ا ع ١ : ٨) .

أن العالم الآن فى عصر العقل . عصر مجيد العقل ومحاولة اخضاع كل شيء لسلطانه ... لقد أصبح عقل العالم أكبر من روحه بكثير ، وسر ضعف الخدمة وضعف انتشار ملكوت الله بقوه هو أننا نسينا وصية سيدنا ومعلمنا ، وشرعنا فى خدمتنا ، نخدم خدمة العقل لا خدمة الروح ... اعرضنا عن برهان الروح بما يصاحبه من قوة وفاعلية ، ولجأنا الى منطق العقل بما يصاحبه من فلسفة بشرية وأساليب تربوية !! لقد أصبح خدام الجبل من حملة الشهادات المؤهلين فكريا وتقنيا ، لكنهم جميعا لا يساوون صناديق بحر التجليل الأسمى الذى تبع معلمه الى النهاية وانتظر فى اورشليم « موعد الآب » ... !! أما كيف منلىء بالروح ، فهذا ما نرجو أن يكون كنتيجة لهذا الكتاب بنعمة الرب ...

سابعاً - دراسة كلمة الله :

كلمة الله ينبوع حي من اكبر الانبياء التي فخرت لنا فيها قوة الله . ان كل الخدم الامناء الناجحين بنوا حياتهم وخدمتهم على اساس كلمة الله . ما اكثر الخدم الذين يضلون الطريق الى مصدر القوة الحقيقية . فبينما يشناقون لى القوة اتى تشعل نار الحب الالهى فى القلوب الباردة ، ونحطم القلوب التى تمست بالخطية ينسون قول الرب « اليسى هكذا كلمتى كنار ... وكمطرقة تحطم الصخر » (ار ٢٣ : ٢٩) ، وقوله ايضا « ها انذا جاعل كلامى فى فمك ناراً ... » (ار ٥ : ١٤) ... وبينما يتعبون من اجل الثمر المتكثر لحساب الخدمة ينسون قول الرب يسوع ، ان « الزرع هو كلام الله » (نو ٨ : ١١) !!

ان كانت دراسة كلمة الله لازمة للمؤمن العادى كغذاء روحى يومى من اجل نموه الروحى ، فكم يكون لزومها اكثر للخدام ، الذى يطلق عليه احيانا اسم « خادم الكلمة » ... يدرس الخادم كلمة الله ليعلم ارادته وطريقه . ويبلغها لخدمته ... وهو يدرسها ايضا ليعرف طبيعة الانسان ووساس ربه . ان فى الكتاب المقدس كل انحقاق التى يحتاج اليها الخادم فى حديثه مع الآخرين . ان خادم الله لا يفيدته تبهره فى فنون كثيرة ، بل هو محتاج الى دراسة كلمة الله . يقول القديس بولس لتلميذه تيموثاوس « اعكف على القراءة والوعظ والتعليم ... اهتم بهذا ، كن فيه لكى يكون تقدمك ظاهراً فى كل شىء » (١ : ٤ - ١٣ - ١٥) .

الكتاب الاول والاخير الذى ينبغى على الخادم ان يدرسه بعق هو الكتاب المقدس . قد يقرأ عشرات الكتب ، وقد يستطيع ان يقتبس منها اقتباسات كثيرة ، ولكن ما لم يدرس كتابه المقدس غانه بفقد كثيراً . قال الله قديماً ليسوع بعد ان آلت اليه قيادة الشعب خلفا لوسى « لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه نهائراً وليلاً لكى تحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه ، لانك حينئذ تصالح طريقك ، وحينئذ تفلح » (يش ١ : ٨) .

ان الكتاب المقدس « نافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى و النبر ، لكى يكون انسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح » (٢ : ١٦ : ١٧) . ومن جعبة هذا الكتاب لنافع يستطيع خادم الله ان ينتقى السلاح المناسب الذى يتهر به أعداءه . ان كلمات الله - التى تهر بها السيد المسيح ابليس حينما تقدم ليخرجه - كانت كسهام بيد قوى . وصدق داود العظيم حينما قال « مضبوط هو الرجل الذى يملأ جعبته منهم » . حينما نستخدم كلمة الله فى خدمتنا ونعتمد عليها ، نجد انها « حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين ، وشارقة الى مفرق النفس والروح والفصل والمخاخ ، ومميزه

افكار القلب ونياته » (عب ٤ : ١٢) . **والحذر من دراسة كلمة الله بقصد وعظ الآخرين بل يجب ان يكون ذلك بقصد التبصير منها اولا حتى تصبح جزءا من كياننا الروحي** . وحينئذ يكون لها في افواها قوة عجيبة بفعل الروح القدس .

وان كنا تناولنا بالكلام هنا أهمية دراسة كلمة الله بالنسبة للخادم ، فنود أن نوه بأهمية الثقافة والاطلاع بصفة عامة له ، وذلك بحسب مقتضيات العصر الذي نحيا فيه ، وبذلك يكون الخادم مستعدا للرد على الأسئلة التي توجه اليه خاصة بمشاكل العصر ، بشرط ألا يطغى اطلاعه في أمثال هذه الكتب على روحانيته ودراسته للكتاب المقدس الذي ينبغي أن يتقدم جميع الكتب أيا كانت قيمتها الروحية أو الثقافية أو الأدبية ...

ثامنا - التجرد :

التجرد فضيلة مسيحية يجب أن يتحلى بها جميع المؤمنين . ونعني به التجرد من محبة العالم في كل صورها « محبة العالم عداوة لله . فمن أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله » (يع ٤ : ٤) . وتتفاوت هذه الفضيلة كمالا من مؤمن الى مؤمن . فقد يصل التجرد الى حد بيع الممتلكات كما حدث في الكنيسة الأولى . وإرسل أنفسهم أوضحوا أيمانهم بهذه الفضيلة حينما قالوا لهم « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك » (مت ١٩ : ٢٧) . وان كان جميع المؤمنين مطالبين بالتجرد كفضيلة مسيحية عامة ، لكنه بالأكثر يناسب جماعة الخدم سواء المكرسين منهم أو المتطوعين .

وفكرة التجرد قائمة على توحيد القلب لحب الله . لقد طلب داود النبي والملك الى الله في إحدى صلواته قائلا « **وحسد قلبي لخوف اسمك** » (مز ٨٦ : ١١) . فكثيرا ما ينقسم القلب رغم الوصية انقائلا « يا ابني اعطني قلبك » (لم ٢٣ : ٢٦) . ورغم وصية الرب يسوع « **تحب الرب الهك من كل قلبك** » (مت ٢٢ : ٣٧) . وحينما ينقسم القلب تكون الطامة الكبرى والخطر العظيم . مدحنا يبدأ القرب يتجزأ أو تشغله اهتمامات كثيرة تنافس بعضها بعضا في الأهمية . يبدأ الإنسان في تبرير سلوكه وضعف حبه لله ، ويقدم عللا كثيرة . قال داود النبي « لا تمل قسبي الى أمر رديء لأتعلل بعال الشر مع الناس » عني اثم » (مز ١٤١ : ٤) لكن قلوبنا اذن موحدة وكاملة في حبه لله . قال الوحي الإلهي « **لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ، ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه** » (٢ اي ١٦ : ٩) .

نعود الى التجرد فنقول . يحدث أحيانا ان الشاب الخادم (المتطوع) في حقل الكنيسة بعد تخرجه من كليته أو معوقه واستلامه عملا ما ، سرعان ما يغريه العالم ببيرقه الخادع ، ويندفع باحثا عن عمل اضافي ينمي به

دخله ، أو دراسة أكاديمية عالية ، حمل بواسطتها لقباً علمياً عريضاً ، أو بعثة علمية للخارج ... الخ ، وبدا يشغل وقته الذى كان يقدم فيه خدمته للرب . ويظل مثل هذا الشاب يندفع رويدا رويدا وسط لجة بحر العالم المزدحم تتقاذفه أمواجه ، ويظل هكذا حتى تخذل أنفاسه الروحية ويبشع اليم ، ويذوب — وتذوب معه مادته — وسط دوامة المجتمع العنيفة . كثيرون ابتلعتهم هذه الدوامة ، وكثيرون خدعهم العالم بذهبه ومراكزه الزمنية . ولاشك أن أمثال هؤلاء قد انحرقوا كية عن حياة التجرد التى تليق بالخدام .

ونود أن نوضح هنا أمرا . وهو أننا لا نقاوم الظهوح والتزقى . ربما كان هذا مناسبا وموافقا جدا للمسيحي العادى ، لكننا نتحدث عن فئة اشتعل قلبها بحب الله فأحبته فى أشخاص أولاده ، وهكذا عرفت طريقها للخدمة . ونحن لا نشك أن الله يعرض أمثال هؤلاء الخدام الأمناء الذى فضلو خدمته عن حب المراكز والرئاسات والمال اله هذا الدهر ، عوضا يناسب مع سخائه فى العطاء والمجد ...

هذا عن الخدام المتطوعين . ويوجد بعض الخدام المكرسين لا يحبون فى اختبار التجرد الجميل . قد يكونوا قد تجردوا عن مراكزهم أو وظائفهم حا فى خدمته ، لكن — ومع ذلك — لم يعطوا كل قلبهم وحبهم للرب . ويحق لمثل هؤلاء أن يقال لهم نفس الكلمات التى وجهها الرسول الى حنايا وسفيره « ابهذا المقدار بعننا الحقل ... اليس وهو باقى كان يبقى لك » (ا ع ٥ : ٤ ، ٨) . قبل تكريس حياتك للرب ايها الخادم ألم تكن كلها لك ؟ ابهذا المقدار سعت انعمالم ؟ انت لم تطلق محبة العالم كلها ، لكن أبقيت منها شيئا لك ؟! . اجلس مع نفسك وراجع نذكورك وتعهداتك الماضية قبل بدء خدمتك وتكريس حياتك للرب . وتفكر هل اختلست شيئا من ثمن الحقل الذى هو قلبك وحياتك كلها ؟!

فى معجزة اشباع الآلاف من الخمسة أرغفة وسمكتين ، قال التلاميذ للرب « ليس عندنا هنا الا خمسة أرغفة وسمكتان » . فكان الجواب « اتئونى بها » (متى ١٤ : ١٧ ، ١٨) . وأخذ الرب الأرغفة الخمسة والسمكتين وباركها ، فاكل الجميع وشبعوا وماض عنهم ... لقد طلب الرب كل ما عندهم ، وفعلا قدموها ، فكانت معجزة البركة ... اكلوا وشبعوا وقاض عنهم ... ماذا كان يحدث لو أن واحدا من التلاميذ — من أجل ضعف ايمانه — احتجز جزءا لنفسه كى يشبع منه ؟!

ان اختار التجرد لهو من أقوى الاختبارات التى يجب على الخدام الأمين أن يحيا فيه . انه يعطيه قوة روحية ، واتكالا كاملا على الرب ،

وشجاعة في خدمته . وفيما يختص بالتواحي المادية ، يعطيه سموها عن مستويات المادة ، التي كثيرا ما كانت سببا لها في خلق الاشكالات التي خنقت الخدمة وعاقبت نموها .

تاسعا - الحب والحنو على المخدمين :

لاشك ان الحب والحنو من جانب الخادم على مخدميه يبنيه روحيا ، فالحب والحنو من سمات المسيحية الاصيلية . وهكذا رأينا ابن الانسان في نظريته للأشرار والخطاة . انه ينظر انهم كمرضى يحتاجون الى علاج . لقد اجتذب ملايين البشر بشباك حبه وعطفه ... لقد صدق بولس الرسول في قوله « المحبة تبنى » (١ كو ٨ : ١) ... لقد كان صديق للعشارين المنبوذين والخطاة المبعدين ، وكان هذا سببا في اعتراض هل الكهنة من الكتبة والفريسيين مرارا كثيرة ، وكان السبب انه ياكل ويشرب ويجالس العشاريين والخطاة ... لقد كتب عن يسوع انه كان يطوف المسكن كلها والقرى ... يشفى كل مريض وكل ضعف في الشعب . وانه تحن على الجموع حينما رآهم منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها (مت ٩: ٣٥، ٣٦) .

ولقد كان الحب والحنان هما شعبة تلاميذ الرب ورسله . قال معلمنا بولس « ولا طلبنا مجدا من الناس ، لا منكم ولا من غيركم مع أننا قادرون ان نكون في وقار كرسل المسيح . بل كنا مترفقين في وسطكم كما تربي المربية اولادها . هكذا اذ كنا هائنين اليكم كنا نرضي ان نعطيكم لا انجيل الله فقط بل انفسنا ايضا لانكم صرتم محبوبين الينا » (١ تس ٢ : ٦ - ٨) . وفي موضع آخر يوصي الفلاطين بالترفق بالخطاة فيقول « ايها الاخوة ان انسب انسان فآخذ في زلة ما فاصلحوا انتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظرا الى نفسك لئلا تجرب انت ايضا » (غل ٦ : ١) ... ان القسوة على الخاطئ لا ترمجه ، بل تزيده قسوة وبعدا عن الرب وعن الكنيسة « وعبد الرب لا يجب ان يخاصم بل يكون مترفقا بالجميع صانعا للتعليم ، صبوراً على المشقات ، مؤدبا بالوداعة المقاومين ، عسى ان يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق . ميسفيقوا من مخ ابليس اذ قد اقتنصهم لارادته » (٢ تي ٢ : ٢٤ - ٢٦) ...

كان ابشالوم بن داود مطرودا من وجه ابيه الملك لانه طرد اياه من العرش ، واحتقر المحبة الابوية واعلن عصيانه على ابيه ، وبلغ به الامر انه صار يطلب نفس ابيه ... لكن مع كل ذلك لم يغير داود نظريته اليه كابن لايزال يحبه . لذلك حينما طلب داود الملك الى قواده ان يذهبوا لمحاربة ابشالوم قال لهم « ترفقوا لي بالفتى ابشالوم » (٢ صم ١٨ : ٥) . فما أشبه داود بربنا يسوع المسيح ، وابشالوم بالخاطئ العاصي المتمرد ... انها نفس مشاعر الرب من جهة المتمردين والعصاة . انه يترفق بهم ويأمرها

نحن ايضا ان نتشبه به . لقد انتهى امر ابشالوم ، بأن قتله يوأب المجوز القاسى القلب بلا شفقة رغم وصية مولاة ... ويوجد كثيرون أمثال يوأب . فبينما يطلب ارب يسوع أن نعامل الخطاة برفق ، يقوم يوأب ويقتلهم بوحشية ... وفي هذه الحال ينكسر قلب الرب يسوع لأجلهم ، كما انكسر قلب داود لأجل ابنه ابشالوم ...

عاشرا — الحكمة والمرونة :

الحكمة كلمة ما اعزبها ونعمة ما اسماها ، فهي « حير من اللآلئ وكل الجواهر لا تساويها » (ام ٨ : ١١) . لقد سر المسيح أن يسمى بها ، ولكننا نحن نركز بالمسيح ... قوة الله **وحكمة الله** » (١ كو ١ : ٢٤ ، ٢٣) . « المسيح 'لأنخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم' » (كو ٢ : ٣) . فليس غريبا إذن أن وجدنا ربنا يسوع المسيح الذى قيل عنه انه « كان يتقدم في الحكمة والقامة والذمة عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) ، يوصينا بالحكمة « كونوا حكماء كالحيات » (مت ١٠ : ١٦) ، ويمد أولاده وتلاميذه بها في زمن الضوئى واشدائد « أعطيكم فيها وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها » (لو ٢١ : ١٥) ... وكم كان تصرفه حكيما وكلماته مفحة حينما قال لأولئك الذين أرادوا أن يوقعوا بينه وبين السلطة الحاكمة « اعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (مت ٢١ : ١٥ — ٢٢) .

يجب أن نعترف أن كثيرا من مشاكلنا في الكنيسة وفي محيط الخدمة سببها عدم التصرف بحكمة ومرونة . فنحن نقف جامدين ، اعتقادا منا أن الحق في جانبنا دون الجانب الآخر ، وتكون النتيجة الانقسام والفشل والإنهيار . وليس معنى هذا الكلام أن الإنسان يعيش بلا مبدأ أو أنه ينحلى عنه ، بل أن يكون حكيما في تصرفه من أجل وحدة المص و خلاص النفوس . هذا ما نلمسه وأضحا في أقوال وتصرفات القديس بولس الرسول والفيلسوف الحكيم ، قال « فاني إذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الاكثرين . فصرت لليهودى كيهودى لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كاتى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كاتى بلا ناموس مع أتى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما . وهذا انا افعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه » (١ كو ٩ : ١٩ — ٢٣) . والمعنى واضح أن الرسول لم يقاوم جميع هذه الفئات التى خدم بينها بادية ذى بدء ، ولم يسف آراءهم ، ويخطئ معتقداتهم ، بل منها وبها — بحكمة عجيبة — قادهم للإيمان بالمسيح .

ويفسر هذا الكلام موقفين رائعين لنفس هذا الرسول ، الأول مع اليهود والثانى مع الوثنيين . فرغم مقاومته لفكرة ضرورة تهود الأمم

الراغبين في الايمان المسيحى — التى اثارها قوم من اليهود المشرحين — ورغم القطع في هذا الامر في المجمع الرسولى في اورشليم ، الذى كان هو مشتركاً فيه ، واحد على سائقه تبليغ قرارات المجمع للكنائس (اع ١٥) ، فقد تصرف بخلاف ذلك مع تيموثاوس عقب تعرفه عليه في دريه ونسترة ، ورغبته في خروجه معه للخدمة . فلقد « اخذه وختته من اجل اليهود الذين في تلك الاماكن ، لان الجميع كانوا يعرفون اياه انه يونانى » (اع ١٦ : ١-٣) .

وفي مدينة اثينا — موطن الفلاسفة — حينما وقف وسط الاريوس باغوس — وسط جمع من الفلاسفة الابيقوريين والروافيين — استهل حديثه بذلك الاستهلال الحسن الحكيم » ايها ارجال الاثينيون اراكم من كل وجه كائنكم سدينون كثيرا . لائنى بينما كنت اجتاز وانظر الى معبوداتكم ، وجدت ايضا مذبحا مكتوبا عليه لاله مجهول . فالذى تتقونه وانتم تجهلونه هذا انا انادى لكم به ، الاله الذى خلق العالم ... » (اع ١٧ : ٢٢ - ٢٤) ...

والمعجب ان بولس الذى قال هذا الكلام ، هو الذى قيل عنه قبيل ذلك مباشرة « وبينما بولس في اثينا احتدت روحه فيه اذ راي المدينة مملوءة اصناما ... » (اع ١٧ : ١٦) .

الحكمة صفة مسيحية أصيلة يجب ان يتحلى بها خادم الله . فحينما فكرت الكنيسة الاولى في اختيار معاونين للرسول في الخدمة ، كان الشرط ان يكونوا « مملوئين من الروح القدس وحكمة » (اع ٦ : ٣) . وقد تم ذلك فعلا ، فحينما قام بعض المتوهمين يجادلون اسقفانوس « لم يقدروا ان يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به » (اع ٦ : ١٠) ...

وكانت الحكمة هي وصية الرسل جميعا ... فبولس الرسول « البناء الحكيم » (١ كو ٣ : ١٠) ، يوصى مؤمنى كولوسى ان يسلكوا « بحكمة من جهة الذين هم من خارج » (كو ٤ : ٥) ، وان يعلموا وينفروا بعضهم بعضا « بحكمة » (كو ٣ : ١٦) . ويقول للكورنثيين « لكن اذ كنت محتالا اخذتكم بمكر » (٢ كو ١٢ : ١٦) . ويعقوب لرسول يؤمن على هذا الكلام ويحث المؤمنين على اقتناء الحكمة ويقول لهم « ان كان احدكم تعوزه حكمة ، فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له » (يع ١ : ٥) .

لاشك ان الحكمة من اهم مقومات الخدمة ، وهي تفسير مع ربح النفوس جنبا الى جنب . قال الحكيم قديما « رابح النفوس حكيم » (ام ١١ : ٣٠) . لقد اوضح السيد المسيح ذلك حينما عقد وحه شبيه بين صيد السمك واصطياد النفوس في حديثه الاول مع سمعان بطرس (لو ٥ : ١٠) . فصيد السمك يحتاج الى حكمة وحرص وحذر ودراية ، وهكذا نفوس .

ما أحوج خدامنا الى المرونة والحكمة . ليست حكمة العالم التى قبل عنها يعقوب الرسول انها « ارضية نفسانية شيطانية » ، بل الحكمة التى من فوق لانها « اولا طاهرة ثم مسالمة مترفة مذمعة ، مملوءة رحمة واثمارا صالحة » (يع ٣ : ١٥ - ١٧) ... نعم ما أحوجنا الى المرونة والحكمة الالهية . فكم من مشكلات تحدث فى حقل الخدمة بسبب عدم التصرف بحكمة . لذا نلفت نظر القادة القائمين على خدمة التربية الدينية فى مدارس الاحد مثلا ، الا يتركوا الامر للشعب صغار السن الذين تعوزهم حتى مجرد حكمة أهل العالم بحكم سنهم ، لانه كما قال ايوب الصديق « كثرة السنين تظهر حكمة » (اى ٣٢ : ٧) .

الحادى عشر - التركيز فى الخدمة :

وثمة عامل غاية فى الاهمية من عوامل قوة الخادم هو « التركيز فى الخدمة » . والكلام هنا نوجهه سواء للخدام المكرسين او لمن يخدمون خدمة تطوع ...

يوجد كثير من الخدام - بدافع اشواقهم للخدمة وغيرتهم عنى خلاص النفوس - يندفعون للخدمة فى اكثر من ميدان وفى اكثر من موضع ، وتكون النتيجة انهم يفقدون التركيز ، ومع فقدان التركيز يظهر شعب الضعف والانحلال والسطحية ، لا فى الخدمة فحسب بل فى حياة الخادم ذاته ... اننا نقول فى يقين ان الاتساع الكثير فى الخدمة غالبا ما يكون على حساب حياة الخادم الروحية الخاصة ، ما لم يقابل هذا الاتساع ازدياد فى عدد الخدام المعاوين .

معلوم ان ساعات النهار اثنتا عشرة ساعة كما قال رب المجد ، اى ان الوقت محدود ، والجهد محدود ايضا ... ان حقل الخدمة يضم اى جانب الخدام المكرسين - الموظفين المطالبين بالامانة فى اعمالهم ، والطلبة المسؤولين عن دراساتهم الى جانب غدت اخرى لها مسؤولياتها فى الحياة ... وطالما نحن مرتبطون بهذه المسؤوليات امام الله وامام ضمائرنا وامام المجتمع ، فلا يصح ولا يليق مطلقا ان نهملها بحجة خدمة الله ... اننا بتقصيرنا فى واجباتنا الرسمية ، انما « نجعل عائنا لانجيل المسيح » (١ كو ٩ : ١٢) . ان وقت الخدمة بالنسبة لكثير من الخدام محدود ، وهذا اوقت المحدود عليهم ان يتصرفوا فيه بمنتهى الحسكة ، فلا يتقاعدوا عن الخدمة بحجة الاهتمام بذواتهم ونموها وخلاصها ، ولا يندفعوا فيها متغافلين عن نموهم الروحى فى غمرة الخدمة . اذن فاحرص يا اخانا على السير فى الطريق الوسطى ..

قال رب المجد « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، او ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) . فلو انى خلصت

نفس أهل العالم جميعهم ، واغفلت عن نفسي وأمر خلاصها ، فلا أفترس
 أقدمها فدءاً من نفسي . فانتبه لنفسك جيداً ، واضعاً نصب عينيك كلمات
 الرسول يوس « أقمع جسدي واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا
 أصير أنا نفسي مرفوضاً » (١ كو ٩ : ٢٧) ... **انن فمن الممكن ان الخادم
 الذي يكرز ببسبيل الخلاص للآخرين أن يرفض في النهاية من أجل تهاونه .**
 ولنتذكر في هذا المقام ما قاله رب المجد « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم :
 يارب يارب اليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا
 قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط . انهبوا عني يا فاعلي
 الاثم » (مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣) . وعبارة « اني لم أعرفكم قط » ، تشير
 الى أن هؤلاء الخدام لم تكن لهم الشركة الخاصة مع الرب ، ولم يحدث
 تعارف فيه وبينهم في جلسات خاصة ... ثم من هو هذا الخادم الذي أخذ
 يقمع جسده ويستعبده خشية أن يصبح مرفوضاً !! هو بولس معلم
 المسكونة ومبشرها ... هو الذي صعد الى السماء الثالثة ورأى أشياء
 لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها !!

**لقد أوصانا الرب أن نحب قريبنا كنفسنا (مت ٢٢ : ٣٩) ، ولم
 يوصنا أن نحبه أكثر من نفسنا !! وليتنا نحبه أكثر ، لكن في الواقع نحن
 نهرب من أنفسنا !! لو أني قصرت في زيارة مريض تسبب خارج عن ارادتي
 مثلاً ، ولو أني قصرت في تقديم معونة لإنسان ما لمدمم قدرتي على ذلك ،
 ولو أني ما استطعت أداء واجب إنساني نحو أخ لي على الرغم مني ، لو
 حدث كل ذلك وما شابهه ، ربما كان لي عذر ... ولكن ماذا يكون عذري
 لو قصرت في حق نفسي التي هي بين جوانحي ... نفسي التي تلازمني ...
 معي في نومي ويقتلني ، جلوسي وقيامي ، اقامتي وترحالي !! ماذا أعطى
 جواباً عن ذلك أمام الله ... اذن فانتبه لنفسك جيداً يا أخانا ، وإياك أن
 تهرب منها ، بل كن أميناً الى الموت لتستحق اكفيل الحياة ...**

حقاً كان السيد المسيح يقضي ساعات طويلة مع الجموع معلماً وصاعداً
 معجزات ، كان يقضي اليوم كله في الخدمة ... لكن لا ننسى أن السيد
 المسيح له حالة تختلف عن أي إنسان ، ومع ذلك فنحن كثيراً ما نقرأ عنه
 انه كان يقضي الليل كله في الصلاة (لو ٦ : ١٢) ... ومن المكابرة أن ندعي
 اننا وصلنا الى القامة الروحية التي تمكننا من قضاء سحابة يومنا في خدمته
 الآخرين ، ثم نطوى الليل كله ساهرين مصلين ... !!

ونود أن نلفت النظر في هذا المقام الى حالة انحراف تتولد في كثير من
 الخدام ، منشأها أيضاً حبهم للخدمة واشواقهم وغيرتهم لخلاص نفوس
 كثيرين ، ويمكن تسميتها تجاوزاً « شيطان الخدمة » ... فالخدمة ، وقد

ملكيت على الخادم كل فكره ، أصبح لا يفكر في نفسه بل في مخدميه خاصة ، وفي الآخرين على وجه العموم . فحينما يستمع الى متكلم في الروحيات مثلا ويروقه كلامه ، يسرع في تدوين كلماته — لا ليستفيد هو منها — بل لأنها في نظره تصلح موضوعا لعظة أو اجتماع شباب أو فصل مدارس الأحد !! وبالمثل حينما يقرأ كتابا معينا ، يكون كل همه العثور على نقاط تصلح مواضيع للخدمة ... وهكذا ننسى أنفسنا وسط الخدمة وما يصاحبها من حب وأشواق وغيره ...

ان هذا يا أختانا العزيز انحراف ، عليك ان تحضره . مفروض أن ما تعلم به الآخرين يكون صادرا عنك أنت شخصا ... لا بأس من أن نسمع وتستمتع ، ولا بأس من أن نقرأ وتعجب مما نقرأ ، لكن ليكن هيك الأول أن نستفيد أنت مما سمعت أو قرأت . وحينما تستفيد ستصبح قادرا تلقائيا على افادة الآخرين .

الثاني عشر — الجبرة :

هناك مواقف تحتاج الى حكمة خادم الله الأمين ، بينما توجد مواقف أخرى تحتاج الى شجعة وجرة ... لكل مقام مقال ، ولكل موقف ظروفه والحق أن لا شيء يفقد الخادم الجرة سوى ضعف الإيمان والتعلق والأخذ بالوجوه ... وحينما يتسلح رجل الله بالإيمان ويموت عن المآل بما فيه ومن فيه ، واضما في قلبه ونصب عينيه التمسك بالحق وإعلانه ، فإنه حينئذ يكون مستعدا لتحمل كل الضيقات التي تقابله حتى الموت ... **هكذا رأينا إيليا النبي وهو يوبخ أخاب الملك** غير مبال بسطوته وجبروته ، وانتهى الأمر بأن ارتفع إيليا في مركبة نارية حيا الى السماء ، بينما لحسبت الكلاب دم أخاب كما قال له إيليا . **وهكذا وقف يوحنا المعمدان أمام هيرودس الملك** موبخا على تعديه الشريعة . وإن كان الشهيد الأول من تلك المناسبة قد انتهى بقطع رأس يوحنا الذي قيم بأكثر من نصف مملكة هيرودس ، لكن المناسبة لم تهم لمصولا ... فمزال صوت يوحنا يدوي عبر القرون والأجيال موبخا الأئمة ، صارخا في وجه كل مستببح ، مرددا على مسامعهم نفس كلماته « لا يحل لك » ...

ان جميع الأنبياء والرسل والخدام الأمناء الذين كلفوا بتبليغ رسالات السماء ، كان يسندهم الأول الجبرة ، فلم يبالوا بالموت ... هكذا أوصى السيد المسيح تلاميذه « **لا تخافوا** من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدر أن يقتلها ، بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم » (مت ١٠ : ٢٨) . قال الرب قديما لأشعيا النبي « ناد بصوت عال . لا تمسك . ارفع صوتك ببوق واخبر شعبي بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم » (اش ٥٨ : ١) ... وقال لحزقيال النبي « أما

انت يا ابن آدم فلا تخف منهم ومن كلامهم ... من كلامهم لا تخف ، ومن وجوههم لا ترعب لانهم بيت متبرد وتكلم معهم بكلامى ان سمعوا وان امتنعوا لانهم متمردون » (حز ٢ : ٦ ، ٧) .

ولولا الجراة التى تحلى بها الخدام الامناء فى كل جيل ، لضاع الحق وسط الباطل ، ولتشوه جماله وسط ضلالات العالم وخداعاته ... كم من رسل وخدام استشهدوا « من اجل كلمة الله ومن اجل الشهادة التى كانت عندهم » (رؤ ٦ : ٩) . لقد روت دماء هؤلاء وأولئك بذور الايمان فتمت وترعرعت حتى صارت دوحة عظيمة نتاوى الآن نحن فى ظلها ...

ما أروع موقف الثلاثة غتية فى بابل حينما أراد نبوخذنصر الملك اجبارهم على ترك عبادة الله الحي . لقد اجابوه فى جراءة نادرة « يا نبوخذنصر لا بلزمننا ان نجيبك عن هذا الامر . هو ذا يوجد الهنا الذى نعبد يستطيع ان ينجينا من اتون النار المتقدة ، وان ينفقنا من يدك ايها الملك . والا فليكن معلوما لك ايها الملك اننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد تمثال الذهب الذى نصبته » (دا ٣ : ١٦ - ١٨) ... اما نتيجة هذا التحدى الظاهر ، فكان القاءهم فى اتون نار محمى سبعة اضعاف . لكن الله كان معهم ، فاستحالت ناره بردا وسلاما عليهم ، وكان ذلك سببا فى تمجيد اسم الله .

اننا نلمس هذه الجراة فى حياة الرسل وكتاباتهم . فالقديس بولس الرسول حينما حذر من الذهاب الى اورشليم خوفا على حياته من اليهود . اجابهم فى جراءة « ماذا نفعلون ، تبكون وتكسرون قلوبى ، لانى مستعد ليس ان اربط فقط بل ان اموت ايضا فى اورشليم لاجل اسم الرب يسوع » (ا ع ٢١ : ١٠ - ١٣) ويقول القديس بطرس « **واما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا . بل قدسوا الرب الاله فى قلوبكم** » (١ بط ٣ : ١٤ ، ١٥) .

فعلى الخادم الامين ان يفصل كلمة الحق باستقامة ، ولا يهاب الوجوه او يتلفها وان يكلم مخدميه بما يلزمهم لا بما يطلبونه ... انها خطية كبيرة ان نكتم الحق رغم علمنا به . وليتأكد الخادم الامين ان الله معه يسنده ويعضده ، ولا يقع فيما وقع فيه **شاول الملك** حسبما اعترف لصموئيل النبي « اخطأت لانى تعديت قول الرب ... لانى **خفت من الشعب** وسمعت لصوتهم » (١ ص ١٥ : ٢٤) . ولذا لا نتمجب ان كان الرب قد رفضه **واعطى ملكه لداود** الذى كثيرا ما ترنم فى مزاميره بقوة الرب « الرب نورى وخلصى ممن اخاف . الرب حصن حياتى ممن ارتعب » (مز ٢٧ : ١) ...

ليتأكد الخادم الامين ان الرب معه ، وليثق فى قوته وعنايته وصدق مواعيده ، طالما يسكن فى ستر العلى ويستريح فى ظل اله السماء ... قال الرب « **لا تخف لآتى معك . لا تتلف لآتى الهك . قد ايدتك واعنتك وعضدتك بيمين برى** » (اش ٤١ : ١٠) .

القيادة الروحية

القيادة الروحية هبة الهمة ينعم بها الرب على انسان يرى فيه استعدادات خاصة نتيجة ايمان عميق وطاعة كاملة وحب قوى وتضحية بكل ما هو مادي وبكل مجد عالمي من اجل الرب « ما كان لى ربنا مهذا قد حسبته من اجل المسيح خسارة » (٢ : ٧) .

هى لا تورث . ولا تلقى كلازمة لمركز اجتماعى خطير أو لقب عالمى عريض ... هى لا نوافى بالسسمى وراء العلم الكاذب ، والترحف نحو الكراسى والمنكآت الاولى ومراكز الصدارة ، بل هى تلقى اذا احتسبنا كل شئ نفاية لكى نربح المسيح (فى ٢ : ٨) ... وحتى المراكز الدينية القيادية لا تعطى القيادة الروحية لمن يشغلونها ايا كانوا ... بل الأشخاص هم الذين توافيهم القيادة حيثما كانوا ... حيثما اقام الاسد فهذا هو عرينه ، ولكن ان هجر الاسد ذلك المكان ، رالت عن المكان تلك الصفة ...

كان يوسف فى مصر عبدا فى بيت فوطيفار ، لكنه اعطى نعمة فى عينيه وصارت له القيادة فى بيت سيده ، لانه فى الوقت الذى كان فيه عبدا بالجد كان حرا بالروح ، فلم يستعبد للخطية . وسجن ظلما ، لكن القيادة تبعته فى السجن ايضا « لان الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه » (بك ٣٩) ... وهكذا حتى وصل الى المنصب القالى لفرعون مصر ، فكانت له القيادة على كل البلاد ...

والقديس بولس الرسول كان فى السفينة اسيرا فى حراسة الجند الرومان فى طريقه الى روما للحاكم امام محكمة قيصر ... اضطرب البحر وتعلت الامواج ، حتى ارتعب كل من فى السفينة ، وهنا اخذ بولس مكانه الطبيعى كقائد لتلك الجماعة . وقف فى وسطهم وقال « كان ينبغى ايها الرجال ان تدعونا لى ولا تقلموا من كريت فتسلموا من هذا الضرر والحسارة . والان انذركم ان تسروا لانه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم الا السفينة . لانه وقف بى هذه الليلة ملاك الاله الذى انا له والذى اعبدته . قائلا لا تخف يا بولس ... هوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك » (اع ٢٧ : ١٤ - ٢٥) .

وموسى الذى اتخفته ابنة فرعون لنفسها ابنا ، وتهذب « بكل حكمة المصريين ، وكان مقتترا فى الاقوال والاعمال » (اع ٧ : ٢١ ، ٢٢) ، لم يحصل على القيادة الروحية فى انهاء وردحات قصر فرعون ، بل فى برية

سيناء ، لما « أبى أن يدعى ابن ابنه فرعون ، مفضلا بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية ، حاسبا عار المسيح غنى أعظم من خزان مصر » (عب ١١ : ٢٤ - ٢٦) . **وهنا تطول لنا المقارنة بين موقف موسى قبل أن تعطى له القيادة من الله وموقفه بعدها ، بعد أن ظهر له في العليقة ...** في الأولى نرى الغيرة الجسدية والوسائل البشرية . نرى القتل والعلمر في الرمل ، وأخيرا نرى الخوف والفشل ... أما في الثانية فنرى القوة الروحية والهيبة الالهية . نرى اللسان اثقيل يتحدث في مصاحبة وبيان ... نرى الشجاعة والمجزات ، وأخيرا نرى أول حادثة جلاء منظم في تاريخ البشرية ... وفي البرية نرى قيادة حكيمة عظيمة ...

وأرميا النبي دعى في أخرج أوقات انشعب الاسرائيلى ، حيث كانت الرذيلة والآثام والتدين السطحى والعبادة الريفائية . لم يكن من السهل لرجل في مثل هذه الظروف أن يخرج الى حقل كله اشواك ، وإلى مجتمع فاسد كله عثرات ، وأن يجد تجاوبا لرسالته في ذلك الوسط الشرير !! دعاه الرب . وحينما اعتذر شجعه وأعطاه القيادة على شعبه ، ثم مد يده ولمس فيه قائلا له « ها قد جعلت كلامى فى فمك . انظر قد وكنتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس » (أر ١ : ٩ ، ١٠) .

وهكذا نرى أن القيادة الروحية لا ننالها بالتلقين في اجتماعات الخدمة مثلا ، أو بقراءة الكتب ، ومحاولة تقليد القادة في حركاتهم واسلوبهم ونصرفاتهم ، ولكن ننالها من الله . هكذا فعل الرب بإيليا ويوحنا المعمدان اللذين أربعا آخاب وهيرودس الملكين ، وهكذا فعل مع صموئيل الصبى الصغير حينما وضع كلمات النبوة في فمه ، وأقام راعى الغنم الصغير داود ملكا على شعبه ...

ليس عند الله محابة . فحين هيا هؤلاء الرجال وغيرهم للقيادة العظيمة ، سبق ورأى فيهم الطاعة الكاملة والإيمان العظيم والحب القوى والاستعداد للعمل . **قال الرب ليشوع بعد أن آلت اليه قيادة الشعب خلفا لموسى « اليوم ابتدئ اعظمك في أعين جميع اسرائيل ، لكى يعلموا انى كما كنت مع موسى اكون معك »** (يش ٣ : ٧) ...

والقائد الروحى لا يفقد قيادته الروحية نتيجة تقدمه فى السن ، فلا يوجد تقاعد فى القيادة الروحية كما لا توجد شيخوخة فى الحياة الروحية ، إلا اذا تخلىنا عن محبة الرب وحياة الشركة معه والاتصاق به ...

الإحجام عن الخدمة

تحدثنا قبلًا عن أهمية التركيز في الخدمة ، وحملنا على الاندفاع في الخدمة والانساع فيها حين لا يقبل هذا الانساع ، اتساع في عسدد الخدام وإمكانيات الخدمة ... ونود الآن أن نتناول الناحية المقابلة ، ألا وهى « الإحجام عن الخدمة » ... وكلاهما يعتبر انحرافا غير سليم . فإن إحجام بعض ممن توفرت لديهم إمكانيات الخدمة — روحيا وفكريا وثقافيا — يعتبر تطرما غير محمود ... ونستعرض الآن أسباب الإحجام المختلفة :

(١) الرغبة فى النمو الروحى :

لا يمكن وضع حد فاصل بين الإنسان النامى فى حياته الروحية والإنسان غير النامى ، أو بين الشخص المتقدم فى نموه والشخص المتخلف . ذلك لأن النمو هو قرين الحياة الروحية ، وهو أمر لا يقف عند حد . فنحن نظل تنمو الى أن تنتهى حياتنا الجسدية . فالشخص الذى يحجم عن الخدمة الى أن يكتمل نموه الروحى ، مثل هذا الشخص سوف لا يخدم أبدا ، لأن النمو ليس له مقياس معين به نستطيع أن ندرك أننا أصبحنا نأمين .

اضف الى هذا أن الإنسان كلما تقدم فى حياة الروح ، كلما تكشف امامه عيوبه وأخطاؤه ، وربما شعر أنه أكثر الناس خطا وشرًا . وهكذا نقرأ عن القديسين بنظرهم الى انفسهم . لكن علينا أن نتقدم لخدمة الرب — فى غير ما تجاسر أو تطاول — طالما لدينا الاستعدادات اللازمة للخدمة ... ولا يجب بحال من الأحوال أن ننسى نمونا الروحى أثناء خدمتنا ، لأن النمو الروحى للخادم ينهى خدمته . علينا أن نأخذ هذه ولا نترك تلك . فالعبد الكسلان الذى سلمه سيده وزنة وطهرها فى الأرض ، لم يعاقبه سيده لأنه بدد الوزنة ، بل لأنه لم يتاجر بها ويربح (مت ٢٥ ، لو ١٩) ... هكذا نحن ، فطالما قد وهبنا الرب وزنات (مواهب خالصة) ، فعلى أن نتاجر بها ونربح نفوسا للسيد الرب ، أو بتعبير القديس أغسطينوس « نتقدم لخدمة الآخرين بما أنعم الله علينا من مواهب روحية » ... ولتأخذنا غيرة رب الجنود على أخوتنا وخلصهم . لقد تمنى بولس المبشر العظيم أن يكون محروما من المسيح لأجل خدمة أنسابه حسب الجسد (رو ٩ : ١ — ٣) ، والحرمان من المسيح الذى أشار اليه الرسول قصد به — كما فسر يوحنا ذهبى اللم — استعدادا للانفصال حينما عن المفاوضة الالهية المذبة مع الرب من أجل نفع أخوته .

ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا المقام أن الخدمة ذاتها تعطى نموا وتعزىات للخادم . فالقديس بولس الرسول وصف كلمة الله بأنها « حية وفعالة

وأضى من كل سيف ذى حدين « (عب ٤ : ١٢) ... لها أجل هذا التعبير الذى عبر به الرسول عن فاعلية كلمة الله ... فو ان كان السيف ذو الحدين يكفى عن القوة ، لكنه من ناحية أخرى يشير الى فاعليته . هكذا كلمة الله تؤثر فى جهتين ... قائلها (الخادم) ، وسامعها (المخدم) ... فلا تظن يا أضى أن الخادم فى خدمته يعطى ولا يأخذ ، بل انه يأخذ بقدر ما يعطى . ويوضح القديس يوحنا ذهبى الفم ذلك حينما يقول « ان المهتمين بخلص الآخرين ينطبق عليهم قول السيد المسيح : أعطوا تعطوا » ... فبقدر ما تكون أميناً فى خدمتك ، بقدر ما يعطيك الرب تعزيات ... اضع الى هذا ان الخدمة تدفعنا للاهتمام الروحى بأنفسنا .

٢ - الشعور بعدم الاستحقاق :

ليس من ينكر شرف الخدمة وسموها ، وما تتطلبه من استعدادات ، وما يترتب على كل ذلك من مسؤوليات أمام الله وأمام ضائرتنا وأمام الكنيسة ... لكننا مع ذلك لا نقر التهيب والخوف ، فنحن لم نأخذ روح العبودية للخوف بل روح التبنى (رو ٨ : ١٥) ... نحن فى ذواتنا ليس لنا استحقاق لشيء من نعم الله وعطاياه ، لكن لنا كل الاستحقاق فى دم المسيح الفادى ... ان الشعور بالاستحقاق لآى نعمة من نعم الله يحمل فى طياته سقطة الكبرياء نتيجة الشعور بالذات ، أما الشعور بعدم الاستحقاق نتيجة الانضاع ، فهو عامل فعال فى نجاح الخدمة ، بشرط أن يتفق من اليأس والخور ، لانه فى هذه الحالة يصبح ثمرة الانضاع ذى البركات الكثيرة ... فلنميز الآن بين مشاعر عدم الاستحقاق التى تلازم انكار الذات ، وبين مشاعر عدم الاستحقاق التى تلقى نتيجة صفر النفس .

بعد معجزة صيد السمك الكثير (لو ٥) ، شمر سمعان (بطرس) بثقل خطايه ، وبعدم استحقاقه لحلول الرب فى سفينته ، فصرح فى انضاع قائلاً للرب يسوع « أخرج من سفينتى يارب لأنى رجل خاطئ » ... فكان جواب الرب على تلك المشاعر الطيبة « لا تخف . من الآن تكون تصطاد الناس » . وهكذا نرى أن اسناد الخدمة اليه ، جاء نتيجة شعوره بعدم الاستحقاق ... فما أجل أن نشعر بضعفنا كل حين ، وما أجل أن نشعر بعدم استحقاقنا لأن نحمل آتية الرب ، ونوصل كلمة الخلاص للآخرين ، ونرعى الخراف الناطقة التى لراعى الخراف العظيم ... لكن ما أجل أن يتقابل مع هذا الشعور ، شعوره بالفيرة على أخوتنا الجالسين فى الظلمة وظلال الموت ، ورغبة فى امتداد ملكوت المسيح على الارض ... ولنعلم جيداً أن ليس أحد خالياً من دنس أو خطية ولو كانت حياته يوماً واحداً على الارض ... فعلينا أن نسير فى الطريقين فى آن معا : نجاهد فى حياتنا مع الله ، ونجاهد فى خدمتنا للآخرين ، وكلنا شعور بسمو الخدمة وشرورها ، وبعدم استحقاقنا للخدمة ، لكن تشجعنا كلمات الرب لبولس الرسول « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » (٢ كو ١٢ : ٩) .

هناك أشخاص يحجمون عن الخدمة — خاصة خدمة التكريس في شتى صورها — بحجة أنهم لم يتلقوا دعوة واضحة من الله للخدمة . وفي نفس الوقت تكون عبارة الدعوة مبهمه غامضة في أذهانهم لا يستطيعون أن يحددوا لها معنى . فقد تأخذ هذه الدعوة في عقول البعض مظهرا غائقا للطبيعه ، أو اعجازيا ، أو اعلانا مساويا خاصا في رؤيا أو حلم أو صوت سماوى أو ما شابه ذلك .

نحن لا ننكر انه ربما حدث هذا مع بعض الأشخاص ، لكن ليست هذه هى القاعدة . فليست الطريقة التى يعلن بها الله لشخص ما عن موافقته على أمر معين — يصلى هو لأجله — قاصرة على الملائكة والرؤى والأحلام ... ولكن توجد طرق كثيرة نعرف بها ارادة الله . قال معلمنا بولس « الله بعدما كلم الآباء بالانبياء قديما بتواضع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الاخيرة فى ابنه » (عب ١ : ١ ، ٢) . فإله له طرق كثيرة يكلمنا بها . انه لا يكلم بالطريقة التى يكلمنى بها ، ولا يعلن لى ارادته فى أمر ما بالطريقة التى يعلن بها ارادته لشخص آخر ... فهناك أشخاص — بحكم قامهم الروحية — لا يحبلون الرؤى ولا نظر الملائكة . كما ان الشيطان اذا وجد انسانا مؤمنا بهذه الطريقة ، ربما يستخدمها وسيلة لخداعه وضلاله .

أما القاعدة فهى اننا حينما يعرض لنا أمر ما ، ونشعر برغبة فى اتبائه . نصلى لأجله ، وقد نشرك آخرين معنا فى الصلاة ، وقد نقيم القداسات ، وبعد ذلك اذا استمر الفكر ملحا علينا فى اتبائه . واذا شعرنا براحة نحوه واستمر الارتياح ثابتا ، كان هذا دليلا على موافقة الرب على هذا الأمر ، بحيث لا يكون متعارضا مع وصية الهية أو تعليم من تعاليم الكنيسة . وحينما نتكلم عن الصلاة والارتياح ، علينا أن نفهم أن عامل الزمن يجب أن يستوفى حده . فلا نصلى يوما أو يومين وبعد ذلك نقول اننا صلينا ، بل يجب — خاصة فى الأمور الهامة كالتكريس مثلا — أن نصلى ولا نمل اللجاجة فترة طويلة نوعا ما . كما يحتاج الأمر أيضا الى عدم الاعتماد على مجرد الفكر الخاص ، وانما يجب استشارة أشخاص روحيين موثوق بتعليمهم السليم ومشورتهم الامينة ...

ونريد فى هذا المقام أن نوضح امرا هاما ، وهو اننا جميعا مدعوون للخدمة ، والأمر لا يحتاج الى أمر خارج عن الطبيعة والمألوف ليثبت لنا ما هو واجب أن يكون ... والناس صنفان ... البعض يرغبون فى الخدمة ، وآخرون يرغبون عليها . ونحن نرى ذلك بوضوح فى حياة اثنين من الانبياء . فمثلا اسمعيا حينما سمع صوت الرب قائلا « من أرسل ومن يذهب من أجلنا؟ »

اجاب للفر « ها انذا ارسلى » (اش ٦ : ٨) . اما ارميا فقد ارغم على ان يذهب بعد ان قال فى اتضاع « آه يا سيد الرب انى لا اعرف ان اتكلم لانى ولد » (ار ٦ : ٦) ...

ولا يفوتنا ان نذكر فى هذا المقام ان فكره الدعوة يستتر خلفها فى بعض الاحيان شهوة معينة ... فالزواج والوظيفة والسفر للخارج للحصول على اجازات علمية مثلا ... هذه كلها وغيرها : مفعلا دون طلب دعوة الهية او معرفة رآى الله فيها !! لما فى خدمة الله وحياسة التكريس على وجه الخصوص . فنحن نطلب برهانا قويا واضحا على صدق هذه الدعوة ...
والامر واضح ، اتنا فى الحالة الاولى لا نتمسك بشرط الدعوة ، لاننا انما نهم شهوة محببة الى نفوسنا !!

{ — المعطلات الماثلة :

قد تكون العائلة معطلا من معطلات الخدمة ، وسببا من اسباب الاحجام عنها . ولا عجب فى ذلك ، وقد بنا قال الرب يسوع « اعداء الانسان اهل بيته » (مت ١٠ : ٣٦) ... ونشير هنا الى عاملين مرتبطين بالاسرة هما **الزواج والوالدون** .

من العجيب حقا ان يصبح الزواج معطلا من معطلات الخدمة . ونحن لا نحمل على الزواج ، فالزواج امر مشروع قدسه الله وباركه ، لكننا نتكلم عن الزواج الذى يخرج الخادم عن نطاق الخدمة . وليس العيب فى الزواج بطبيعة الحال ، بل فى الخادم الذى غير مجرى حياته نتيجة هذا الزواج ... مفروض ان يصبح الزواج بركة للخادم وعونا له فى خدمته ... معه ياخذ مسئوليات جديدة فى محيط الخدمة ، لا ان يصبح مؤهلا شرعيا للتقاعد عن الخدمة ...

فالزوجة يمكن ان تكون بركة عظيمة للخادم فى خدمته . الا تعرف ياها شريكة الحياة بالنسبة للزوج ، فلماذا لا تشترك مع الزوج فى خدمته ؟! لو كانت بطبيعتها خادمة ، لامكها مساعدته فى احقل الذى يناسبها : اما فى الخدمة التعليمية والارشادية بين الشابات والنساء عامة ، ان كانت لها موهبة الكلام ، واما فى الخدمة الاجتماعية كافتقاد الارامل والفقراء ، والعمل بينهن ، او بواسطة العمل اليدوى كاعداد ملابس للفقراء او ما شابه ذلك ... ويكفى الزواج بركة ان تؤمن الزوجه برسالة الخدمة ، فتعاون زوجها فى تحمل اعباء الحياة والخدمة . من اجل هذا ، يحسن بالخدام القبلين على الزواج ان يختاروا زوجاتهم ممن تتوفر لديهن ميول الخدمة ، وبذا يصبح الزواج منشطا لا معطلا ...

أما الوالدون ، فنحن نحبههم بالفطرة وبموجب وصايا الرب المقدسه .
 نحيا معهم في ذاعة وخضوع . لكن ان تعرضت محبتنا لهم مع محبتنا لله ،
 فيجب أن نسير في طريق محبة الله ، لأنه حسب قول الرب يسوع نفسه
 « من أحب أباً أو أما أكثر منى فلا يستحقى » (مت ١٠ : ٣٧) . وقوله
 أيضا لأمه العذراء مريم ، حينما وجدته في الهيكل جالسا وسط المعلمين
 « ينبغى أن اكون فيما لأبى » (لو ٢ : ٤٩) . وأن تعارضت طاعتنا مع
 طاعتنا لله ، فطاعتنا لله أوجب ، لأنه « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس »
 (أع ٥ : ٢٩) . وليس معنى هذا أن النفاهم يستحيل مع الوالدين ، أو أن
 التوفيق في أمثال هذه الأمور يعدو مستعصيا . فكل شيء عن طريق المحبة
 والصلاة يمكن أن يحل . . . وكم من حالات كان الوالدون فيها يعارضون
 الخدمة والتكريس ، ولكن لما رأوا ثبات أبنائهم واتزانهم في التوفيق بين
 مسؤولياتهم الخاصة والخدمة ، حينئذ كرموا الخدمة وشجعوا عليها .

٥ - مشاكل الخدمة :

طبيعة خدمة الله أن فيها متاعب ومصاعب وضيقات ومشاكل . . .
 انها نوع من انواع ضيق الباب الذى وضع على كافة المؤمنين أن يرحبوا به
 لأنه يوصل الى السعة والحرية الروحية . . . هذا مايجب أن نسلم به .

فحينما أرسل السيد المسيح تلاميذه ، أرسلهم (المثل حملان بين ذئاب)
 (لو ١٠ : ٣) . . . هذا هو التصوير الدقيق للخادم ولحقن الخدمة . . .
 حملان بين ذئاب . . . انه منظر فريد من نوعه ، أن نرى الحملان بين الذئاب
 موضوعة لخدمتها ، محتفظة بوداعتها ، دون أن يكون للذئاب قدرة على
 إبادتها !!

ومنذ ذلك الوقت ، وطد الخدام الأمناء عزمهم ، وبنوا خدمتهم على
هذا الأساس . فالرسول بولس يقول « فأنى أرى أن الله أبرزنا نحن الرسل
آخرين كأننا محكوم علينا بالموت . . . نحن جهال من أجل المسيح ، وأما
أنتم فحكماة في المسيح . نحن ضعفاء وأما أنتم فأتقوياء . أنتم مكرمون وأما
نحن فبلا كرامة . الى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعري ونلکم ولبس لنا
أقامة ، ونتعب عاملين بأيدينا . نشتم فنبارك ، نضطهد فنحتمل ، نفتري
علينا فنحفظ . صرنا كافتذار العالم ووسخ كل شيء » (١ كو ٤ : ٩ - ١٣) .
وعاد الرسول وعدد أمثال هذه الضيقات في (٢ كو ١٢) . . . فالخدام
الأمين اذن ، هو من يحمل سلاح الجندية الروحي محتملا المشقات ، عاملا
على تقويض مملكة ابليس (٢ تي ٢ : ٣) . . . اذا فهمنا كل هذا ، إنركنا
أن كثيرا من مشاكل الخدمة ، سببه ابليس الذى يعمل جاهدا على عرقلة
انتشار ملكوت الله على الأرض ، يعاونه جماعة من الأشرار من فاعلى
أرائته . . .

والمشاكل التي تعترض طريق الخدمة، اما من جهة المال ، او أشخاص مقاومين ، او من جهة المخدمين أنفسهم او من جهة اضطهاد خارجي ، او انقسام داخلي، او من جهة طبيعة العمل وصعوبته ... وقد تناولنا بعض هذه النقاط في ثانيا حديثنا عن بعض المسائل المتصلة بالخدمة ، ونود الآن ان نتحدث عن المشاكل الآتية :-

— المال :

قد تؤلف المادة مشكلا هاما من المشاكل التي تعترض الخدام في محيط الخدمة ، وتسبب للبعض احجاما عن المضي فيها ... ومشكلة المال في الخدمة تنقسم الى شقين : احتياجات الخادم الشخصية . واحتياجات الخدمة عامة

والحق ان المادة لم تقف في يوم من الايام في وجه الخادم الامين كعائق يعوق طريق تكريس من جهة احتياجاته الشخصية ... فحينما نقرا اقوال الرب يسوع الواردة في (مت ٦ : ١٩ — ٣٤) ، نقرا عن تأكيداته باعطائنا كل ما نحتاجه ... ان ائرب يريدنا ان نثق في ابينا السماوي ثقة كاملة كما يثق الطفل في ابيه . فعلى الخادم ان يتحرر من الهم والاضطراب سواء كان مسئولاً عن نفسه فقط او مسئولاً عن أسرة او مسئولاً عن شعب ... **يستحيل ان يجتمع الايمان والهم والاضطراب في قلب واحد كما يستحيل اجتماع الماء والنار او النور والظلام ...** وحينما يثق المؤمن بالرب يسوع ويصدق مواعيده ، يستطيع ان يسير معه على اليم ويهتف هتاف النصر ازاء كل المخاوف والصعاب ...

ان الرب يسوع لا يرسل الخادم الى الخدمة متكفلا باحتياجاته الشخصية لانه لا يتجند احد قط بنفقة نفسه (١ كو ٩ : ٧) ، بل كما يقول الرسول « نيملا الهى كل احتياجاتكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع » (في ٤ : ١٩) ، وهو حينما ارسل تلاميذه في الارسلالات التبشيرية ، اوصاهم الا يحملوا كيسا ولا مزودا (لو ١٠ : ٤) . ونحن نقسـاعل في عجب : الله الذي يهتم بالمصافير وطيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، الا يهتم بخداه ؟! « اعين الكل اياك تترجى وانت تعطيهم طعامهم في حينه . فتفتح يدك فتشبع كل حى رضى » (مز ١٤٥ : ١٥ ، ١٦) ..

لقد تكلمنا سابقا عن استجد كفضيلة يجب ان يتحلى بها الخادم ... **والخادم الذي يضحي بمستوى معين في المعيشة من اجل الخدمة ، لا بد وان يعوضه الرب اضعافا مضاعفة ، ليس بلمور مادية بل ببركات روحية ...** « كفقراء ونحن نفنى كثيرين ، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء » (٢ كو ٦ : ١٠) ، متشبهين بالرب يسوع الذي افتقر وهو غنى من احلنا لكنى نستغنى نحن بفقره (٢ كو ٨ : ٩) ...

لقد امتدح الرب مسلك خادم كنيسة سميرنا من هذه الناحية قائلا « أنا أعرف أعمالك وضيقتك وفكرت معك غنى » (رؤ ٢ : ١) . هذا الكلام ينطبق الى حد كبير على الخدام المكرسين . . . لكى هناك زاوية أخرى من روايا المال كمعطى للخدمة ، تخص الخدام المتطوعين . فهم يحجبون عن الخدمة بسبب الرغبة فى الحصول على المال لزيادة دخلهم وذلك بالقيام بأعمال إضافية تستنفذ كل وقتهم وجهدهم . ولا شك أن لهذا اثره السئ على الخدمة

ورب سائل يقول فى عجب : وهل فى الارتفاع بمستوى المعيشة خطية ، وأعباء الحياة كثيرة وثقيلة ؟! ونحن نقدر كل هذا وغيره ، ولكن علينا أن نفهم رسالة الخادم وشخصيته . . . فالخدام انسان يجد لفته فى الله وفى توصيل رسالته المقدسة لأشخاص آخرين ، بينما غيره من الناس يجدون لذتهم فى أمور أخرى حتى لو كانت طيبة . ان كان الرب قد قال عن ذاته قديما « ولذاتى مع بنى آدم » (أم ٨ : ٣١) ، فهذا عينه هو شعور الخادم . . . لذاته مع خليفة الله . . .

سبق أن تناولنا هذه النقطة ونحن نتحدث عن التجرد كعامل من عوامل القوة فى حياة الخادم . ونود أن نضيف هنا ، أن الخادم شخص يجب ان يؤمن ببركات الرب لمن يخدمه بأمانة : بركات روحية ومادية ، بركات فى الصحة . وبركات فى كل ما تمتد اليه اليد . هل ننسى ذلك ؟ وهل ننسى قول الرب « اعملوا تعطوا » ؟! فالخدام اذن شخص له تعويض من نواحي أخرى غير النواحي المادية التى يتكالب عليها اهل العالم . . . نحفظ الله له ، ورعايته اياه ونعمة الصحة التى ينعم بها عليه ، وبركات السعادة والسلام الداخلى ، هذه كلها أمور لا تقدر بأموال فضلا عن أنها توفر نفقات كثيرة يستلزمها ويستنفذها الانهماك والسعى وراء المادة . . .

اما عن احتياجات الخدمة ذاتها بما فيها المخدمين ، فالمال فى حد ذاته وسيلة لا غاية . وسيلة نقضى بها حوائج الخدمة . . . لم يحدث ان الكنيسة فى زمان قوتها سمعت الى المادة سدا لاحتياجاتها . . . فنقرأ مثلا عن كنيسة الرسل ، ان المؤمنين كانوا يبيعون ممتلكاتهم . ويأتون بأثمانها « ويضعونها عند أرجل الرسل » (أع ٤ : ٣٢ - ٣٥) . . . لقد حدث ذلك بدافع روحى خالص حينما « كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن أحد يقول أن شيئا من أمواله له ، بل كان عندهم كل شيء مشتركا » . . . ما أروع تلك العبارة التى سطرها كاتب سفر الأعمال والذى تدل على نظره الكنيسة الأولى للمال والمادة . . . لقد كانت أثمان المبيعات توضع « عند أرجل الرسل » . . . هذه هى قيمة المال فى نظر الخدام الأمين . . . دائما تحت قدميه . . . هو يستخدم المال دون أن يستخدمه المال . .

كم من خدام ينسون حياة التجرد ، ولا يريدون أن يحيوا حياة الكفاف ... كم من خدام طمع في ربح قبيح ، وسمى وراء المادة ، فاذلتهم واستعبدته ، وكانت في النهاية علة هلاكه ... كم من خدام خلع ثياب النعمة وارتدى الثياب الفريسية فأخذ يأكل بيوت الأراذل وليلة يطيل الصلوات ... كم من خدام غرقوا روح القناعة والاكتفاء وظهروا جشعين شرهين الى المادة ، فكان ذلك سببا في احتقار مخدميهم لهم لأنهم حادوا عن رسالتهم ..

نعوذ بنقول ان الأموال دائها عند اقدم الخدام الأمناء ... ويجب أن تظل دائها في هذا المكان ... هم لا يسعون اليها ، انها هي تسعى اليهم ، حينما يشعر المخدمون انها ستستخدم استخداما صالحا لمجد الله وليسد اعواز المحتاجين .

حينما كانت الكنيسة فقيرة في أموالها ومواردها كانت غنية بآبائهم ورجالها ... **وحينما زادت مواردها المادية فقدت مقومات روحانياتها ككنيسة المسيح** ... ان أنسى لا أنسى ما سجله التاريخ من حديث دار بين أحد (باباوات) روما وراهب من رهبان الغرب ... لقد صاحب البابا الراهب الفقير ، وفيما كان يطلعه على ما في خزائن الفاتيكان من كنوز ومجوهرات قال « لقد مضى الوقت الذي كانت تقول فيه الكنيسة ليس لي ذهب ولا فضة (١) » فكان جواب الراهب « وايضا قد مضى الوقت الذي كانت تقول فيه الكنيسة المقعد باسم يسوع الناصري قم وامش فيقوم ويمشي » ...

هناك مشاريع كثيرة لازمة ونافعة تدور براس الخادم ، لكن عليه ان يلجأ أولا وقبل كل شيء لله — صاحب الكرم — ليسدبر ما يحلو في عينيه . ولا شك انه سيفعل ما هو لخير كنيسته وشمعه في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة ... **اننا لسنا في حاجة الى المال بقدر حاجتنا الى الايمان** ...

ب — الأشخاص المقاومون :

قد نشهد المقاومات في حق الخدم من بعض الأشخاص . وهذه الحالة ليسب جديدة أو مسنغرية . فلرب حرب مع عماليق من دور الى دور (خر ١٧ : ١٦) . وعمالق رمز للشيطان الذي يجمع له اتباعا في كل زمن يحارب بهم عمل الله ...

ونحن نقرأ في العهد الجديد عن كثيرين ممن قاوموا الحق وحملوا من انفسهم مطية دليلا لابلوس . ومواق يذيع به الاضاليل والافتراءات سوءا

(١) مشيرا الى حدث بطرس الرسول الى المقعد من بطن امة عند باب الهيكل الجميل (اع ٣) .

عن الله او عن خدامه ... فقد قاوم عليم الساحر بولس وبرنابا في قبرص ،
واراد أن يفسد الوالى سرجيوس بولس عن الايمان (أع ١٣) . واسكنبر
الحداد اظهر لبولس شرورا كثيرة وقاوم اقواله جدا (٢تى ٤ : ١٥ ، ١٤) ...
والقدس بولس في اظهاره لقانونية رسوليته الى كنيسة كورنثوس اخذ
يعدد اتعابه في خدمة الكلمة ، ومن ضمن هذه الاتعاب ، الاخطار التي لاقاها
من الأخوة الكذبة (٢ كو ١١ : ٢٦) . وفي حديثه الى الفلاطين تكلم ايضا
عن الأخوة الكذبة « الذين دخلوا اختلاسا ليتجسسوا حريتنا اننى لنا في
المسيح كى يستعبدونا » (غل ٢ : ٤) ... وكتب الى الكورنثيين يقول
لهم « ولكنى امكث في انفسى الى يوم الخميس ، لانه قد انفتح لى بابا عظيم
فعمال ويوجد معاندون كثيرون » (١ كو ١٦ : ٨ ، ٩) . وحينما تناول
بالحديث ما سيحدث في الايام الاخيرة ، وانبأنا باتيان أزمة صعبة ، ذكر من
ضمن مظاهرها وجود اشخاص مقاومين ، قال « كما قاوم ينيس ويمبريس
موسى ، كذلك هؤلاء ايضا يقاومون الحق . اناس فاسدة اذهانهم ومن جهة
الايمان مرفوضون . لكنهم لا يتقدمون اكثر » (٢تى ٣ : ١ - ٩) .

**ان ظهور اشخاص مقاومين لعمل الله ، يعتبر في حد ذاته دليلا على
نجاح الخدمة التي تقاوم .** فابليس لا يتجرد للحرب الا حينما يحس بخطر
يهدد كيانه ... فليوطد الخادم الامين عزمه على ذلك . وقديما قال يشوع
ابن سيراخ ناصحا « يا بني اذا تقدمت لخدمة الرب ، اعد نفسك للتجربة »
(سى ١ : ٢) .

وليس بالضرورة ان يكون جميع مقاومى الخدمة من الخارجين عنها .
فقد تقابل الخدمة صعوبات ومقاومات من العاملين داخل محيط الخدمة -
وما اكثر ما يحدث ذلك . وقد تكون هذه المقاومات اكثر عنفا واشد خطرا
على الخدمة من مقاومات الخارجين ... والسيد المسيح نفسه حين قووم ،
لم يقاوم من اشخاص خارجين ، بل من ادعياء الدين ، من الكتبة والفريسيين !

راينا آنفا كيف ان الرسول بولس تحدث في اكثر من موضع من رسائله
عن « الأخوة الكذبة » ، والاخطار التي لاقاها منهم . فما انسب هذه التسمية
التي خلعها عليهم الرسول . انهم أخوة ... لهم كل مظاهر الأخوة من
الخارج ، لكن الاسف كانوا اخوة كذبة . وقد قال عنهم الرسول « لان مثل
هؤلاء رسل كذبة ، فعلة ماكرون ، مغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح ،
ولا عجب لان الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور . فليس عظيما
ان كان خدامه ايضا يغيرون شكلهم كخدام للبر : الذين نهايتهم تكون حسب
اعمالهم » (٢ كو ١١ : ١٢ - ١٥) !!

علينا الا ننسى هذه الحقائق حتى لا نفشل سريعا ... علينا ان نتعزى

بكلمات الرسول التي ذكرناها آنفا عن المقاومين « **لكنهم لا يتقدمون أكثر** » (٢ : ٣) ... أن كانوا يظهرون وقتنا ما ويحدثوا شقايات ، وربما يأتى الوقت الذى يظن فيه أنهم قد انتصروا وملكوا زمام الموقف ، لكن الرسول يطمئنا بقوله « **لكنهم لا يتقدمون أكثر** » ... قد يضيق مجرى **النهر** جدا فى جزء من أجزائه بسبب مروره بمنطقة صخرية صلبة ، لكن ما أن يتخلص من ذلك الجزء حتى يندفع بقوة ووعرة . وقد تعترض الخدمة بعض الصعوبات ، وقد يضيق نطاق العمل ، لكن لتصبر ، فلابد لتلك الصعوبات من نهاية ، وهينما تنتهى ، ستكون الانطلاقة قوية رائعة ...

لا يمكن أن يتخلى الخدام الأمانة عن الخدمة من أجل كثرة الصعوبات التى تكتنفها ، فلو فعلوا ذلك لما وصلت إلينا رسالة المسيح . قال القديس بولس عن الأخوة الكنية « **الذين لم نذعن لهم بالخصوع ولا ساعة ، ليبقى عندكم حق الإنجيل** » (غل ٢ : ٥) ... لقد تكالبت وتضامرت على المسيحية قوى الشر من كل جانب ، لكن لم ينطفئ مشعل الهداية ، ولم يخذ صوت الحق ، وظلت الكنيسة فى صراعها تسير بخطى وثيدة لكنها ثابتة كأنها طفل يحبو على الشوك قرابة ثلاثة قرون من الزمان ... تبادل خلالها كثيرون حمل المشعل ، حتى خرجت من كل ذلك الجهاد ظافرة منتصرة ... من أجل هذا يتشبه الخدام الأمانة بالخدمة ، شاعرين بمسئوليتهم فى انمام رسالة من سبقهم ، غير تاركين ميدان الخدمة لابليس وأعوانه يسرحون ويمرحون كما يشاعون ، بل متفكرين وصية الرسول لتلميذه تيموثاوس « **أما أنت فأصح فى كل شيء احتمل المشقات . اعمل عمل البشر . ثم خدمتك** » (٢ : ٤ : ٥) ... **يعزينا فى كل هذا وعد الرب ليسوع بعد أن آلت إليه الخدمة والقيادة « تشدد وتشجع . لا تهرب ولا ترتعب ، لأن الرب الهك معك حيثما تذهب »** (١ : ٩) .

ج - المخدمون :

ويؤلف المخدمون سببا آخر من اسباب احجام الخدام عن الخدمة .. فهناك حقول تصعب فيها الخدمة جدا ، لا يلبس الخادم تجاوبا بينه وبين المخدمين .. فتور شامل .. عدم اكتراث .. ربما لا يلبس تقدما روحيا بعد وقت من الخدمة ... والسيد المسيح نفسه لما أخذ يعلم فى الناصرة كان الناس يمشرون به « **منه صنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم** » (مت ١٣ : ٥٨) .

لا نزاع فى تنوع المخدمين من جهة مدى استعدادهم لاستماع وتقبل كلمة الله ... ما أشبه النفوس بالتربة الزراعية ... لقد أوضح السيد المسيح ذلك فى مثل الزارع ... فكما توجد أرض جيدة تعطى ثمرا ثلاثين وستين ومائة . فانه توجد أرض محجرة وأرض مليئة بالأشواك تخفق الزرع

حالما ينبت ... وحتى بالنسبة للنفوس الطيبة المشبعة بالأرض الجيدة فإنها تحتاج الى وقت . قال الرب يسوع « والذي في الأرض الجيدة هو الخنثى يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر » (لوقا ١٥: ٨) ... اننا محتاجون الى وقفة تأملية طويلة عند هذه الكلمات الأخيرة « **ويثمرون بالصبر** » ، رغم أن الأرض جيدة ، والقلب جيد صالح بشهادة الرب !!

حينما تهمل الأرض الزراعية مددا مستطيلة تتحول الى أرض بور : تحتاج في اصلاحها الى جهد وعناية كبيرين ... وحينما تهمل النفوس ايضا مددا طويلة تقفر من الصلاح وينبت الشوك فيها ، ومن ثم تحتاج الى وقت وجهد وصبر وعناية حتى تأتى بالثمر المطلوب ...

اننا لا نشك مطلقا أن كل النفوس اذا تمهناها لابد وان تصلح ، وان تفاوتت المدة التي تعطى بعدها ثمرها ، وفي كمية هذا الثمر . فكل النفوس مخلوقة على صورة الله ومثاله ، وبتعبير بولس الرسول « كل خلقه الله جيدة » (١ تي ٤ : ١) . لقد حدث أن اليهود في مدينة كورنثوس قاوموا بولس جدا « فنفض ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسكم . أنا بريء . من الآن اذهب الى الامم » . لكن الرب ظهر في رؤيا لبولس ليلا وقال له « لا تخف بل تكلم ولا تسكت ، لاني انا معك ولا يقع بك احد ليؤذيك لان لى شعبا كثيرا في هذه المدينة . فقام سنة وستة أشهر يعلم بينهم بكلمة الله » (اع ١٨ : ٦ - ١١) .

هذا من طبيعة المخدمين وتفاوت استعدادهم لتقبل كلمة الله . وهناك صفة أخرى في المخدمين عموما ، وهي كثرة وسرعة تقلبهم . لقد هتفت الجوع للرب يسوع يوم دخوله اورشليم هتافات النصر ، واستقبلته استقبال الفزاة الفاتحين ... لكنها بعد خمسة ايام ادارت ظهورها ونكصت على اعقابها ، وكانت نفس الحناجر تردد هتافا واحدا « **اصليه اصليه . دمه علينا وعلى اولادنا** » ... وفي مدينة لسقرة شفى بولس الرسول مقعدا من بطن أمه ... وكانت معجزة عظيمة جعلت الناس يقولون « ان الالهة تشبهوا بالناس ونزلوا اليها » حتى انهم دعوا برنابا ورس وبولس هرمس ... وبلغ بهم الحماس ان كانوا زعمس اتى شيران واراد ان يضحي لهما ، وبالجهد استطاع الرسولون ان يمنعا ذلك ... ولكن سرعان ما تغيرت المشاعر ، وهاج الجمع على بولس ورجموه ثم جروه خارج المدينة ظانين انه قد مات (اع ١٤) . هذه هي شدة الناس دائما . وقد اعترضت القديس بولس هذه العقبة فكتب الى مؤمنى غلاطية معاتبا « انى اتعجب انكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح الى اتجيل آخر ... » (غل ١ : ٦) .

إذا غلبت الخادم الأمين في طريقه ، واضمعا كل هذه الاعتبارات
نصب عينيه ، شاعرا أنه ليس أفضل من معلمه ، الذي واجه نفس
الصعوبات ، غير متطلب ثمرا سريعا ، غالبًا بعد بذرها — وحتى تأتي
بثمر — تحتاج إلى رى وعناية مستمرة ووقت ... يتفاوت من نبات إلى
نبات ... وفي كل ذلك ، الله وحده هو الذي ينهى ...

لكن دعنى أهبس في افئك أيها الخادم المميز ... لو كان لك إيمان
تموى بالرب وبقوته لتبدل الحال وتغيرت الخدمة ، ولزاد الثمر ... فلى
ممجزة شفاء المفلوج الذي حملته أربعة ، « لما رأى يسوع إيمانهم » شفاه
(مر ٢ : ٥) ... ان الله حينما يرى إيماننا وحبنا لخدمة الآخرين لأبد وأن
يستجيب ويعمل ...

الجميع مدعوون للخدمة

ليست الخدمة في مفهومها العام قاصرة على التعليم وما يتصل به ، بل
يجب أن يتسع نطاق مفهومها في انهماكتنا . الخدمة قرينة المحبة ... هما
صنوان لا يفترقان . فحينما وجدت المحبة . فلا بد وأن تظهر معها الخدمة ،
وحيثما الخدمة الأصيلة الناجحة ، هناك المحبة المتلججة والفيرة المتقدة ...

ان الوصية الأولى والعظمى في المسيحية هي المحبة ... محبة الله
ومحبة القريب .. بهذه — كما قال رب الجسد — « يتعلق الناموس كله
والأنبياء » (مت ٢٢ : ٤٠) . اذا كنت عضوا حيا في جسد المسيح ، فلا بد
وأن تشعر بكل عضو يتألم في هذا الجسد ، وأن أحسست بالأعضاء المثالة
فلا بد وأن تقودك المحبة إلى عمل شيء لتخفيف الألم .. وهذه هي الخدمة ..
أما اذا لم تحس باحتياج الأعضاء المثالة ، فاعلم أنك لست عضوا حيا في
المسيح .

ليست الخدمة قاصرة على الوعظ والتعليم ، بل تتعداهما إلى أمور
أخرى كثيرة ... فحينما نكلم الآخرين عن الله من فوق المنبر فأنت نخدم .
وحيثما لا تكون لك موهبة ارتقاء المنبر . ويحدث إلى الآخرين عن الله في
أحاديث مرديه فأنت نخدم .. حسبما يعود مربعا وتشجعه وشعث فيه الأمل
والإيمان وتنهض عزيمته ويقوى رجاءه في الله لتتصل به ويطلبه فأنت نخدم
حينما نواسي حزينا أو مريضًا فأنت نخدم . حينما تقود انسانا إلى الكنيسة
أو إلى اجتماع روحي فأنت نخدم . حينما تهد يد المساعدة لمحتاج ، حينما
تسعى بلهونا ، حينما نرد انسانا عن طريق ضلاله بطريقة أو بأخرى .. في هذه

وكثير غيرها أتت تخدم .. اذن ، امامنا فرص كثيرة نخدم بها الرب ونظهر مشاعر حبنا له ...

في معجزة شفاء المفلوج الذى حملته اربعة ودلوه من سقف البيت ، تقابلنا نقاط كثيرة ، يحلو لنا ان نقف عندها (من ٢ : ٣ - ٥) ..

اننا امام فرقة انقاذ ، لعلها الاولى من نوعها . ونستطيع ان نقطع ان هؤلاء الاربعة لم يكونوا ماجورين ، بل من الاصدقاء الحميمين . فلا يمكن ان يكونوا قد حملوه من بيته بالصورة التى دلوه بها من سقف البيت .. لكن اغلب الظن انهم حينما فشلوا فى الوصول الى يسوع من كثرة الجوع ، قادهم حبهم الى هذه الوسيلة « كشفوا السقف .. وبعدها نقبوه دلوا السرير الذى كان المفلوج مضطجعا عليه » .. نلاحظ ايضا انهم لم يتكلموا مع الرب ولم يقولوا له شيئا . كل ما فعلوه انهم احضروا صديقهم المريض امام واهب الحياة ومانح الشفاء .. امر آخر انصف به اولئك الاصدقاء ، وكشفه الرب ... « ايمانهم » . هذا فضلا عن استماتتهم فى الوصول الى هدفهم.

الا نستطيع ان ننسبهم هؤلاء الاربعة ؟ الا نستطيع ان نحمل نفسا قد ابيسه الخطية ، اعضاها ونحضرها امام الرب ؟! ان الخطية تاتى معها البؤس والشقاء ، وقتما يوجد انسان يحب البؤس ويريد ان يبقى شقيا .. كثيرون محتاجون الى من يحملهم الى يسوع ، ولسان حالهم كلمات مريض بيت حسدا حينما سأل الرب « اتريد ان تبرأ » فكان جوابه « ليس لى انسان » (يو ٥) ..

قد يكون كثيرون من مرضى الروح يعرفون شيئا عن يسوع وقوته ورحمته ، وعمل نعمته ، لكنهم « اموات بالذنوب والخطايا » .. والميت لا يستطيع الحركة ، ولا يملك مجرد الارادة .. كثيرون فى حالة شقاء بسبب بعدهم عن الرب ، وهم فى أمس الحاجة الى من يوقظهم من غفلة الخطية وسكرة اللذة « استيقظ ايها النائم وتمم من الاموات فيضئ لك المسيح » (اف ٥ : ١٤) .. ايمكن لنا ان يسمى او يعمل شيئا ؟ هذا هو الانسان الخاطيء .. ان امثال هؤلاء محتاجون الى شيء واحد .. ان نحضرهم امام الرب .. **لقد كانت رسالة عجيبة تلك التى بعثت بها مريم وهرثا اخنا لعاذر للرب « يا سيد هوذا الذى تحبه مريض » (يو ١١ : ٣) .. لم تطلبا منه طلبا محددا . لم تعبرا له عن حبهما لاختيهما ولهفتهما لشفاؤه . فهما تعلمان ان محبة الرب اعازر تفوق حبهما ..**

والآن ايها الاخ العزيز كم من مريض بالروح تعرفه ؟ الا تستطيع ان ترسل للرب رسالة على نحو ما فعلت الاختان ؟ الا تستطيع ان تصلى وتقول

له « يارب هوذا فلان الذى أنت تحبه وميت عنه مريض .. هوذا فلان الذى تحبه متقيد بقبود الخطبة وقد اقتنصه إبليس لرادته » ؟! ألا تستطيع أن تفعل ذلك ؟!

أى قلب هذا الذى يدعى المحبة ويرى انسانا محتاجا ولا يعمل لأجله شيئا !! أن مثل هذا الإنسان يتسائل عنه الرسول متعجبا « كيف تثبت محبة الله فيه » (١ يو ٣ : ١٧) !!

من اورشليم الى اقصى الأرض

كانت وصية الرب يسوع لتلاميذه قبيل صعوده ، ألا يبرحوا اورشليم بقصد الخدمة ، إلا بعد التزود بقوة الله بحلول الروح القدس عليهم . وطالبهم بالشهادة لاسمه فى اورشليم وكل اليهودية والسامرة واقصى الأرض (أع ١ : ٤ - ٨) ..

هذه الكلمات هى آخر وصايا الرب يسوع لتلاميذه ، قالها لهم قبيل أن تأخذه سحابة عن أعينهم . صاعدا الى السماء ... ويحلوا لنا الوقوف عند هذه الكلمات الأخيرة التى فاه بها رب المجد ، لأنها تحدد لنا مبادئ فى الخدمة ، بالغة الأهمية ... فلم يكن كلام رب المجد اعتباطا حين حدد لهم معالم طريق الخدمة ، ورسم لهم خطواتهم المقبلة التى تتلخص فى — البقاء فى اورشليم منظرين حلول الروح القدس عليهم ... وبعد ذلك الانطلاق للخدمة ، لكن بنظام خاص : أولا فى اورشليم ... ثم اليهودية ، وبعد ذلك السامرة ، الى أن يصلوا ببشرى الخلاص الى اقصى الأرض ...

أولا — اورشليم :

لقد أوصى الرب تلاميذه أن لا يبرحوا اورشليم ... وأيضا أن يشهدوا له فيها ... فما هى اورشليم هذه ، تلك التى يطالبنى الرب أن أشهد له فيها أولا ؟

أن اورشليم هذه — باعتبارها مدينة الملك العظيم التى فيها الهيكل — تشير الى القلب والحياة الروحية المقدسة الخاصة بالانسان ، باعتباره هيكل الله .. والشهادة للمسيح فى اورشليم ، معناها أن أشهد له محباتى الخاصة ، وباعمالى المقدسة ...

كثيرون لا يتبعون هذا الترتيب العجيب الذى وضعه الرب ، ويحاولون الشهادة فى السامرة أو فى اقصى الأرض مثلا قبل الشهادة فى اورشليم ...

ومن هنا تحدث الأخطاء ويصيبنا الفشل ... والمسيد المسيح يذكرنى بأنى لابد أن أشهد له فى اورشليم أولا . فمن اورشليم خرجت بشرى الخلاص ، ومن حياتك الخاصة الطاهرة تخرج البركة لتفجع الآخرين ...

كانت اورشليم قلب اليهودية النابض ، ففيها الهيكل ، وفيه وحده تقدم الذبائح .. ومن هنا فقد كانت قبلة انظار اليهود فى كل العالم .. اليها يحجون ، وفيها يجدون عزاءهم .. وعلى هذا النحو ، نجد أن اورشليم الداخلية أى حياتك الخاصة باعتبارك خادما : هى موضع تطلع الناس . وبك وعن طريقك يجدون الاب السماوى .. أما أنت أيها الخادم ، فمن اورشليم الداخلية ترفع ذبائح الشكر ، ثم شفاه معترفة باسمه ...

لماذا نبدأ بالخدمة من اورشليم ؟

انها أضيق دائرة تشهد للرب فيها ، ومتى ابلينا فيها حسنا ، كان هذا دليلا على استحقاقنا للخدمة خارجها ، وفيها ننال القوة من الرب .. لقد كانت وصية الرب لتلاميذه أن لا يبرحوا اورشليم ، بل ينتظروا موعد الاب .. قوة الروح القدس الذى سيمتلئ فيهم وبهم .. الله يريد دائما أن تكون الخدمة بقوة روحه ، حتى يكون فضل القوة له .. ما أكثر ما نخطئ حينما نتقدم الى الخدمة معتمدين على قوتنا وحكمتنا وفصاحتنا .. ان هذه القوة التى نالها التلاميذ ، نالوها فى العلية ، وهم ينتظرون موعد الاب ، بينما كانت نفوسهم منسكبة أمام الرب .. وهم جميعا بنفس واحدة ، والأبواب والنوافذ مغلقة .. هكذا نحن لن ننال هذه القوة الا فى « علية » .. أى حينما نرتفع عن الأرضيات ونسبح عليها ، ساكنين انفسنا ، منتظرين عمل الرب ونعمته فينا ، بعد أن نكون قد اغلقنا أبواب ونوافذ النفس ، فى انسكاب كلى أمام التقدير . فى هذه العلية الروحية يظهر لنا الرب ذاته كما كان يظهر لتلاميذه معطيا اياتنا الفرح والسلام .. بهذه القوة شهد بطرس للمسيح أمام آلاف اليهود بعد أن أنكره أمام جارية .. وبهذه القوة نستطيع أن نخدم الرب حتى الى أقصى الأرض .. لأننا فى ذلك الوقت نكون منقادين بالروح ، مدفوعين ب تلك القوة عينها ..

ثانيا - فى كل اليهودية :

اليهود هم خاصة المسيح ، الذين جاء اليهم ولم يقبلوه . فالتشهادة فى اليهودية هى خدمة الرب وسط البيت والعائلة والوسط الصغير الذى نحيا فيه .. ومما يلفت النظر ، تأكيدات فى هذا الحقل « فى كل اليهودية » . كثيرا ما نهمل الخدمة فى هذا الميدان مما يسبب متاعب ونكسات شديدة للخدمة .. يقول يشوع بن نون « أما أنا وبيتى فنعبد الرب » (يش ٢٤: ١٥) ،

ومعلمنا بولس يقول « ان كان أحد لا يعتنى بخاصته ولاسيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن » (١ تي ٥ : ٨) .. قد يكون الخادم مجاهدا وموفقا في خدمته ، بينما تأتى المتاعب والمثرات من جهة بيته ... ولذا يشدد الرسول على هذه الناحية فيقول « وانما ان كان أحد لا يصرف ان يدبر بيته فكيف يعتنى بكيسة الله » (١ تي ٣ : ٤ ، ٥) ... ان الرسول يجعل من الاهتمام بالبيت مقياسا يقيم به الخادم .. فمن لا يعتنى ببيته ، فكيف يمكنه ان يعتنى بالكيسة كلها ؟!

ثالثا — السامرة :

كانت عبادة السامريين خليطا من اليهودية والوثنية . **غالب الشهادة في السامرة تمثل خدمتنا وسط المؤمنين المنحرفين وغير المؤمنين** ... فبعد ان يكون الخادم قد دعم حياته الروحية وشهد للمسيح بحياته انخاصة في اورشليم ثم في كل اليهودية ، يتقدم للخدمة وسط حقل يتطلب استعدادات خاصة وجهادا اكبر . ان الخدمة في السامرة تحتاج الى حب ورحمة وتقدير للمشاعر .. فحينما رفضت مدينة السامرة المسيح ، اراد يعقوب ويوحنا ان تنزل نار من السماء وتغنيها بمن فيها ، فكان جواب الرب « لستما تعلمان من اى روح انتما . لان ابن الانسان لم يات ليهلك انفس الناس بل ليخلص » (لو ٩ : ٥١ — ٥٦) .. وبالإضافة الى هذه المشاعر ، يحتاج الخادم الذى يخدم في هذا الحقل الى دراسات خاصة تختص بصفات المخدمين . انه حقل شاق ، ولكن قد يكون ايمان فرد واحد سبب بركة لكثيرين ، على نحو ما صار ايمان المرأة السامرية سبب بركة لكل مدينتها ...

رابعا — أقصى الأرض :

ما أبهج كلمة الله حينما تنمو وتنتشر ... « ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام ، المبشرين بالخيرات » (رو ١٠ : ١٥) . ما أسعد الخادم حينما ينطلق الى المناطق المجهولة ، والبلاد المغمورة ، حاملا رسالة الفرح وبشرى الخلاص الى اقوامها ، الذين لا تربطهم به سابق معرفة او نعمة قومية او نزعة طائفية او وحدة العقيدة واللغة والجنس .. ينطلق اليهم بدافع من حب عميق ، متشبها بمن احبه واسلم ذاته لاجله ..

لكن كل ذلك — كما راينا — يحتاج الى مؤهلات خاصة .. فكما يحتاج الى ايمان يحتاج ايضا الى ائزان .. يحتاج الى ان نترسم الطريق ، ونسلك بموجب وصايا الرب الذى نخدم اسمه العظيم وتنادى بحبه لكل البشر ..

كلمة أخيرة

وفي ختام هذا الموضوع ، نود أن نوجه الى اخوتنا الخدام كلمة هادئة ... ليتنا لا نأخذ الأمور بحسب مظهرها ، أو ننظر اليها من زاوية واحدة . ليتنا نلم بانكيسة واحتياجاتها من كل الزوايا حتى لا نتحسس لزواية بذاتها . ليتنا لا تأخذنا الغيرة والحمية على الخدمة — رغم انها صالحة ومقدسة — وننسى التزود بقوة الرب وانتظار موعد الآب .. ليتنا لا ننسى فواتنا وسط بحر الخدمة العظيم وحقلها المتسع . فمهما جاهدنا وتعبنا فدائما « الحصاد كثير والعمل قليلون » .. ليتنا نؤمن بأن يعمل الله فينا وبنا .. ليتنا نجلس مع فواتنا في خلوة ونراجع مبادئنا في الخدمة .. ليتنا نبدأ من جديد بايمان وطيد وعزم اكيد .



يفصح كلنى عن محبة المسيح ..

الله محبة ، والله روح ... لذا وجب أن تكون علاقتنا به فى نطاق المحبة والروح . فالمحبة هى روح الحياة مع الله ... ولو خلت علاقة الإنسان بالله من المحبة لصارت لغواً وهراء ، ولتحولت كل الممارسات الدينية إلى مجرد فرائض وطقوس . لكن المسيحية فى نظرية العبادة تسموعن مجرد الفرائض الجافة الجامدة . وتهدف إلى تلاقى الإنسان والله فى دائرة الروح . مدفوعاً بدافع الحب ولا شئ سواه ... وحين يصل الإنسان المسيحى إلى ممارساته العبادية بهذا المفهوم ، فإنه يحيا فى ما يمكن أن نسميه حالة ما فوق الجسد ، ويدخل فى علاقة حية فاعلة مع الله . وتصبح مشاعره وأحاسيسه الداخلية هى ما عبرت عنه عروس التشيد نحو عريسها : « تحت ظله إشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لخلقى » .

إن موضوع الممارسات الدينية أو ما يسمى بالوسائط الروحية هو هدف هذا الكتاب ... والكتاب يعالج هذا الموضوع الحيوى بالنسبة للإنسان المؤمن ، ليس بالتعبيرات الروحية العالية أو الكلمات النظرية الرنانة ، التى تشد الإنسان دون أن يكون لها أساس داخل عميق فى القلب ، بل بالأسلوب العمل البسيط الذى يسهل على كل إنسان فهمه وتقبله ، ومن ثم يتحول إلى ممارسة حية معاشة .

والكتاب لا يهدف إلى إضافة معلومات جديدة إلى رصيد المعلومات السابقة عن علاقة الإنسان بالله ، بل إلى تعميق العشرة الحية المقدسة ، حتى ما يسير المؤمن من « قوة إلى قوة » إلى أن يتجلى له إله الآلهة فى هيكل قلبه ...

وفضلاً عن ذلك فالكتاب يعالج موضوع الوسائط الروحية على أسس روحانية كنيسة القبطية الأرثوذكسية ، هذه الروحانية التى عاشها آباءنا القديسون ، وبرعوا فيها ، حتى صاروا روادها ومعلميها فى العالم المسيحى كله .